الدكتور
السيد عبد الفتاح عفيفي

علم الاجتماع اللغوى



علم الاجتماع اللغوى

تأليف
الدكتور : السيد عبد الفتاح عفيفي
أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا
المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية، وجامعة القاهرة

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
الإدارة : ٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر
ت : ٢٦٢٣٨٦٨٤

٣٠٠,١٤ السيد عبد الفتاح عفيفى
س ى ع ل علم الإجتماع اللغـوى / تأليف السيد عبد الفتـاح عفيفى .-
القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٥ .
٢١٢ ص ؛ ٢٤ سم.
بيليوجرافية : ص ٢٠٣ - ٢٠٩ .
تدمك : ٠ - ٠٧٤٤ - ١٠ - ٩٧٧ .
١- الإجتماع اللغوى ، علم . ٢ - اللغة العربية - مباحث
عامة . أ - العنوان .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾

«سورة الروم - آية ٢٢»

إهداء

إلى رفيقة العمر زوجتى الغالية / ناهد

وإلى أبنائى الأحباء / حاتم ، ماجد

إلى تلك الصحبة الغالية التى هيأت لى كل عوامل النجاح،

أهدى هذا الكتاب الذى يناقش قضايا اللغة من منظور الاجتماع الإنسانى،

راجيا لهم دوما الصحة والسعادة.

والله ولى التوفيق ،

المؤلف

د. السيد عبد الفتاح عفيفى

مقدمة

اللغة هـى إحدى وسائل التـعبـير عمـا يدور فى النفس البشـرية لنقل هذه المشاعر والأحاسيس إلى الآخرين لتحقيق التواصل الإنسانى والتفاهم المنشود.

لكن اللغة ليست هى الوسيلة الوحـيدة للتعبير، فهناك أساليـب متعددة لهذا التعـبيـر من خلال الفنون المـختلفـة والانفعـالات المتـعددة كالضـحك والبكاء والصراخ، والإشارات اليـدوية وحركات الجسم والإيماءات والطقطقـات الصوتية وغيرها.

وتعتمـد اللغة على استخـدام التعبيـرات اللفظية المنطوقة التى تعـتمد على أجهزة وأعضاء النطق والكلام، كما تستخدم التعبيرات غير اللفظية.

واللغة ما هى إلا نسق من الرموز ذات دلالة ومعنى، وهى ظـاهرة اجتماعية من صنع الاجتماع الإنسانى، إذ إن الإنسان هو الـكائن الوحيد الذى كرمه الخالق بنعمة العقل والنطق، وبالتالى أصبح هذا الإنسان قادرا على أن تكون له ثقافة دون سائر المخلوقات بوصف اللغة وعاء لحمل التراث الثقافى.

وقد اهتمت علوم عـديدة بدراسة اللغات من زوايا ومداخل متـعددة تباينت طبقا لاخـتلاف التخصصات العلمـية الدقيقة لكل منهـا، حيث عنيت علوم اللغة بدراسة نشأة اللغـة كعلم، وفقه اللغة، والنحو والإعـراب، وبناء الجملة، ودراسة النصوص اللغوية، وآداب اللغة، وصورها التعبيرية المختلفة.

وقد اهتم علم النفس بدراسة اللغـة باعتبارها عملية عقلـية تعبر عن السلوك الإنسانى فـى مختلف المـواقف لمعـرفة مـدى استجـابته وتفـاعله خلال عـملية التواصل اللغوى من خلال فرعه الخاص المسمى بعلم النفس اللغوى.

بيد أن علم الاجتماع قـد عنى بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتـماعية هامة وأداة للتعبـير عن ثقافة المجتـمع الذى تنتمى إليه. ويهتم علم الاجتـماع بدراسة



العوامل المختلفة التى تؤثر فى هذه الظاهرة وتطورها، وما يطرأ عليها من تغيرات، كما يعنى بدراسة علاقة اللغة كظاهرة اجتماعية بغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى تأثيرا فيها وتأثرا بها.

وقد كان ابن خلدون من أوائل علماء الاجتماع الذين أشاروا إلى أهمية دراسة اللغة كأداة للاتصال بين الأمم والشعوب، وتبعه مجموعة من علماء المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع التى أنشأها دوركايم، بل وانضم إليهم بعض علماء اللغة أمثال دوسوسير، وأنطوان مييه، وفندريس، ويسبرسن، ويود، وروبنز وغيرهم حيث نادوا بأهمية اللغة كظاهرة اجتماعية مما أدى إلى تزايد الاهتمام بالسوسيولوجيا اللغوية.

ومع نجاح الاتجاه السوسيولوجى واكتسابه لمؤيدين عديدين من العلماء حتى من خارج نطاق علم الاجتماع، والعناية بالبحوث الحقلية له، برز علم الاجتماع اللغوى بشكل واضح منذ أواخر عقد الستينات من القرن العشرين.

وما أحوجنا نحن فى المنطقة العربية لأن نهتم بهذا العلم الوليد ونعمق البحث فيه، للكشف عن الدور الفاعل للغة فى صياغة الثقافة العربية عبر العصور التاريخية المختلفة، والأوضاع الراهنة للغة العربية وما يحدث لها من عمليات الصراع اللغوى مع اللغات الأجنبية الوافدة بفعل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة، كالهجرة إلى دول الخليج العربى، ومحاولة إسرائيل إحياء اللغة العبرية، والصراع الدائر بين اللغة الفصحى والعامية، والمنافسة بين اللهجات المحلية والاجتماعية المختلفة ـ وسط المتغيرات الاجتماعية الهائلة الناجمة عن ثورة المعلومات والاتصال من ناحية، والغزو الثقافى والإعلامى الوافد من ثقافات أجنبية من ناحية أخرى.

من هنا فإن علم الاجتماع اللغوى على الرغم من حداثة الاهتمام به كعلم مستقل وخاصة فى عالمنا العربى، إلا أنه أصبح من أهم فروع علم الاجتماع المعاصر. وقد راودتنى فكرة تقديم هذا الكتاب إلى قراء اللغة العربية بعد أن قمت بتدريس مقرر علم الاجتماع اللغوى لطلاب المستوى الرابع بقسم الاجتماع بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب بجامعة الإمام محمد بن سعود



الإسلامية بالمملكة العربية السعودية لمدة أربعة أعوام، أحسست خلالها بندرة المراجع العربية في هذا الفرع، حيث لم يكن سوى كتاب أستاذنا الفاضل الدكتور / على عبد الواحد وافى - رحمه الله - بعنوان : اللغة والمجتمع، هو المرجع الوحيد المتاح فى المكتبة العربية.

ومما يؤسف له أن جامعاتنا العريقة فى مصر لم تهتم بأن تفرد مقررا خاصا لعلم الاجتماع اللغوى، وإنما اكتفت بإشارات سريعة لبعض موضوعات هذا العلم فى ثنايا علم الاجتماع العام، ودراسة الثقافة والشخصية، والأنثروبولوجيا الثقافية.

لهذا قررت أن أقدم هذا الجهد العلمى راجيا أن أضيف بذلك لبنة متواضعة فى صرح هذا الفرع الهام من فروع علم الاجتماع العام من ناحية، وإثراء للمكتبة العربية من ناحية أخرى. كما آمل أن يجد فيه القارئ العربى عامة، والقارئ المتخصص خاصة ما يشبع رغبته للمعرفة.

ويقع هذا الكتاب فى تسعة فصول بخلاف المقدمة، تقدم معا رؤية متكاملة من وجهة نظرى للقضايا التى يهتم بها هذا العلم.

وقد تناولت فى الفصل الأول وضع اللغة بين الدراسات اللغوية والسوسيولوجية، حيث ناقشت نشأة وتطور الدراسات اللغوية، ومفهومات ووظائف اللغة، وتصنيفات الدراسات اللغوية وفروعها، ودراسة اللغة من منظورى علم اجتماع اللغة، والأنثروبولوجيا الثقافية، وعلاقة اللغة بالعلوم الأخرى، والتطبيقات العملية لعلم الاجتماع اللغوى فى الحياة العامة.

أما الفصل الثانى بعنوان مداخل دراسة اللغة، فقد عرض ستة مداخل رئيسية لدراسة اللغة من منظورات مختلفة، وهى : المدخل الأنثرونولوجى، ومدخل أثنولوجيا اللغة، والمدخل السيسيلوجى فى دراسة اللغة.

وفى الفصل الثالث بعنوان نشأة اللغة عند الإنسان والطفل والنظريات المفسرة لها، تناولت اللغة بوصفها أداة للتواصل الإنسانى، والنظريات المفسرة لنشأة اللغة بصفة عامة، ونشأة اللغة عند الطفل بصفة خاصة.



أما الفصل الرابع بعنوان حياة اللغة وعوامل تطورها، فقد ناقش اللغة ككائن حى، وعوامل تطور اللغة.

وفى الفصل الخامس بعنوان الصراع اللغوى، عرضنا لمفهوم الصراع بصفة عامة، والصراع اللغوى، وعوامل الصراع اللغوى وأسبابه، والانتشار اللغوى، والعوامل المباشرة فى تفرع اللغة.

بينما عالج الفصل السادس موضوع اللغة وعلاقتها باللهجات المختلفة، حيث تناول اللغة الفصحى واللهجات العامية، واللهجات المحلية وصراعها اللغوى، واللهجات الاجتماعية، والتحديات التى تواجه اللغة العربية، وتباين لغات العناصر الأجنبية وآثارها على لغة الأمة.

أما الفصل السابع بعنوان اللغة والثقافة، فقد أوضح ماهية الثقافة، واللغة كأحد عناصر الثقافة، واللغة وعلاقتها بالتراث الثقافى، واللغة والعموميات الثقافية، واللغة وعلاقتها بالفكر، والمجموعات والفصائل اللغوية.

وفى الفصل الثامن بعنوان التخطيط اللغوى والتغير الاجتماعى، ناقشت مفهومات التخطيط اللغوى، والتخطيط اللغوى فى ضوء وظائف اللغة، والآثار المترتبة على التغير الاجتماعى وانعكاساتها على اللغة.

وأخيرا فى الفصل التاسع بعنوان مناهج البحث اللغوى، عرضت لماهية مناهج البحث وأهميتها فى الدراسات اللغوية، وأنواع مناهج البحث اللغوى، والأطالس اللغوية وأهمية الأطالس اللغوية فى البحث اللغوى.

وبعد، فإن الكمال لله وحده، وإن كنت قد أصبت فإنه من توفيق المولى عز وجل، وإن كنت لم أصب فإن القصور منى، والله أسأل أن يهدينى سواء السبيل، والله من وراء القصد.

أبها فى ١٢ رمضان ١٤١٥هـ

الموافق ١٦ فبراير ١٩٩٥

المؤلف

دكتور / السيد عبد الفتاح عفيفى





الفصل الأول

اللغة بين الدراسات اللغوية والسوسيولوجية

أولا- نشأة وتطور الدراسات اللغوية، ومفهومات، ووظائف اللغة.

ثانيا- تصنيفات الدراسات اللغوية وفروعها.

ثالثا- مناطق الاهتمام بدراسة اللغة.

رابعا- دراسة اللغة من منظوري علم اجتماع اللغة، والأنثربولوجيا الثقافية.

خامسا- علاقة اللغة بالعلوم الأخرى.

سادسا- التطبيقات العملية لعلم الاجتماع اللغوي في الحياة العامة.

أولاً ـ تطور الدراسات اللغوية، ومفهومات ووظائف اللغة :ـ

١ ـ تطور الدراسات اللغوية :ـ

تعتبر اللغة من أهم الخواص المميزة للإنسان التى اختصه بها الخالق عز وجل، مما جعله متميزا بتفرده عن سائر المخلوقات الأخرى.

ونظرا لأهمية اللغة فى حياة الإنسان بوصفها وليدة الاجتماع الإنسانى وأداة تواصله واتصاله، عُنى الفلاسفة والعلماء منذ قديم الأزل بدراستها من جوانب متعددة.

ويظهر ذلك من استعراض تطور اهتمام الحضارات المختلفة على مر العصور بدراسة اللغة. ففى العصور القديمة تركزت الدراسات اللغوية حول البحث عن أصل اللغة، وعلاقة اللفظ بالمعنى، أو ما يعرف بالمعنى والدلالة، والبحث فى قواعد اللغة وتصنيف مفرداتها.

وقد خلط العملاء الأوائل فى دراستهم للغة ـ بين أمور اللغة والأساطير Mythes والخرافات والمعتقدات الطقوسية، إذ نجد أمثلة كثيرة على ذلك فى الحضارات القديمة على اختلاف أشكالها، إلى حد جعل البحث فى اللغة أشبه ما يكون بالبحث فى قضايا ميتافيزيقية.

فنجد فى الحضارة السومرية أن الشعب السومرى (٣٥٠٠ سنة ق . م) جنوبى العراق ترك لغة عرفها العلماء من نصوصها بالخط المسمارى. كما نسب البابليون (٣٠٠٠ سنة ق . م) اللغة إلى المهم نابو Nabu، بينما أرجع قدماء المصريين أصل اللغة والكتابة إلى المهم زوس، وحاول فرعون مصر «أبسماتيك» فى القرن السابع قبل الميلاد ـ معرفة نشأة اللغة الإنسانية الأولى.

أما الحضارة الإغريقية، فقد انشغل فيها فلاسفة اليونان بمتافيزيقا اللغة، وأصل الكلمة وعلاقتها بالبناء اللغوى، وإصدار المعاجم اللغوية ـ فى القرن الخامس قبل الميلاد.

كذلك فإن الإغريق كان لهم فضل اكتشاف الأسس النحوية على يد أفلاطون، ولكن المؤرخين أخذوا عليهم عدم اهتمامهم بالدراسات اللغوية فى



وقت مبكر مثل مـا فعلوا فى العلوم الأخرى، اعتقادا منهم بأن لغـتهم هى أفضل لغات العالم[١].

ومع ذلك فلقد وضع فلاسفة الإغريق أسسا وأساليب معينة للتفكير الإنسانى جعلوها على شكل بديهيات لا تخضع للجدل والمناقـشة، وصاغوا منها مقدمات لقضايا عقلية تنتهى بهم إلى أحكام محددة، وبالتالى وضعوا علم المنطق الذى قام على هذا المنهج العقلى فى الأحكام.

وقد صاغ أرسطو وغيره من الفلاسـفة قضايا علم المنطق على أساس لغوى حيث رأوا أن أساليب اللغة تعبر تعبيرا صادقاً واضحا عما يدور فى أذهان الناس، وبذلك أصبحت اللغة ذات صلة وثيقة بالمنطق[٢].

أما عن إسهامات علماء العرب فى الدراسات اللغوية، فلقد أدت الدراسات القرآنية والعربية إلى تطور كبير فى الدراسات اللغوية والأدبية والنحوية، حيث كان الحافز الدينى هو دافـع علماء المسلمين للحفـاظ على لغة الضاد باعتـبارها وعاء العربية ومقدسات الإسلام.

كما اشتهر العرب فى الجاهلية بالمناظرات الأدبية والمساجلات الشعرية لما عرفوا به من بيان وفـصاحة. وبعد الإسلام اهتم علماء المسلمـين بالمحافظة على ضبط القرآن الكريم وقراءاته وتجويده، ودرسـوا اللهجات العربية فى ظل القراءات القرآنية المعـتمدة على النقل الشفاهى والتلقى. ومن أشهـر هؤلاء العلماء نجد أبا الأسـود الدؤلى الذى وضع الضوابط النحـوية، والخليل بن أحـمد، وسـيبـويه، والأصمعى، وأبا على الفارسى، وتلميذه بن الفتح عثمان بن جنى وغيرهم[٣].

وعلى الرغم من أن الدراسات اللغوية قد شملت عديدا من الفروع المختلفة للغة إلا أنها ظلت لفتـرة طويلة تركز جل اهتمامها على اللغة ذاتهـا وما يتعلق بها

---

(١) توفيق محمد شاهين : علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) نوال محمد عطية : علم النفس اللغوى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥، ص١٨.

(٣) أبو الفتح بن جنى: الخصائص وسر صناعة الإعراب، تحقيق الشيخ النجار، طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧١ هـ.



من قضايا لغوية بحتة. وقد حدث ذلك فى مختلف العصور والحضارات القديمة فى الشرق والغرب على السواء.

ولكنه مع مرور الزمن والتراكم المعرفى واهتمام العلماء بتحليل وبحث الدراسات اللغوية من منظورات متعددة، برز مصطلح علم اللغة Linguistics فى منتصف القرن التاسع عشر.

وفى أوربا بعد أن برز عصر النهضة فى القرنين الخامس عشر، والسادس عشر الميلادى مستندا على حضارتى الإغريق والرومان تزايد اهتمام علماء الدراسات بدراسة النصوص القديمة للغتين الإغريقية واللاتينية ـ فيما عرف باسم الفيلولوجيا وهى الأصل الذى تفرع عنه علم اللغة أو اللسانيات Linguistics فى أوربا، ثم تطور هذا العلم من فكرة الاقتصار على دراسة النصوص القديمة إلى فكرتى المعاصرة والوصف[1].

وفى بداية الأمر عكف علم اللغة العام على دراسة اللغة لاكتشاف وتحديد قواعدها اللغوية، أو كما تسميه المدرسة البنيوية التى ظهرت وسادت فى القرن العشرين ـ ببنية اللغة Language Structure دون الاهتمام بالسياقات الاجتماعية.

ولكنه مع اهتمام علم الاجتماع المعاصر بدراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع بوصف اللغة ظاهرة اجتماعية فى المجتمع الإنسانى ـ ظهر علم الاجتماع اللغوى أو علم اجتماع اللغة، وقد تحول عدد من علماء اللغة عن اتجاههم فى الاقتصار على دراسة اللغة كبناء إلى دراسة اللغة داخل السياق الاجتماعى للمجتمع الإنسانى، إذ إن اللغة هى سلوك اجتماعى مكتسب من المجتمع ولا يمكن تصور دراستها دراسة علمية فى معزل عن هذا السياق الذى انبثقت منه.

وبذلك كسب الاتجاه السسيولوجى فى دراسة اللغة أنصارا ومؤيدين له من علماء اللغة أنفسهم ـ أمثال فندريس، وأنطوان مييه، ودوسوسور. ويختص علم اجتماع اللغة أيضا بدراسة التعدد اللغوى، والصراع اللغوى، وتباين اللهجات المختلفة المحلية والإجتماعية ـ وغيرها من القضايا العامة التى تشترك فيها مختلف المجتمعات الإنسانية بوصف اللغة ظاهرة إنسانية عامة.

---

(١) تمام حسان : الأصول ـ دراسة للفكر اللغوى عند العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.



وعلى ذلك فعلم الاجتماع اللغوى أو علم اجتماع اللغة هو علم يختص بدراسة اللغة داخل السياق الاجتماعى والعلاقات السائدة بين اللغة والمجتمع الواحد والمجتمعات الإنسانية على المستوى الكلى أو ما يسمى بمستوى دراسة الوحدات الكبرى Macro level مما يستلزم وضع سياسات لغوية أو تخطيطا لغويا على مستوى المجتمع.

بينما برز اتجاه جديد فى نهاية الستينات وبداية السبعينات من هذا القرن ينادى بفرع جديد للدراسات اللغوية يضع فى اعتباره السياق الاجتماعى للمجتمع عند دراسته للغة، ويعنى بالعلاقات الاجتماعية. والتفاعل الاجتماعى بين المتحدثين والمستعمين، والأوضاع الاجتماعية السائدة على مستوى الوحدات الصغرى بالمجتمع Micro Level وقد أطلقوا عليه اسم علم اللغة الاجتماعى.

وقد تطورت الدراسات اللغوية تطورا كبيرا فى العقود الثلاثة الماضية حيث إهتمت الفروع الجديدة سواء فى علم الاجتماع اللغوى أو فى علم اللغة الاجتماعى بالبحوث الحقلية والامبريقية للظواهر المختلفة وعلاقتها بالمجتمع، ولم تعد تقتصر على التنظير البحت[1] وتقديم الأطر النظرية التحليلية من خلال نماذج مثالية. وتوجد الآن دوريتان علميتان لنشر البحوث والدراسات الخاصة بها وهما : الدورية الدولية لعلم إجتماع اللغة.

International journal of the sociology of language.

language in society.

والدورية الثانية وهى اللغة فى المجتمع

٢ ـ مفهومات اللغة : ـ

سنناقش فيما يلى مفهومات اللغة وتعريفاتها فى رأى عدد من العلماء لإلقاء الضوء على اللغة كأداة للتعبير الإنسانى، ووظيفة اللغة والكلمة، وأثر الثقافة فى المفردات اللغوية. وقد عرف «ابن خلدون» ـ مؤسس علم الاجتماع ـ فى مقدمته

(١) هدسون : علم اللغة الاجتماعى ـ ترجمة محمود عياد، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠. ص١٢ ـ ١٨.



الشهيرة التى طبعت فى عام ١٨٨٦ ـ اللغة بأنها «ملكة فى اللسان للتعبير عن المعانى، وهى فى كل أمة بحسب اصطلاحاتهم». كما عرفها «الشيرازى» فى عام ١٣٣٠ هـ فى القاموس المحيط بأنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

وعرف «سابير Sapir» فى عام ١٩٢١ ـ اللغة بأنها «طريقة إنسانية مكتسبة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام معين من الرموز اختاره أفراد المجتمع وتعارفوا عليه».

وعرفها بلوشن وتراجير Bloch & Trager فى عام ١٩٤٢ بأنها : ـ

«نظام من الرموز الصوتية الاختيارية يتعاون بواسطتها أفراد المجتمع»(١).

وتتفق هذه التعريفات على أن اللغة نظام معين من الرموز ذات دلالة ومعنى بالنسبة للأشياء والأحداث الموجودة فى المجتمع، علاوة على أنها وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع وتبادل الأفكار، كما تعتبر اللغة أداة للتفكير.

ويختلف اللفظ الواحد فى اللغات المختلفة من حيث الصوت، ولكنه لا يختلف من حيث المعنى بين مختلف اللغات. وعلى الرغم من اعتماد اللغة على الرموز الصوتية إلى حد كبير، وبالتالى اعتمادها على الألفاظ التى ينطق بها المتكلم، إلا أن هناك جانبا غير لفظى للغة عند الأفراد كالإشارات والإيماءات والحركات باليد أو بالرأس بحيث تعبر عن المعنى المقصود دون النطق به لفظيا. ويتضح هذا الأمر عند عملية تعلم الطفل للغة حيث يبدأ فى تعلم استجابات الإشارات والإيماءات والحركات الجسمية قبل تعلم الكلام، وتقوم هذه الاستجابات الإشارية بالتعبير عما يريده، ونبذ ما لا يريده أو يكرهه. وفى حقيقة الأمر فإن الطفل يتعلم فى المراحل الأولى للغة ـ دلالة الألفاظ ومعناها قبل أن يتعلم الألفاظ ذاتها، وسرعان ما يتطور نموه اللغوى بعد أن يبدأ فى تحديد الاستجابات وتتزايد مفرداته اللغوية.

كما يستعين الصم والبكم بالاشارات والإيماءات للتعبير اللغوى عما يريدونه، كذلك يلجأ الأسوياء إلى تلك التعبيرات غير اللفظية كاستجابة سريعة

---

(١) نوال محمد عطية : علم النفس اللغوى، مرجع سابق، ص ٢٠ .



لردود أفعال دون الإفصاح لفظيا عنها أو للتصرف فى مواقف اجتماعية تستلزم عدم اعلانها لفظيا أمام الناس. وعلى ذلك فاللغة سواء كانت لفظية منطوقة ومسموعة صوتيا أو مرئيا غير منطوقة لفظيا هى وسيلة هامة للتعبير والاتصال بين أفراد المجتمع، بل ويذهب البعض إلى القول بأنه يمكن اعتبار كل أسلوب أو وسيلة يعبر بها الفرد عن فكرة أو انفعال معين - لغة، فالتعبير قد يكون بالصورة أو بالموسيقى أو بالحركات الجسمية أو بالرسم أو بالإشارات أو بالأصوات أو بتقديم الورود وغيره، ولهذا يقال أن الموسيقى لغة للتعبير عن النفس البشرية، وكذلك الرسم والكاريكاتير، وهكذا.

وقد أوضحت «سوزان لانجر Susanne langer» فى عام ١٩٥٤ - أن هناك فرقا بين اللغة اللفظية، والوسائل غير اللفظية من حيث الطريقة التى يتم بها فهم المعانى التى تتضمنها كل منهما. فاللغة اللفظية تستند أساسا على الرموز، ويطلق عليها رموز التتابع أو التوالى، وبالتالى فإن طريقة الفهم لمعانى هذه اللغة تقوم على أساس قراءة الفرد لألفاظ الجملة الواحدة لفظا تبعا لترتيب كتابتها ونطقها طبقا لقواعد اللغة من نحو وصرف. أما فى الوسائل غير اللفظية للغة فيتم انتقال المعنى سواء عن طريق الصور أو الرسوم وغيرها بطريقة كلية فى بادئ الأمر، ثم يتدرج الفرد من الكل إلى الجزء بعد ذلك لفهم تفاصيل الصورة وإدراك المعنى التفصيلى بالكامل.

٣ - اللغة، والكلام، والكتابة، واللسان : -

إذا كانت اللغة كما عرفنا - هى وسيلة للتخاطب والتواصل الإنسانى من خلال فهم وإدراك ما يقال، وهى تتضمن القدرة على التعبير عما فى النفس من خلال تكوين جمل مفيدة، واللغة ظاهرة اجتماعية من صنع الاجتماع الإنسانى بأسره - فإن اللغة لها مظهران هما : -

أ - الكلام : وهو أحد المظاهر الخارجية للغة - وهو ما يسمى بالنطق، وهو نوع من السلوك الفردى يظهر فيما يصدر عن الفرد من أقوال منطوقة أو مكتوبة.



ودراسة الكلام تتناول أمورا عديدة على مستويين هامين هما :ـ

المستوى الأول : دراسة الكلام للتمييز بين شخصية كل فرد ومدى قدرته للتعبير عن غيره من الأفراد ـ ويتم تقييمه فى ضوء عدد من المحكات مثل مدى الأكثار من استخدام المترادفات، والصفات أو النعوت المختلفة، واختيار الجمل القصيرة أو الطويلة، ومدى قدرته على اختيار الألفاظ المناسبة وصحة نطقها، ومدى وضوح الكلام، وما به من عيوب فى النطق ترجع لأسباب عضوية أو نفسية كالثأثأة واللجلجة والتأتأة وغيرها، أى أن تقييم الكلام على مستوى الفرد تحكمه معايير لغوية من لغة قومه ـ بحثا عن السمات الفارقة المميزة له.

أما المستوى الثانى : فيشمل دراسة الكلام بين مختلف الأفراد فى المجتمع ـ لاستخلاص السمات المشتركة ومعرفة مبررات وجودها حتى يمكن للباحثين فى علوم اللغة المختلفة معرفة مدى وجود لغةمشتركة بين هؤلاء الأفراد، وهو ما يعرف بالجماعة اللغوية.

ومن أمثلة ذلك وجود سمات مشتركة بين الناطقين بلغة الضاد من الخليج إلى المحيط مما يؤكد انتماء أبناء الأمة العربية إلى لغة واحدة وهى اللغة العربية، وإن تعددت بلدانها واختلفت لهجاتها ـ كما سيأتى تفصيلا فيما بعد.

ب ـ **الكتابة** : وهى المظهر الثانى الخارجى للغة، وتمثل الجانب المرئى من اللغة إذ تلعب حاسة الإبصار أو اللمس دورا هاما فى نقل اللغة للمخ لفهمها، وهى كما يقول «ابن خلدون» فى مقدمته الشهيرة : ـ

«اللغة ملكة فى اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها فى اليد، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس، وهو ثانى رتبة من الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة، إذ أن الكتابة من خواص الإنسان التى يتميز بها عن الحيوان، وأيضا فهى تطلع على ما فى الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤنه المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم،



فهى شريفة بهـذه الوجوه والمنافع وخروجها فى الإنسان من القـوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم»[1].

أما اللسان : فهـو النمط الاجتـماعى الذى اسـتقـرت عليه اللغـة، أو هو السلوك السوى بالـنسبة للأغلبـية العظمى من أبناء الأمـة الواحدة ـ فالفـرد عندما يتكلم فإنه ينحـرف قليلا أو كثيـرا عن لسانه القومى أى عن النمـوذج السوى فى السلوك اللغوى.

ويعتبر «الفارابى» أول من رتب العلوم اللغوية فـيما أسماه علم اللسان حيث ضم علم اللسان إلى علوم اللغة إلى جانب غيرها من العلوم والمهارات[2].

٤ ـ وظيفة اللغة والكلمة :ـ

اللغة هى أداة التعبـير عما يدور فى الأذهان، ويرى «ثورنديك Thorndike» أن اللغة هى أعظم ابـتكار قام به الإنسان للاسـتفادة من قـدرته على التعبـير عن أفكاره ومشاعره بأسلوب رمزى معين.

وتؤدى اللغة عدة وظائف هامة يمكن إيجازها فيما يلى : ـ

أ ـ تسعى اللغة إلى إشـباع رغبات الفـرد والتعبير عن أفكاره ومـشاعره فى المواقف الاجتماعية المختلفة.

ب ـ لا يقتصـر دور اللغة ووظيفتـها على مجرد الـتعبير عـما فى النفس أو إبلاغ الآخرين عنه، بل تشمل أيضـا استجابة المتلقين للغة ومـا احتوت عليه من تعبير.

جـ ـ تعطى اللغة شعورا بالانتماء للمجتمع للمتحدثين بها.

د ـ تعتبر اللغة وسيلة لإبراز الفكر من حيز الكتمان إلى حيز الظهور.

هـ ـ تسـاعد اللغـة الفرد على التكيف والتـوافق الاجتـماعى والنفـسى مع الجماعة والمجتمع وغيره من الأفراد.

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ـ تحقيق على عبد الواحد وافى، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٢٥٢.

(٢) عبد المجـيد سيد أحمد منصور : علم اللغـة النفسى، الرياض، عمادة شئون المكتبـات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٢٧ ـ ٣١.



و ـ تعتبر اللغة الوسيلة الهامة فى نـقل الثقافة من جيل إلى آخر، وقد لقيت دورا هاما فى هذا المجال قبل أن يعرف الإنسان القراءة والكتابة فى عصور ما قبل التاريخ، وقبل أن يكتشف الأساليب المتعددة لنقل التراث الثقافى.

ز ـ تعتبر اللغة هى عماد التفكير الصامت والتأملى للإنسان، وأداة هذا الفكر فى التعبير عما يجول فى أعماقه.

ولهذا فإن للكلمة دورا هاما فى اللغة، إذ أن الكلام يجعل من اللغة ظاهرة عضوية أو بيولوجية ذات جانبين: أحدهما جانب عضوى Physical يتمثل فى الأصوات المنطوقة ـ والتى تعتبر وحدة مادية للكلام المتصل، وهو بذلك ذو خواص سمعية وعضوية معينة يتناولها بالبحث علم الأصوات.

أما الجانب الثانى فهو الجانب العقلى Mental الذى يهتم بفهم المعنى المقصود من خلال دور المخ والجهاز العصبى واستيعابه لهذا الكلام، ومفهوم مدلولاته.

والكلمة هى أصغر وحدة ذات معنى، ولا يقتصر الكلام على كلمات مفردة وإنما يكون الإنسان الجملة أو العبارة من عدد من الكلمات للتعبير عن العلاقات والارتباطات بين موضوعات وأشياء معينة. وبذلك فإن الصوت والكلمة والتركيب اللغوى هى الوحدات الثلاث للكلام المتصل[1].

ويؤكد علماء علم اللغة الاجتماعى على أن الكلام يؤدى وظائف عديدة فى التعامل الاجتماعى ـ حيث تتعدد وظائفه فى المواقف الاجتماعية المختلفة طبقا لطبيعة ونوع كل موقف، حيث يختلف الكلام الملائم لكل منها وفقا لذلك، فمثلا تختلف وظيفة الكلام عند إلقاء المحاضرات ـ والتى تستهدف التأثير على أفكار المتلقين لا على أفعالهم ـ عنها فى نوع الكلام اللازم لتوجيه بعض العمال فى إنجاز عمل معين.

ومن الوظائف الأخرى للكلام استخدامه فى إقامة العلاقات والروابط الاجتماعية. أو تطويرها، وقد أطلق «مالينوفسكى» على هذه الوظيفة التواصل الودى بين الناس Phatic Communion.

---

(١) نوال محمد عطية : علم النفس اللغوى، مرجع سابق، ص٢١ ـ ٢٢



وقد قام بعض علماء اللغة والفلاسفة بتصنيف الكلام طبقا لوظائفه المختلفة مؤكدين على أن دراسة المعنى يجب أن تبتعد عن التراكيب الجوفاء بمعزل عن سياقها، ذلك لأن اللغة تستخدم عادة داخل سياق الكلام للتعبير عن المعنى وتأدية كثير من الوظائف.

وانتهى هؤلاء العلماء إلى تصنيف الكلام إلى ثلاثة أنواع رئيسية وهى : -

أ ـ العبارات الأدائية Performative Utterances مثل عبارات أسماء الأشياء وغيرها ـ ومثل اسم السفينة الذى أطلق عليها، إسم القمر الصناعى الذى أطلقته الولايات المتحدة مؤخرا. . . إلخ.

ب ـ عبارات الفعل الكلامى لإنجاز عمل معين ـ مثل «ارفع معى هذا إلى أعلى»، وغيرها من العبارات. وقد فرق العلماء بين الفعل الكلامى، وبين نتائج هذا الفعل، أو ما يسمى برد الفعل الناجم عن قوته التأثيرية لاستجابة المتلقى للكلام ومدى ترحيبه بالاستجابة للفعل والنتائج المترتبة عليه، ومدى ارتياحه ورضاه عن ذلك أو عدم سعادته بذلك.

جـ ـ الكلام للحصول على معلومات : ويشمل السعى للحصول على إجابات للتساؤلات التى يطرحها المتحدث، ويود معرفة معلومات عنها[1].

وللثقافة تأثير كبير على المفردات اللغوية، فهى على حد قول «مالينوفسكى» تعتبر المرآة الصادقة التى تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من ثقافة ونظم وعادات وتقاليد واتجاهات.

ويؤكد علماء اجتماع اللغة على أن التطور الثقافى والحضارى لأى أمة يؤثر تأثيرا بالغا فى مدلولات الألفاظ، حيث يتجه بها وجهة معينة قد تبتعد قليلا أو كثيرا عن أوضاعها الأولى، تبعا لمدى درجة التطور الثقافى[2].

---

(١) هدسون : علم اللغة الاجتماعى، مرجع سابق، ص ١٧٢ ـ ١٧٦ . .

(٢) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع، جدة، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٧٩ .



ثانيا- تصنيفات الدراسات اللغوية وفروعها :-

قدم علماء الدراسات اللغوية عددا من التصنيفات لتلك الدراسات تمثل فروعاً للدراسات اللغوية أو فروعا لعلم اللغة بوجه عام أو مجالات هذا العلم.

وسوف نلحظ من خلال عرضنا لتلك التصنيفات تباين وجهات نظر العلماء فيها، لكن هذا التباين يعكس لنا تعدد فروعها وانتماءها المشترك لعلم اللغة أو الدراسات اللغوية، وفيما يلي نعرض التصنيف الأول لمجالات علم اللغة : -

١ - البحوث اللغوية لنشأة اللغة وتطورها حتى وصلت إلى مرحلة الأصوات ذات الدلالات.

٢ - علم اللهجات : ويدرس انقسام اللغة إلى عدة لهجات، وتفرع اللغة العامية لكل لهجة.

٣ - علم الأصوات : ويدرس الأصوات التى تتكون منها اللغة، وما تعتمد عليه من أعضاء النطق، واختلاف الأصوات Phonetic.

٤ - علم الدلالة Semantics : ويدرس اللغة من حيث دلالتها بالنسبة للفرد، أى من حيث إنها أداة يستخدمها الفرد للتعبير عن معانى الألفاظ كما تتراءى له. ويعتبر علما الصوت والدلالة من أهم فروع علم اللغة.

٥ - علم المفردات : ويختص بالبحث فى معانى الكلمات ومصادرها، واختلافها فى لغة ما باختلاف الأفراد والعصور، حيث تنشأ معان جديدة للكلمة الواحدة وتندثر معان سابقة، ومحاولة معرفة العوامل التى تؤثر فى تلك الظواهر.

٦ - علم البنية Morphology : ويختص بدراسة نواحى الشكل والتركيب للصيغ اللغوية، وتصريف المفردات اللغوية والاشتقاقات اللغوية منها.

٧ - علم النحو والإعراب : ويبحث فى كلمات الجملة وترتيبها وأثر كل كلمة منها فى الأخرى تقديما وتأخيرا، وأنواع الجمل.

٨ - علم الاجتماع اللغوى Sociolinguistics ويختص ببحث العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية باعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية، كما يدرس أثر المجتمع ونظمه فى مختلف الظواهر اللغوية.



٩ ـ علم النفس اللغوى Psycholinguistics ويهتم هذا العلم بدراسة العلاقة بين اللغة والظواهر النفسية المختلفة للفرد، والعمليات العقلية كالتفكير والتذكر التى تصاحب اللغة المنطوقة (الكلام) أو الاستجابة للمتحدثين، والتعليم، والاتصال.

وهناك تصنيف آخر لفروع علم اللغة ومجالاته[١] ـ على النحو التالى :

١ ـ البحوث الخاصة بأصل اللغة ونشأتها، والمراحل التى مرت بها حتى وصلت إلى مرحلة الأصوات ذات الدلالة.

٢ ـ البحوث المتعلقة بحياة اللغة : وتشملٌ انتشار اللغة أو اندثارها والصراع اللغوى، وانقسام اللغة إلى لهجات متعددة مثل اللهجات المحلية واللهجات الاجتماعية.

٣ ـ دراسة الأصوات التى تتألف منها اللغة، وبيان أقسامها وفصائلها وخواص كل قسم ومخارجه، وما تعتمد عليه من أعضاء النطق (علم الأصوات الكلامية).

٤ ـ علم الدلالة : يعنى بدراسة اللغة من حيث دلالتها، أى من حيث إنها أداة للتعبير عما يجول بالخاطر. ويبحث علم الدلالة فى معانى الكلمات، والبحث فى القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات، وأقسام الكلمات (اسم ، فعل، حرف..).

٥ ـ دراسة «أصول الكلمات» بالرجوع إلى أصل كل كلمة فى النصوص الإغريقية واللاتينية القديمة فيما عرف باسم الفيلولوجيا.

٦ ـ علم الاجتماع اللغوى : ويهتم بالعلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية فى المجتمع ونظمه المختلفة، ودراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية.

٧ ـ علم النفس اللغوى : يهتم بدراسة العلاقة بين اللغة والظواهر النفسية للفرد مثل الخيال، والتفكير، والوجدان، والتذكر، وغيرها.

---

(١) على عبد الواحد وافى : علم اللغة، القاهرة، ط٩، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٤، ص ٦ ــ ١٤.



وهناك تصيف ثالث للفروع الرئيسية لعلم اللغـة ـ حيث قسمها العلماء إلى شعبتين رئيسيتين هما . ـ

أولا ـ علم اللغة النظرى أو ما يطلق عليه علم اللغة العام.

ثانيا ـ علم اللغة التطبيقى.

الشعبة الأولى ـ وهى علم اللغة النظرى : heoretical Linguistics

نجد فـيها عـلم اللغة النظرى أو علم اللغـة العام يبحث فى اللـغة ومناهج البحث فـيها، ويرسم الأسس المنهـجية للتـحليل اللغوى من الجوانب الصـوتية والصرفية والنحوية والمعجميـة، ويبين العوامل المؤثرة فى حياة اللغة ووجودها، ويسعى إلى تطوير مناهج علم اللغة.

ويندرج تحته عدد من فروع المعرفة المتعلقة بدراسة اللغة وهى : ـ

١ ـ علم الأصـوات بفروعه المـتعـددة مثل علم الأصـوات النطقى، وعلم الأصوات السمعى، ودراسة النظام الصوتى فى اللغات.

٢ ـ علم القواعد : ويدخل تحته علم الصرف وهو العلم الذى يعنى بدراسة بنية الكلمة، وبنية الجملة وشبه الجملة وأنواعها.

٣ ـ علم اللغـة التاريخى : يدرس هذا الفـرع تطور اللغات عـبر العـصور المختلفة من الناحية الصوتية والصـرفية والنحوية والدلالية، والأسر اللغوية ومدى ارتباط اللغات المختلفة وتقاربها مع بعضها البعض لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها.

٤ ـ علم الدلالة : ويدرس العلاقة بين الرمز اللغوى ودلالته، وتطور معانى الألفاظ من الناحية التارخية، وتأثير المجاز من كناية واستعارة.

أما الشعبة الثانية ـ وهى علم اللغة التطبيقى : Applied Linguistic

فينطوى تحتهـا عدد من العلوم التطبيقية لاستخدامـات اللغة فى المجالات المختلفة بمنظورات متعددة من حيث التعلم، والتعليم، والمعاجم اللغوية، واللغة كظاهرة اجتماعية، والتفاعل بين اللغة والمجتمع.



ولهذا تضم هذه الشعبة فروعا متعددة وهى : علم اللغة النفسى، وعلم اللغة الاجتماعى، وعلم الاجتماع اللغوى، وصناعة المعاجم وقواميس اللغة، وتعليم اللغات، وتصميم اختبارات اللغة، ومحو الأمية[1].

ثالثا- مناطق الاهتمام بدراسة اللغة :-

اللغة ظاهرة اجتماعية وإنسانية قديمة ارتبطت بوجود الإنسان منذ نشأة الخليقة، ولكن العناية بالدراسات اللغوية على اختلاف أنواعها برزت فى ثلاث مناطق رئيسية من العالم، حيث تبنت كل منها اتجاها متميزا فى دراستها للغة وفروعها المختلفة. ويظهر ذلك على النحو التالى : -

١ - فى أوربا : -

كانت نقطة البداية فى نشأة الدراسة اللغوية قد جاءت نتيجة للاهتمام بدراسة اللغتين اللاتينية والإغريقية وإحيائهما بعد أن ظهر عصر النهضة فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر مستندا على حضارتى الإغريق والرومان. لهذا برز الاهتمام بدراسة النصوص القديمة للغتين اللاتينية والإغريقية فيما عرف باسم «الفيلولوجيا»، وتعتبر الفيلولوجيا هى الأصل الذى تفرع منه علم اللغة أو اللسانيات Linguistics فى أوربا.

وقد تطورت الفيلولوجيا بعد ذلك تطورا كبيرا، إذ تحولت من دراسة النصوص القديمة إلى دراسة وتحليل النصوص والوثائق الحديثة، ثم تطورت إلى دراسة ومقارنة الظواهر التاريخية، ثم تحولت إلى دراسة ووصف الأنظمة القائمة باللغات الحية.

هكذا كانت نشأة علم اللغة فى أوربا - من منطلق علم الفيلولوجيا أو علم دراسة النصوص القديمة للغتين اللاتينية والإغريقية، ولكن علم اللغة قد تطور من فكرتى القدم والمقارنة وأضاف إليهما فكرتى المعاصرة والوصف.

---

(١) عبد المجيد سيد منصور : علم اللغة النفسى، مرجع سابق، ص ٨ - ١٢ .



٢ ـ فى الولايات المتحدة الأمريكية :

لم تكن الفيلولوجيا هى نقطة البداية فى الاهتمام بالدراسات اللغوية فى الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما بدأ الأمريكيون من الدراسات الأنثروبولوجية التى قاموا بها من خلال اهتمامهم بدراسة اللغويات المختلفة ودراسة اللهجات باعتبار أن اللغة هى أداة التواصل الإنسانى فى نقل الثقافة من جيل إلى آخر.

ولهذا اهتمت البحوث اللغوية الإمبيريقية بدراسة اللهجات المختلفة للمجتمعات البدائية والهنود الحمر، وتأثير الثقافات الأصلية على الجماعات المهاجرة للولايات المتحدة الأمريكية[1]. وفى ضوء تلك الاهتمامات نجد أن المدرسة الأمريكية قد عنيت بدراسة اللغة وفروعها بوصفها أحد عناصر الثقافة ـ التى تعتبر الموضوع الرئيسى ـ فى فرع الأنثروبولوجيا الثقافية، ويضم هذا الفرع الأقسام التالية : ـ

أ ـ دراسة اللغويات.

ب ـ دراسة آثار ما قبل التاريخ.

جـ ـ الإثنولوجيا.

د ـ الأثنوجرافيا.

٣ ـ فى الجزيرة العربية :ـ

تميزت الجزيرة العربية بخصوصية معينة نتيجة لنزول القرآن الكريم بلسان عربى فيها تكريما من الله عز وجل وتعظيما لشأن اللغة العربية، حيث جاء الإعجاز القرآنى وقوة بيانه ليكون آية من عند الله للمشركين من فصحاء العرب، ولتكون المعجزة اللغوية للقرآن الكريم من جنس ما اشتهر به العرب من بلاغة وفصاحة ولكنه يفوقهم فى ذلك ليعتبر أولو الألباب.

وقد ساهم هذا فى نشأة علم النحو، والرواية ـ حيث شملت المادة المروية القصص القرآنى، والسيرة النبوية. وقد أفادت الدراسات القرآنية الشعر الجاهلى

---

(١) تمام حسان : الأصول ـ دراسة للفكر اللغوى عند العرب، مرجع سابق، ص ٢٨٦ .

(٢) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٣ .



ومكنته من البقاء وشاعت روايته بين المسلمين ـ على الرغم من أنه كان يصف الحياة الجاهلية ويمجد طرق سلوكها، والتى أبطلها الإسلام ـ كما أن رواية هذا الشعر ساعدت على فهم ودراسة النصوص القرآنية فيما اشتملت عليه من المعانى على فهم ودراسة النصوص القرآنية فيما اشتملت عليه من المعانى والإعجاز والمجاز والأساليب والتراكيب والغريب من الألفاظ. وهكذا فإن انتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام، ومن النطاق العربى الضيق الذى تميزت به مدنيتهم فى عصر بنى أمية إلى الأفق العالمى الواسع الذى تحولوا إليه فى عصر بنى العباس ـ كان لهذين الانتقاليين أجل أثر فى نهضة لغتهم ورقى أساليبها واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل العلوم(١).

وقد أغمط الأوربيون المحدثون علماء اللغة العربية حقهم عند التأريخ للدراسات اللغوية، إذ يقتصرون فى ذلك على عرض جهودهم منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ـ باستثناء إشارات قصيرة عن جهود العلماء العرب أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه ـ فى دراسة الأصوات والمعاجم(٢).

وإن كان المستشرق الألمانى شاده ـ قد أشار إلى جهد العلماء العرب، وإسهامهم فى الحضارة الإنسانية من خلال الدراسات اللغوية التى قدموها فى ميدان النحو والصرف والأصوات والمعاجم، وقد خص بالدراسة جانب الأصوات فى بحث بعنوان : «علم الأصوات عند سيبويه وعندنا» أثنى فيه على جهود سيبويه، وأبرز دور الحنجرة ووظيفتها الصوتية(٣).

وقد كان القرآن الكريم صاحب الفضل فى نشأة الدراسات اللغوية فى التراث الإسلامى. فالقرآن نص لغوى اقتضت العناية به الخوض فى دراسات لغوية وأدبية تطورت بمرور الزمن إلى ما نراها عليه الآن، بفضل الجهود التى

---

(١) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص١٣ .

(٢) Crystal, David : what is Linguistics ?. Second Edition, London, and New york, Longnan, 1979.

وقد نقله إلى العربية د/ حلمى خليل ـ تحت عنوان : التعريف بعلم اللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاسكندرية، ١٩٧٩ .

(٣) عبد الصبور شاهين : فى علم اللغة العام، القاهرة، دار العلم، ١٩٦٧، ص٢١



عكف عليهاعلماء المسلمين والعرب فى الضبط والتشكيل خوفا عليه من التحريف أو اللحن بعد أن تعددت ألسنة الداخلين فى الإسلام.

وقد كان أبو الأسود الدؤلى، وعبد الرحمن بن هرمز من أوائل علماء اللغة العربية، كما كان ابن حجر العسقلانى أول من ضبط المصحف، وكان أبو عمرو بن العلاء، وعلى بن حمزة الكسائى - من أشهر أعلام ضبط المصحف، واللغة والنحو.

ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الكتب المقدسة تستحث دائما الباحثين لاستخراج مكنونات العقول، ويشيرون أيضا إلي أن كتاب الفيدا Rig Vida الذى يقدسه الهنود كان سببا فى ارتقاء دراساتهم اللغوية حيث قدموا نحوا وصفيا للغة السنسكريتية بالغ الدقة، ويعد بانيتى من خيرة النحاة الوصفيين القدماء لديهم[1].

رابعا - دراسة اللغة من منظورى علم اجتماع اللغة، والأنثربولوجيا الثقافية :

يهتم علم اجتماع اللغة بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية لها خصائصها المميزة - وذلك باعتبار أن علم الاجتماع العام يختص بدراسة الظواهر الاجتماعية والنظم الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية السائدة فى المجتمع.

وبذلك فإن علم الاجتماع اللغوى أو علم اجتماع اللغة يعتبر أحد فروع علم الاجتماع العام التى تهتم بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية.

وكما هو معروف فإن الظاهرة الاجتماعية Social Phenomenon تتسم بعدة خصائص أو صفات فهى من صنع الاجتماع الإنسانى وليست من صنع فرد أو جماعة معينة، ولهذا فهى نتاج العقل الجمعى.

وكذلك فإنها تتمثل فى نظم عامة يشترك أفراد المجتمع فى اتباعها، ويتخذونها أساسا لتنظيم حياتهم الجمعية، وتنسيق العلاقات التى تربطهم بعضهم ببعض والتى تربطهم بغيرهم.

---

(١) البدراوى زهران : مقدمة فى علوم اللغة، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣، ص١٣ - ١٧ .



بالإضافة إلى أن خروج الفرد على أى نظام منها يعرضه للجزاءات الاجتماعية من قبل المجتمع، وتتفاوت هذه الجزاءات تبعا لدرجة الخروج عما تعارف عليه المجتمع بدءا من التهكم أو السخرية إلى نبذ الجماعة إلى العقوبة التى قد تصل إلى حد الطرد من المجتمع. ويواكب تلك الخصائص أيضا أن الظواهر الاجتماعية تتميز عن غيرها من الأحداث الاجتماعية بأنها تتسم بالعمومية والانتشار، أى أنها عامة ومنتشرة على نطاق واسع. وأنها تتصف بالاستمرار والثبات النسبى على عكس الموضات أو التقاليع التى تختفى بنفس السرعة التى تظهر بها.

وإذا استخدمنا تلك السمات والخصائص العامة للظاهرة الاجتماعية على اللغة ـ كمقياس نقيس به مدى توافرها فى اللغة، لتبين لنا ما يأتى : ـ

١ ـ أن اللغة هى نتاج العقل الجمعى ـ وليست من صنع فرد أو جماعة معينة، بل هى من صنع الاجتماع الإنسانى، إذ إن اللغة بما تحويه من رموز تكتسب دلالتها من المعنى الذى يتعارف عليه المجتمع أو الاجتماع الإنسانى، إذ يعتبر العقل الجمعى للمجتمع هو محصلة تفكير وعقول أفراد المجتمع ـ وهو الإطار المرجعى لتفكير المجتمع ككل.

ومهما اختلف العلماء فى تفسير نشأة اللغة إلا أنهم يتفقون فى أنها محصلة لتفكير المجتمع وأداة للتواصل الإنسانى والتعبير عن عقل الأمة وخصائصها.

٢ ـ أن الظاهرة الاجتماعية تتمثل فى نظم عامة مشتركة يتبعها أفراد المجتمع، وهذه الخاصية تنطبق بشكل واضح على اللغة بوصفها نسقا من الرموز تمثل نظاما تعارف عليه المجتمع كأداة للاتصال والتواصل يلتزم به أفراد المجتمع لتحقيق التفاهم المنشود بينهم، من خلال نظام معرفى يقوم على نقل المعارف والمعلومات من خلال مضمون الرسالة بين المرسلين أو المتحدثين والمستقبلين أو المستمعين ـ سواءً اتخذت اللغة من الكلام نظاما للتواصل، أو الكتابة نظاما للإبلاغ، أو الإشارات المختلفة نظاما للتعبير بدلا من الكلام كما يحدث فى حالات الصم والبكم أو فى بعض المواقف الاجتماعية لتفادى حرج معين.



ويندرج تحت الإشارات المختلفة الحركات الجسمية، والإيماءات المختلفة، وإشارات اليدين، وتعبيرات الوجه المختلفة، والصيحات وغيرها من وسائل التعبير المختلفة.

٣ ـ إذا كانت الظاهرة الاجتماعية توصف بأن خروج أى فرد على أى نظام منها يعرضه للجزاءات الاجتماعية Social Sanctions أو العقوبات المادية والأدبية للحيلولة بينه وبين ما يهدف إليه فى التمرد عليها ـ فإن اللغة هى أبرز الظواهر الاجتماعية التى تنعكس عليها ردود فعل المجتمع إذا حاول فرد الخروج عليها، إذ يتعرض للنقد والسخرية بل ويصل الأمر إلى نبذه ومعاقبته(١).

وتعتبر تلك الجزاءات الاجتماعية التى يوقعها المجتمع على من يحاول الخروج على الظاهرة الاجتماعية ـ نوعا من إبراز قوة المجتمع وهيمنته لفرض احترام الأفراد للغة كظاهرة اجتماعية بوصفها تمثل فكر العقل الجمعى للمجتمع وجماعاته، إذ أن التراخى فى ذلك يعنى استهانة أفراد المجتمع بكافة القيم Values السائدة فيه.

٤ ـ تتصف اللغة كظاهرة اجتماعية بالعمومية والانتشار والثبات النسبى والاستمرار عن غيرها من الأحداث الاجتماعية فهى تختلف عن الموضوعات أو التقاليع التى تظهر لفترة معينة ولكنها تختفى بنفس السرعة التى ظهرت بها.

واللغة ـ تتسم بأنها عامة ومنتشرة فى كافة أنحاء المجتمع الواحد بين مختلف فئاته الاجتماعية المهنية والحرفية، والطبقات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها. وكذلك فى مختلف مناطقه الجغرافية، وبذلك فإن اللغة مهما تباينت فى لهجاتها الاجتماعية، ولهجاتها المحلية ـ لكنها تنتمى إلى أصل واحد يجمع بينها كما تتميز اللغة بالثبات النسبى والقدرة على الاستمرار لفترة طويلة من الزمن

---

(١) يرجع الفضل فى إبراز هذه الخواص إلى العامل دوركايم فى كتابه «قواعد المنهج فى علم الاجتماع» ـ الذى قام بترجمته للغة العربية د. محمود قاسم ـ ولمزيد من التفاصيل انظر أميل دوركايم قواعد المنهج فى علم الاجتماع، ترجمة : محمود قاسم ـ مراجعة : السيد محمد بدوى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤.



ـ حتى إذا دخلت اللغة مع غيرها من اللغات فى حالة من الصراع اللغوى، فإن هذه الحالة تستغرق عدة قرون من الزمان حتى يمكن أن تنتهى إلى نتيجة حاسمة لهذا الصراع والذى قد ينتهى إما بحالة من التعادل أو هزيمة إحدى اللغات المتصارعة وانهيار حصونها نتيجة لانهيار قواعدها اللغوية واستسلامها للغة المنتصرة وانقراضها، وتحدث كافة الألسن باللغة المنتصرة.

وعلى ذلك فإن علم الاجتماع اللغوى يعنى بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، ويعتبر هذا العلم هو أحد فروع علم الاجتماع العام مثل علم الاجتماع الدينى، وعلم الاجتماع التربوى، وعلم الاجتماع الاقتصادى، وعلم الاجتماع الصناعى، وعلم الاجتماع السياسى، وعلم الاجتماع الريفى، وعلم الاجتماع البدوى، وعلم الاجتماع الحضرى، وعلم الاجتماع القانونى، وغيره من فروع علم الاجتماع العام.

وبالإضافة إلى هذا فإن علم الاجتماع اللغوى يختص بدراسة اللغة داخل السياق الاجتماعى والعلاقات السائدة بين اللغة والمجتمع الواحد أو المجتمعات الإنسانية على مستوى الوحدات الكلية الكبرى ـ وليس على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى.

بينما نجد أن علماء الأنثربولوجيا الثقافية يهتمون بدراسة اللغة من منظور آخر باعتبار أن اللغة تعتبر عنصرا هاما من عناصر الثقافة التى تعتبر هى الموضوع الرئيسى لدراسة الأنثربولوجيا الثقافية.

وقد عنيت الأنثربولوجيا الثقافية بدراسة اللغويات، وتحليل أوجه التشابه والاختلاف بين اللهجات واللغات المختلفة فى المجتمعات البدائية والتقليدية والحديثة، بل وحققت تقدما ملحوظا فى بحوثها الحقلية لتطوير دراسة اللغات المختلفة نتيجة لذلك حتى تبلورت هوية واضحة للأنثربولوجيا اللغوية ـ والتى أسهمت بدورها فى فهم المشكلات العرقية وتطوير بحوث الأنثربولوجيا الاجتماعية والأنثربولوجيا البيلوجية.



ويؤكد بواس Boas عالم الأنثربولوجيا الأمريكي الشهير هذا المعنى بقوله :

«إن دراسة اللغة تعتبر من أهم فروع الدراسة الإثنولوجية، إذ يتعذر الإلمام بالمشكلات الإثنولوجية دون معرفة كافية باللغة، وفي الوقت نفسه فإن اللغة هي المرآة التي تنعكس عليها خصائص الأمم وتقاليد الشعوب»(١).

وبذلك فإن هناك علاقة وثيقة بين الأنثربولوجيا واللغة ـ ذلك «لأن الأنثربولوجي لا يستطيع فهم ثقافة ما إذا كان يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير مهما أدرك رموزها الأخرى غير اللسانية»(٢).

ويستعين علم اللغة بالدراسات الأنثربولوجية في الوقوف على نشأة الفصيلة الإنسانية، ونشأة مراكز اللغة عند الإنسان ونشأة أجهزة السمع والنطق والتطورات التي اجتازتها الفصيلة الإنسانية فيما يتعلق بالتكوين الجسمي للإنسان وتطور أعضاء النطق والكلام وحواس السمع واللمس والإبصار، والوقوف على قوانين الوراثة وانتقال الصفات الجسمية من الأصول إلى الفروع، وبيان أثر هذه الظواهر في اللغة الإنسانية من حيث نشأتها وانتشارها وتطورها(٣).

وتشتد حاجة اللغة إلى الدراسات الأنثربولوجية ـ وخاصة بفرعها المعروف بالأنثربولوجيا البيولوجية Physical Anthropology في الدراسات اللغوية المتصلة بالأصوات أو الصوتيات Phonetics، بينما تزداد الحاجة إلى علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى في الدراسات اللغوية المتعلقة بدراسة المعنى والدلالة Se-mantique.

---

(1) Boas, F. : introduction in, Handbook of American Indian Languages, Part I, Bulletin 40, Bureau of American Ethnology Washington D . C., 1911, P. 73.

(٢) زكي محمد إسماعيل . الأنثربولوجيا والأدب العربي، الإسكندرية، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٩٢، ص٧

(٣) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة، ط٩، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص٣٣ .



خامساً- علاقة اللغة بالعلوم الأخرى :-

ترتبط اللغة بعدد من العلوم الاجتماعية والطبيعية والطبية ارتباطا وثيقا، ذلك لأن اللغة كظاهرة اجتماعية إنسانية تتأثر بالظواهر الأخرى كالظواهر السياسية والاقتصادية والنفسية والتاريخية والجغرافية.

وللغة علاقة وطيدة كما أسلفنا بعلمي الاجتماع، والأنثروبولوجيا، ولها علاقة مماثلة بعلم النفس : إذ إن الإنسان عندما يتكلم يختار ألفاظه ومفرداته اللغوية وفقا لمعرفته، وإدراكه للمواقف الاجتماعية التي يمر بها، وأفكاره التي يحملها. كذلك فإن السامع أو المستمعين لحديثه يحددون استجاباتهم له وفقا لمدى اقتناعهم بقوله ـ وعلى هذا فإن اللغة سلوك اجتماعي تحركه الدوافع.

بالإضافة إلى أن عملية تعلم الطفل للغة ومراحلها ـ كلها تعتمد على عمليات عقلية وسيكولوجية كالإدراك الحسي والتفكير وإدراك المعاني والحكم والاستدلال والذاكرة والتذكر وتداعي المعاني ودرجة الانتباه والحالات الوجدانية.

كما أن اللغة تعتبر انعكاسا للدوافع الإنسانية وتعبيرا عن السلوك الإنساني في مختلف المواقف الاجتماعية، ويهتم علم النفس اللغوي بدراسة هذه الدوافع وفهم السلوك الإنساني في ضوء تلك العوامل.

من هذا يتبين لنا أن علم النفس إذا كان يهتم بكافة العمليات العقلية والتفكير والدوافع والسلوك ـ سواء على مستوى الشعور أو اللاشعور، ومعرفة الشخصية وأنماطها، فإن اللغة هي أداة التعبير ووسيلته الهامة في الإفصاح عن مكنونات الإنسان وما يدور بعقله ووجدانه وفكره من مشاعر وأحاسيس في كافة المواقف الاجتماعية والحياتية.

أما عن علاقة اللغة بعلم الجغرافيا :-

فإن العوامل الجغرافية والمواقع الطبيعية الخاصة بالموقع كالجبال والأنهار وغيرها وطبيعة المناخ والتضاريس كلها عوامل تؤثر في درجة الاتصال أو العزلة الاجتماعية التي يمكن أن تحياها اللغة واللهجات الاجتماعية والمحلية المتصلة بها، بل وتؤثر في إمكانية حدوث التغير الاجتماعي للمجتمعات وبالتالي تؤثر في درجة انتشار اللغة أو دخولها مع لغات أخرى في عمليات الاحتكاك والصراع اللغوي.



بل ويؤثر الموقع والعوامل الجغرافية الأخرى المتصلة بالموارد الطبيعية والثروات المعدنية والنفطية فى توجه السكان نحو الهجرة الداخلية أو الخارجية، فالمجتمعات المحدودة الموارد عادة ما تكون مجتمعات طاردة لسكانها وتزداد فيها حركات الهجرة، والغزو على عكس المجتمعات وفيرة الموارد فإنها تكون فى أغلب الأحيان مجتمعات جاذبة للعمالة الخارجية وتندر الهجرة الخارجية منها بل تبرز بها الهجرة الوافدة إليها من مجتمعات أخرى.

وتؤدى حركة الهجرة والحراك الاجتماعى الأفقى والرأسى إلى مزيد من التغيرات الاجتماعية التى يستتبعها بالضرورة انتشار اللغة فى مناطق جغرافية جديدة، أو الدخول فى مزيد من الاحتكاك اللغوى بين لغات متعددة.

علاقة اللغة بعلم التاريخ :ـ

للغة علاقة وطيدة بالتاريخ، فالتاريخ هو سجل حافل للأمم والشعوب يتناول بالتحليل والوصف الأحداث التى مرت بها، ويستلهم الماضى فى رصده للواقع الراهن ـ بل إن المؤرخين المحدثين لا يقصرون علم التاريخ على قراءة الماضى والحاضر، بل يسعون إلى استشراف المستقبل فى ضوء الخبرات والأحداث السابقة والراهنة. ولهذا فإن اللغة وهى أداة التواصل الإنسانى بين الشعوب من أكثر الجوانب التى تنعكس عليها الأحداث التاريخية وخصائص الأمم والشعوب وما تمر به من تحولات تاريخية.

ولهذا كانت اللغة زادا ومعينا لا ينضب لصياغة العقل الجمعى وتوجيه الأمة نحو غاياتها، فلغة الحرب وإعداد الشعوب للكفاح المسلح تعتبر أداة لتحقيق النصر ـ وهى غير لغة السلم إذا ما جنحت الأمة نحو السلم بعد تحقيق مآربها.

بل ويحدثنا التاريخ عن اللغات الإنسانية المتعددة التى بادت أو انقرضت وعن لغات أخرى حية، وذلك عبر أزمنة وعهود بعيدة ـ وأسباب الصراع اللغوى ـ وما يصيب اللهجات المختلفة من تغيرات.

علاقة اللغة بعلوم وظائف الأعضاء والتشريح والبيولوجيا :ـ

يتصل علم اللغة بعدد من العلوم الطبية مثل علوم وظائف الأعضاء والتشريح والبيولوجيا حيث تعنى هذه العلوم بدراسة أعضاء النطق والكلام والسمع



وتحليل مخارج الحروف، وعلاج عيوب النطق والكلام من الناحية العضوية، والوقوف على مدى أدائها لوظائفها، وكيفية قيامها بهذه الوظائف، واختلافها باختلاف الأفراد، وتطور وظائفها فى المراحل العمرية المختلفة للفرد، ونشأة مراكز اللغة عند الإنسان ونشأة أجهزة السمع والنطق، ودراسة تأثير العوامل الوراثية فى انتقال الصفات الجسمية عبر الأجيال المختلفة من الآباء إلى الأبناء - وتأثير ذلك على اللغة الإنسانية من حيث نشأتها وانتشارها وتطورها.

علاقة اللغة بعلم الطبيعة :-

تستعين اللغة ببحوث علم الطبيعة فى دراسة الصوتيات، وتحليل الصوت والوقوف على خواصه وقوته ومدته وموجاته الصوتية وعدد ذبذباته ودرجة انتشاره وطرق التمييز بين الأصوات المختلفة والفروق الفردية بين المجموعات الصوتية لكل نوع، وتحليل بصماتها الصوتية المتمايزة.

وهكذا يتضح لنا أن علم اللغة يرتبط بعدد كبير من العلوم الاجتماعية والعلوم الطبية والطبيعية من جوانب متعددة بوصف الإنسان هو محور اهتمام كل هذه العلوم.

سادساً- التطبيقات العملية لعلم الاجتماع اللغوى فى الحياة العامة :-

لم تعد الدراسات اللغوية تقتصر على البحوث النظرية للغة من مداخل نظرية متعددة لمختلف العلوم كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والأنثربولوجيا، والعلوم اللغوية المتخصصة، وإنما أضحت تهتم بالجوانب التطبيقية للدراسات اللغوية فى الحياة العامة.

ونظرا لأن اللغة - هى محور الاهتمام الأساسى لكل تلك المداخل، فإننا رغم محاولتنا إبراز التطبيقات العملية لها فى مجال علم الاجتماع اللغوى - إلا أنها بالضرورة ستظهر من خلالها الأهمية العملية للدراسات اللغوية ككل.

وفيما يلى نعرض لأهم المجالات التطبيقية :-

١ - يسهم علم الاجتماع اللغوى فى تطوير دراسة اللغويات، وتحسين أساليب تعليم اللغات المختلفة واللهجات المتصلة بها. وذلك فى ضوء نتائج بحوثه الإمبريقية على كافة المجتمعات، ومعرفة أنسب الطرق لتعلم لغاتها



ولهجاتها، ودراسة البناء اللغوى لكل لغة أو لهجة وتكوينها المورفولوجى وبناء الجملة وموقع اللفظ أو الكلمة داخل الجملة وهو ما يعرف بدراسة اللغة فى ضوء الاتجاه البنائى أو ما يعرف بالبنائية الوظيفية وتأثير موقع اللفظ داخل سياق الجملة على كل من المعنى والدلالة لكل من اللفظ والجملة.

ويستفيد علم نفس التعلم من تلك النتائج فى تطوير أساليب التعلم ووسائله وأدواته بما يتلاءم مع المراحل العمرية للدارسين لتلك اللغات. كما تبرز نتائج البحوث السوسيولوجية فى مجال اللغة الصعوبات التى تواجه الدارسين، حتى يتسنى للخبراء وضع الخطط اللازمة للتغلب عليها وتذليلها، مما يفيد المتخصصين فى التربية وطرق التدريس لتعليم اللغات الأجنبية المختلفة.

٢ ـ يمكن الاستفادة من البحوث الحقلية فى علم الاجتماع اللغوى فى الكشف عن العوامل الاجتماعية لتطور اللغة كظاهرة اجتماعية والتى تشمل الخصائص العقلية للأمة وسمات الشخصية القومية أو الوطنية، والعوامل المؤثرة فى عملية انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، ومدى تأثر اللغة بلغات أخرى خلال عملية الاحتكاك اللغوى، وعوامل العزلة الاجتماعية والاتصال التى تؤثر بشكل مباشر فى درجة تطور اللغة، ومدى فاعلية التغير الاجتماعى وانعكاساته على اللغة.

٣ ـ يساعد علم الاجتماع اللغوى من خلال دراسته للغة وتفرعها إلى الفصحى والعامية ودراسة اللهجات المختلفة (الاجتماعية والمحلية) ـ فى تحديد العلاقة بين تلك الفروع، وغربلة التراث اللغوى لمعرفة الألفاظ الدخيلة التى تسربت إلى اللغة من لغات أخرى فى محاولة لمساعدتها على مواجهة الغزو الثقافى والصراع اللغوى وطغيان إحداها على الأخرى.

٤ ـ توجيه العلماء والمفكرين والأدباء لنقاط الضعف والانحلال التى قد تطرأ على اللغة الفصحى بوصفها لغة الأدب والفكر للمحافظة عليها والارتقاء بها ـ من خلال تشجيع الحركات الأدبية والفكرية والثقافية فى الانفتاح على الثقافات الأخرى، وانتقاء ما يتلاءم منها مع التراث الثقافى الوطنى لكل أمة بما يحفظ



عليها أصالتها وتحديثها في نفس الوقت بصورة متوازنة، أو بمعنى آخر بما يحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة للغة.

٥ ـ الاستفادة من نتائج البحوث الميدانية في علم الاجتماع اللغوى فيما يتعلق بالصراع اللغوى ـ للعمل على إعادة إحياء اللغات الوطنية من خلال التخطيط اللغوى للدول المستقلة حديثا ـ في أعقاب محاولات الاستعمار الطويلة للقضاء على اللغة الوطنية واستبدالها بلغته الأجنبية في محاولة لمحو هوية الأمم التي استعمرها.

كما حدث ذلك في مساعى الجزائر لتعريب لغتها الوطنية بعد أن ظل الاستعمار الفرنسى لمدة مائة وثلاثين عاما بها ساعيا لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية.

٦ ـ مساعدة المجامع اللغوية في طرح ما تقره من مفاهيم لغوية جديدة عند ترجمتها لمصطلحات حديثة عن لغات أجنبية مثل كلمة «الحاسوب» كترجمة لكلمة Computer الإنجليزية، والعمل على تسويق مثل تلك المصطلحات الجديدة وتهيئة الناطقين باللغة المترجم إليها لتقبل تلك المصطلحات، وإدخال التعديلات المناسبة عليها في ضوء نتائج البحوث الحقلية لعلم الاجتماع اللغوى عنها، وعن مدى قبول الناس لها لضمان توافر استجابة الجماهير للمفاهيم والمصطلحات الجديدة وانتشارها وشيوعها بين المتحدثين وضمها وتآلفها مع مفردات القاموس اللغوى المستخدم في الحياة اليومية بين العامة والخاصة.

٧ ـ تنبيه علماء اللغة للأخطاء اللغوية الشائعة بين المتحدثين والمستخدمين للغة لفظا ونحوا وإملاءً ـ للعمل على تداركها وتصويبها خلال عملية تعليم اللغة وآدابها وقواعدها اللغوية.

٨ ـ توجيه اهتمام المشتغلين بالدراسات اللغوية إلى أهمية علم الأطالس اللغوية المختلفة التي تصنف المجال الجغرافي لأمة إلى عدد من المناطق اللغوية ـ برز في كل منها طابع مميز لتفرع اللغة إلى لهجات محلية متعددة، ولهجات اجتماعية متمايزة، تفيد الباحثين في الدراسات اللغوية، وعلم الاجتماع اللغوى.



ويعتبر الـعالم العربى من أكثر المناطق حاجـة إلى عمل مثل هذه الأطالس حيث تتباين فيه اللـهجات، وتندر به الأطالس اللغوية - إذ إنه من المؤسف أنه لا يوجد لدينا فى لغـتنا العربيـة سوى محاولة واحـدة قام بها المـستشـرق الألمانى «برجشـتراسر Bergstrasser» نشرها فى عـام ١٩١٥ بمدينة ليـبزج بعنوان «أطلس لغوى لبلاد سـوريا وفلسطين» حيث درس اختلاف اللهجات الدارجـة بها، وخرج بأطلس يضم اثنتين وأربعـين خريطة تفصيليـة. وخريطة واحدة إجمـالية مع شرح لغوى لها فى كتاب مستقل[١].

لهذا تبـرز الحاجة إلـى وجود عدد من الأطالس اللغـوية للغة العـربية التى تعكس واقع اللهجات المخـتلفة لها ليس على مستوى البلدان العـربية فحسب بل وكل الأمم الناطقة بهـا، وأن يتولى أبناء اللغة العـربية بأنفسهم من علمـاء اللغة، وعلم الاجتماع اللغـوى إعداد هذه الأطالس بأنفسهم - فهم أكثر الناس فـهما لها ولثقافتهم العـربية مما ينعكس على مستوى التحليل للـسياق اللغوى فى إطار فهم أعمق للثقافة العربية عن فهم المستشرقين من الأجانب لها.

(١) رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٠، ص١٦٥ .





الفصل الثانى

مداخل دراسة اللغة

أولا- المدخل الأنثربولوجي في دراسة اللغة.

ثانيا- مدخل إثنولوجيا اللغة.

ثالثا- المدخل الوصفي البنائي في دراسة اللغة.

رابعا- المدخل السيكولوجي في دراسة اللغة.

خامسا- مدخل علم اللغة التطبيقي.

سادسا- المدخل السوسيولوجي في دراسة اللغة.

اولا ـ المدخل الانثربولوجي في دراسة اللغة

يهتم هذا المدخل بدراسة اللغة باعتبارها عنصرا هاما من عناصر الثقافة في أي مجتمع، ولهذا ارتبط المدخل الأنثربولوجي أكثر ما يكون بالأنثربولوجيا الثقافية عن غيرها من فروع الأنثربولوجيا.

بل وأدي تبني الأنثربولوجيا الثقافية لهذا المدخل إلي تطوير دراسة اللغويات، ودراسة آثار ما قبل التاريخ، وتطور الدراسات الإثنولوجية والإثنوجرافية حيث نال هذا المدخل اهتمام المدرسة الأمريكية بصفة خاصة كما تبين لنا من قبل. ولما كانت هذه المدرسة تركز علي الأنثربولوجيا الثقافية بشكل أساسي، لذا فإن الثقافة ظلت هي الموضوع المحوري بها للدراسة بما تشتمل عليها من عناصر ثقافية متعددة أبرزها اللغة.

كما يقوم المدخل الأنثربولوجي لدراسة اللغة علي العناية بالبحوث والدراسات الحقلية التي توضح التفاعل المتبادل بين اللغة كأحد عناصر الثقافة وغيرها من العناصر الأخري.

وللثقافة مفهوم ومدلول واضح عند علماء الأنثربولوجيا يختلف عنه عند غيرهم من الخاصة والعامة علي السواء. فلقد شاع خلط واضح بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة إلي حد أن بعض العلماء استخدموا المفهومين بمعني واحد، كما شاع بطريق الخطأ عن العامة أن الإنسان المثقف هو الذي نال قسطا وافرا من العلم، أو حصل علي أعلي المؤهلات العلمية في الفنون والآداب، أو أنه قرأ كثيرا في أحد فروع المعرفة[1]. ولكن علماء الأنثربولوجيا يرفضون الأخذ بهذا المفهوم ويعتبرون أن ذلك لا يخرج عن كونه اختلافا بين الأفراد في درجة حظهم من التعليم التي قد لا يكون لهم دخل في تقريرها.

وقد كان العالم الإنجليزي إداورد تايلور E. Taylor هو أول من قدم تعريفه الشهير عن الثقافة بقوله : ـ

---

(١) محمد الجوهري : الأنثربولوجيا ـ أسس نظرية وتطبيقات عملية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩، ص١٤ .



«الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتكون من اللغة والعادات والتقاليد والدين والقيم والأعراف والسنن الاجتماعية وأساليب الحياة المختلفة من ملبس ومأكل ومسكن وتكنولوجيا، وكل ما أنتجه الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع».

ولكن العالمين «كروبر وكلاكهون» Kruper & Cluckhohn قاما بفحص ما يزيد علي مائة تعريف من تعريفات الثقافة، وانتهيا إلي أن هناك خلطا شائعا بين هذه التعريفات من حيث مفهوم الثقافة ذاته، والعناصر المكونة لها ـ وقدما التعريف التالي للثقافة : ـ

«هي الإرث الاجتماعي الذي يشتمل علي جميع مخططات الحياة الاجتماعية التي تنتقل من جيل إلي آخر، ويشتمل علي جميع المخططات الصريحة والضمنية، المحسوسة وغير المحسوسة ـ والتي تعمل كموجهات للسلوك الإنساني في المواقف الاجتماعية المختلفة».

بينما ذهب «ماكيفر وبيبج» Mac - Iver & Paig إلي أن الثقافة «هي مجمل التراث الاجتماعي للبشرية، وتشمل كل ما يصنعه أي مجتمع لنفسه من نظم اجتماعية، وأدوات ولغة، وقيم. . . . إلخ».

ويؤكد المدخل الأنثربولوجي في علم اجتماع اللغة علي حقيقة أنثربولوجية توضح أثر اللغة البارز في نقل الثقافة من جيل إلي آخر، وأن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر علي نقل الثقافة بفضل تعلم اللغة واستخدامها لنقل التراث الثقافي والإنساني عبر الأجيال المختلفة وتفوقه علي كافة الكائنات الأخري كالحيوانات وغيرها.

وقد أكد العالم الأمريكي «د/ وولف Woolf» من خلال تجربته التالية قدرة الإنسان والحيوان علي التعلم : ـ

قام د/ وولف بإحضار ماكينة ذات ثقوب بها بعض الأطعمة، وقام بإحضار عدد من قردة الشمبانزي، ودربها علي كيفية استخدام الماكينة بوضع العملات المعدنية في ثقوب الماكينة والضغط علي زر التشغيل لاستخراج ما تحتاج إليه من الأطعمة ـ وبالفعل نجحت القردة في تعلم كيفية تشغيل الماكينة واستخراج طعامها. ولكنه عاود التجربة بخلط العملات المعدنية الحقيقية مع أخري مزيفة



وألقاها علي الأرض، حيث قام القردة بالتقاطها وسعت إلي تشغيل الماكينة، ولكنها اكتشفت عدم قدرة العملات المزيفة علي استخراج الطعام فلجأت إلي العملات الحقيقية في الحصول علي ما تحتاج إليه.

وهكذا نلمس قدرة الحيوانات علي التعلم مثل الإنسان.

بينما نجد العالمين «د/ كيلوج وزوجته Kelog & his wife يقومان بتجربة هامة تؤكد أثر اللغة في نقل الثقافة - يمكن إيجازها فيما يلي : -

قام العالمان بإحضار قرد شمبانزي وليد، وقاما بتربيته مع ابنهما الوليد، وقدما لهما نفس الأطعمة والمشروبات لإشباع احتياجاتهما البيولوجية وقاما بملاحظتهما فوجدا أنهما يشتركان في كثير من الصفات في الشهور الأولي عند التعبير عن احتياجاتهما المختلفة بالبكاء والصراخ، ولكن الشمبانزي تفوق علي الطفل الوليد في تلك الشهور بقدرته علي الحركة والجري والقفز، وبدا تكيفه مع الحياة بطريقة أفضل من الطفل.

ولكنه سرعان ما بدأ الطفل في تعلم اللغة حتي تفوق كثيرا علي الشمبانزي إذ استطاع الطفل من خلال اكتسابه للغة أن يتعلم خبرة الأجيال السابقة حيث انتقلت إليه الثقافة بتراثها السابق واللاحق لتحقق له السبق علي الشمبانزي بينما ظل الحيوان جامدا عند حد معين لأنه لا يقدر علي تعلم اللغة، لذا ظل تعلمه قاصرا علي التجربة والخطأ من خلال المواقف التي يمر بها.

وتعكس تلك التجربة أثر اللغة وتعلمها علي ثقافة الإنسان، وبذلك فإن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر علي صنع الثقافة ونقلها من خلال اللغة ورموزها إلي الأجيال اللاحقة سواء تم ذلك من خلال نقل التراث الشفاهي أو التراث المكتوب.

ثانيا- مدخل إثنولوجيا اللغة

يولي هذا المدخل اهتمامه بدراسة ثقافة الشعوب دراسة مقارنة بالتركيز علي دراسة دور اللغة كأداة للتواصل بين الأجيال في نقل التراث الثقافي من جيل إلي آخر.

ويهتم هذا المدخل بدراسة اللغة بصورها المختلفة الفصحي والعامية واللهجات المتعددة التي تتفرع عنها لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف في التراكيب



اللغوية في الثقافات المتعددة، وكذلك أثر الثقافة في كل مجتمع علي اللغة وتأثير اللغة في الثقافة، أي دراسة التفاعل بين اللغة وعناصر الثقافة الأخري ومقارنتها بين الثقافات المختلفة.

ويستعين علماء الأنثربولوجيا اللغوية بهذا المدخل في دراسة اللهجات المختلفة للمجتمعات البدائية في إفريقيا وأمريكا الجنوبية وأستراليا كما ساعدت البحوث الإمبريقية التي قاموا بها في تطوير تعليم اللغات المختلفة وأساليب التعلم.

كذلك فإن كلمة إثنولوجيا ـ في معناها اللغوي تعني دراسة الشعوب، وهي مشتقة من كلمة Ethnos اليونانية الأصل.

وفي دراستنا لإثنولوجيا اللغة ـ فإننا نعني بدراسة لغويات الشعوب، كما نهتم بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية في ضوء ماضيها، وتدرس الوقائع كما تحدث وتقع عبر الزمن والطرق التي تتغير بها الثقافة الواحدة في محاولة للكشف عن القوانين والقواعد العامة التي تحكم التغير الثقافي، ودور اللغة كوسيط فاعل لنقل التراث وإحداث هذا التغير.

ويفرق علماء الإنثربولوجيا بين الدراسات الإثنوجرافية للغة التي تعني بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية ـ دراسة أفقية في سائر أنحاء المجتمعات ـ وهي بذلك دراسة أفقية مقارنة في المكان Space، وبين الدراسة الإثنولوجية للغة وهي دراسة رأسية ـ بوصفها عنصرا من عناصر الثقافة ـ تتم بطريقة مقارنة في الزمان Time أو بمعني أدق عبر أزمان مختلفة لماضي اللغة كظاهرة اجتماعية وعنصرا هاما من عناصر الثقافات المختلفة، وهي بذلك تعني بالدراسة المقارنة التاريخية لتطور اللغة.

وبذلك فإن مدخل إثنولوجيا اللغة يتيح للباحثين والعملاء دراسة شعوب العالم الحالية، والشعوب التي بادت لتكون لدينا القدرة علي دراسة التشابه والاختلاف في الملامح البشرية من حيث اللغة والثقافة ـ مما يمكننا من تصنيف الشعوب علي أساس اللغة والثقافة والأجناس[١].

---

(١) قباري محمد إسماعيل : الأنثربولوجيا العامة ـ صور من قضايا علم الإنسان، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧١، ص٢٥ ـ ٢٨ .



ثالثا- المدخل الوصفي البنائي لدراسة اللغة

يرتكز هذا المدخل علي استخدام المنهج الوصفي في تحليل اللغة وبنائها من حيث وصف وتحليل التركيب البنائي للجملة وعلاقة الجزء بالكل، أي علاقة اللفظ في الجملة بالبناء الكلي للجملة، كما يبرر هذا المدخل دور الكلمة أو اللفظ ووظيفته في المحافظة علي التوازن والمعني والدلالة في الجملة وبنائها.

وقد ظهرت البنائية الوظيفية في اللغة وعلومها حيث قدمت لنا تحليلا للبناء اللغوي للجملة والعبارة، كما أوضحت فكرة التساند الوظيفي بين مفرداتها للمحافظة علي المعني والدلالة المطلوبة والعلاقة التبادلية بين الأجزاء أو المفردات وبين البناء الكلي للجملة أو العبارة.

ثم انتقلت البنائية الوظيفية من علوم اللغة في عشرينات هذا القرن إلي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا نتيجة لاستعارة هذا المفهوم في تحليل فكرة البناء الاجتماعي للمجتمع إلي عدد من الأنساق والنظم الاجتماعية، وعلاقة كل نسق أو جزء بالكل وهو البناء الاجتماعي للمجتمع، ووظيفة كل جزء في المحافظة علي توازن البناء الاجتماعي للمجتمع واستمراره، وتحليل الأدوار الاجتماعية المختلفة لكل عناصر هذا البناء.

ورغم ما تعرضت له البنائية الوظيفية من نقد في علمي الاجتماع والأنثربولوجيا إلا أنها تمثل اتجاها تحليليا هاما لايمكن التقليل من شأنه في فهم العلاقة بين الجزء والكل وعلاقة الوحدات الصغري بالوحدات الكبري في محاولة لفهم وتحليل السياق الكلي وأجزائه.

بل إن هذا الاتجاه وإن كان قد أرسى قواعده في علم الاجتماع إميل دوركايم، وقام كل من بارسونز، وميرثون وغيرهما بتطويره - إلا أنه ظل مرتبطا بالعلم الطبيعي وخاصة علوم الحياة والكيمياء والميكانيكا، كما تزايدت مفهوماته من مجرد الحديث عن البناء والوظيفة إلي مفهومات متعددة كالمورفولوجيا، والفسيولوجيا وغيرها[١].

---

(١) عبد الباسط عبد المعطي : اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ع٤٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١، ص١٥٨ - ١٥٩ .



كذلك ففي مجال الأنثربولوجيا الثقافية فقد ازدهر علي يد كل من رادكليف براون، وإيفانز بريتشارد، وماير فورتس، ومالينوفسكي.

ورغم تزامن ظهور هذا الاتجاه في علمي الاجتماع والأنثربولوجيا في آن واحد إلا أن كثيرا من علماء العلمين يتهمون أصحاب هذا الاتجاه بالمحافظة والتحيز الأيديولوجي للدفاع عن النظم الرأسمالية الغربية، لدعوته إلي فكرة المحافظة علي توازن المجتمع ـ وتجاهله الصراع الاجتماعي وإهمال دور المصالح المادية في التفاعلات الاجتماعية، والاهتمام بالتكامل والإجماع القيمي وتجنب الإشارة إلي التغير الجذري بالمجتمع[1].

ومع انتشار الاتجاه الوظيفي البنائي في علوم وفنون تطبيقية أخري، تعددت آراء العلماء حيث لاقي تأييدا كبيرا في العلوم الهندسية كالهندسة المعمارية إذ عُني المهندسون المعماريون في تصميم المسكن بفهم وظيفة المسكن وتحليل استخدامات أجزائه وأثرها في وضع التصميم الهندسي الملائم الذي يجعل من المسكن مكانا مريحا لكل من يشغله لإشباع الاحتياجات المختلفة للإنسان.

رابعا- المدخل السيكولوجي في دراسة اللغة

يعتمد هذا المدخل في دراسة اللغة علي نظريات علم النفس العام وتطبيقاتها علي اللغة باعتبارها سلوكا اجتماعيا، ووسيلة إنسانية للتفكير والتعبير مما أسفر عن بلورة فرع جديد كما أسلفنا عرف بعلم النفس اللغوي.

ولهذا يركز المدخل السيكولوجي في دراسة اللغة علي دراسة وتحليل اللغة كرد فعل للعمليات العقلية والتفكير ومحاولة فهم الدوافع والاحتياجات المختلفة للإنسان في المواقف الاجتماعية المختلفة في ضوء ما يتعرض له من مثيرات وما يصدر عنه من استجابات، تعكس قدرته علي التكيف والتوافق النفسي استنادا إلي مقومات الشخصية وخبراتها المختلفة.

---

(1) سمير نعيم أحمد : النظرية في علم الاجتماع ـ دراسة نقدية، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص٢١١ ـ ٢١٢ .



ويهتم هذا المدخل أيضا بصور التعبير المختلفة للإنسان (اللفظية أو المنطوقة) أو غير اللفظية (المرئية) والتي تعتمد علي الإشارات والحركات الجسمية، ولهذا يعني بدراسة الصوتيات اللفظية المسموعة عن طريق أجهزة النطق والكلام، كما يهتم بدراسة التعبير غير اللفظي - بوصفها جميعا تعكس الدوافع الكامنة في أعماق النفس البشرية.

وقد استفاد علم النفس اللغوي في الآونة الأخيرة من نظريتي التعلم والاتصال وثورة المعلومات - مما أدي إلي تحسين وتطوير العلاقة بين أركان عملية الاتصال خلال نقل المعلومات، وهم : المرسل، والرسالة التي تتضمن المعلومات المختلفة، والمستقبلون للرسالة.

ونتيجة لذلك تطور فرعا علم الدلالة اللغوية، والمعني - ومعرفة ردود الأفعال المتوقعة كنتيجة لأساليب الاستثارة، وأمكن تطوير طرق التدريس والأداء في العملية التعليمية. كما ساهم ارتقاء علم النفس التجريبي وتطور مقاييس الذكاء والاختبارات النفسية، والتحليل النفسي في تقدم هذا المدخل نتيجة للبحوث الإمبريقية التي قام بها العلماء.

ويركز هذا المدخل علي فهم المعني النفسي أي دلالة الألفاظ أو المعني السيمانتي Semantic أي الدلالي، الذي يختلف من فرد إلي آخر وفقا لما يسميه علماء النفس بالتمايز الدلالي للألفاظ Semantic Differentiation، كذلك يهتم هذا المدخل بدراسة المعني ودور دلالة الألفاظ في السلوك الإنساني وفهم أسلوب انتقاء الألفاظ ودوافع السلوك الإنساني الذي تعكسه المعاني والدلالات المختلفة للألفاظ والتراكيب اللغوية، وطرق قياس المعني[١].

ويبرز علم النفس اللغوي الروابط المختلفة بين الظواهر اللغوية والدراسات النفسية لكل من الذاكرة والوجدان أو الحالات الوجدانية، والتخيل، والإدارك، والانتباه والحلم، والشعور واللاشعور، وابتداع المعاني والإلهام - مما يتيح الفرصة لفهم وتفسير كثير من الظواهر اللغوية فهما متعمقا.

(١) نوال محمد عطية : علم النفس اللغوي، مرجع سابق، ص٣٦ .



وقد أوضح عدد من العلماء العلاقة بين اللغة والفكر ـ منهم فرديناند بريتو في كتابه «الفكر واللغة»، والعالم هنري ديلاكرو في كتابة «اللغة والفكر» وغيرهما. وقد أكدت آراؤهم علي أن اللغة ضرورية للفكر حتي في حالات التفكير الشخصي، فالإنسان يفكر فيما بينه وبين نفسه في أثواب من اللغة.

ومن ناحية أخري فإن اللغة ليست أداة عقلية فحسب بل هي عنصر انفعالي وعاطفي، فالإنسان يتكلم ليعبر عن نفسه ومشاعره وعواطفه، وليؤثر في غيره. ولهذا فإن هناك ارتباطا بين التفكير والعناصر الوجدانية والعاطفية والانفعالية، وقد أكد العالم «فندريس» علي هذا المعني بقوله إنه لا تكاد توجد جملة تخلو من عناصر انفعالية[1].

وتبدو هذه الانفعالات واضحة في الكلام والتعبير اللفظي والنبرة التي يتحدث بها المتحدثون، ومدي ارتفاعها وانخفاضها، والهدوء أو الانفعال المصاحب للكلام، والإشارات اليدوية والجسمية المستخدمة خلال التحدث، والنغمات التي تحملها كل عبارة أو جملة. ولهذا فإن المدخل النفسي في دراسة اللغة لا يقتصر علي مجرد تناول اللغة كأداة للتواصل الإنساني أو مدي اكتمالها والتزامها للعناصر النحوية كما يفعل علماء النحو والنحاة ـ بل يهتم بالعناصر السلوكية المصاحبة للكلام ودوافع هذا الكلام وأثره في المخاطبين، وما يوحي به المتحدث إليهم.

وعلي مستوي المجتمع فإن اللغة هي انعكاس صادق لأوضاع الأمة العقلية والاجتماعية والحضارية ومعتقداتها وخصائصها العقلية. كذلك فإن المدخل السيكولوجي لدراسة اللغة يهتم بدراسة عملية التطبيع الاجتماعي للطفل وتعليمه للغة، ودراسة عيوب النطق والكلام وكيفية علاجها لغويا ونفسيا.

وبذلك فإن هذا المدخل يهتم بدراسة مظاهر اللغة من الناحيُة العقلية، بوصفها تعبيرا عن السلوك الإنساني في المواقف الاجتماعية المختلفة.

---

(١) فندريس : اللغة ـ ترجمة : عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٥٠، ص١٨٢ .



ولهذا تحتل دراسة الايحـاء والتأثير العاطفي والوجداني وغيرها جانـيا كبيرا من بحوث ودراسات علم النفس اللغوي[١].

خامسا ـ مدخل علم اللغة التطبيقي

يهتم هذا المدخل بتطبيقات اللغة كعـلم في المجالات المختلفة مثل صناعة وإعداد المـعاجم اللغـوية التي تعني بالمعني والدلالة لألفـاظ كل لغة وتأصـيلها تأصيلا لغويا، وإبراز المـرادفات اللغوية لكل لفظ وفقا لاستخدامـاته المتعددة في اللغة، والتي قد تختلف من موقع إلي آخر وفـقا لمعني الجملة أو العبارة، وموقع اللفظ داخل سياق الجملة. وهناك ثلاثة أنواع من المـعاجم أو القواميس اللغوية ـ فمنهـا ما هو أحادي اللغـة (عربي ـ عربي) أو (إنـجليزي ـ إنجليزي) ـ وغـيرها، ومن أمثلة القواميس والمعاجم أحادية اللغـة بالعربية نجد لسان العرب، والمعجم الوسيط. ومنهـا ما هو ثنائي اللغة مثل (عـربي ـ إنجليزي)، ومنها ما هو مـتعدد اللغات مثل (عربي ـ إنجليزي ـ ألماني).

كما يشتـمل هذا المدخل علي مجال تعليم اللغات الأجنبـية، وما يتعلق به من اتجاهات وطـرق للتدريس، والوسائل المـعينة للتـعليم، وإعداد المـدرسين، والمناهج، والمواد التعليـمية، والإشراف ـ ويعتبر هذا المـجال من أهم مجالات علم اللغة التطبيقي علي الإطلاق.

كذلك يندرج تحت هذا المدخل دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات المختلفة والصعوبات التي تواجه دارسي اللغات الأجنبية، والأخطاء الشائعة بينهم وأسبابها وطرق علاجـها، بالإضافة إلي تصميم الاختبارات فـي اللغات المختلفة وطرق تحسينها وتـجويدها من ناحية المحتوي والجـوانب الفنية. هذا إلي جانب طرق محو الأمية، وأساليب تعليم الكبار، بل وطرق التعليم المستمر.

بل إن بعض علماء اللغة يدرجون تحت مدخل علم اللغة التطبيقي عددا من العلوم والدراسـات اللغوية المـتخصـصة مـثل علم النفس اللغوي، وعلم الـلغة الاجتـماعي، وعلم الاجـتمـاع اللغوي. وهم بذلك يقـومون بتوسـيع نطاق هذا المدخل أكـثر مما ينبـغي، بل ويخلطون المداخل المخـتلفة مع بعضهـا البعض

---

(١) البدراوي زهران : مقدمة في علوم اللغة، القاهرة، ط٥ ، دار المعارف، ١٩٩٣، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .



فيتداخـل بذلك مدخل علم اللغة التطبيقي مع المـدخل السيكولوجي، والمدخل السوسيولوجي.

ولكننا لا نختـلف علي أن هذا المـدخل يضم أيضا تـطويع المادة اللغـوية واستخداماتها عن طريق الحاسب الآلي مما أدي إلي ظهور الترجمة الآلية وتخزين المعلومات واستعادتها من الحاسب[1].

وقد تعددت المـدارس اللغوية بتعدد اهتمـاماتها بجوانب اللغة المـختلفة، بتطور علم اللغة خلال القـرنين التاسع عشر والعشرين. «أما فـي بداية النشأة فقد كان لابد لعلم اللغة أن يتجه إلي ما اتجهت إليه الفيلولوجيا من اهتمام بالماضي، وأن يصطنع علماء اللغة لأنفـسهم منهجا تاريخيا سواء لمـقارنة تطور الظواهر كما كان يفعل «فرانزبوب» ومعاصروه أو في استخلاص قوانين التطور كما كانت الحال بالنسبة إلي «النحـاة الشبان» ثم تطور المنهج علي يد العلامة السـويسري «فردناند دي سوسير» فأصـبح وصفيا يعني بمرحلة ما ثابتة غير مـتطورة للغة معينة، حيث يقوم بعزل هذه المرحلة عن التطـور التاريخي ويصفها من حيث بنيتهـا وعلاقاتها الداخلية وقواعدها التي تـحكم تحولاتها الذاتية»[2]. والمنهج الوصفي لا يرفض الدراسة التاريخية لدراسة اللغة، ولكنه يعـتبر ذلك من اختصاص المنهج التاريخي بالدرجة الأولي.

ويركز مدخل علم اللغة التطبيقي علي الاستفادة من نتائج البحوث الإمبريقية لعلم اللغة في تطوير طرق تعليم اللغات المختلفة.

وقد بـرزت في علم اللغة خـلال عمليـة تطور الدراسات اللغـوية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة اتجاهات منهجـية رئيسية تبني كل منها مدرسة أو أكثر من المدارس في علم اللغة ـ وهذه الاتجاهات هي :

الاتجاه التاريخي، والاتجاه الوصفي، والاتجاه الوصفي المطور.

وقد تفرع عـن الاتجاه التارخي مدرستـان هما : المدرسة المـقارنة ـ وهي المدرسة التي كانت تهتم بمقارنة الظواهر اللغوية وتطورها ـ بقيادة فرانز بوب.

---

(١) توفيق محمد شاهين : علم اللغة العام ـ مرجع سابق، ص ٣١ ـ ٣٣ .

(٢) تمام حسان : الأصول ـ دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، مرجع سابق، ص ٢٦٧ .



أما المدرســة الثانية فهي مدرسة النحــاة الشبان حيث ركزوا اهتــمامهم علي استخلاص قوانين التطور.

كما تفرع عن الاتجــاه الوصفي مدرستان هما : المدرسة التــصنيفية ـ وهي تهتم بوصف اللــغة وتصنيفــها، والمدرسة التحويليــة: وهي لا تقف عن حدود التصنيف ولا ترتبط بلغــة واحدة ـ وإنما تدرس اللغة كــملكة إنسانية عــامة وقدرة الإنسان علي اســتعمــال اللغة، وتحــاول أن تبني نحوا يقــوم علي أساس من هذه الملكة ويستــوحي المذهب العقلاني في الفلســفة ـ وقد نشأت هذه الــمدرسة في امريكا علي يد «هاريس Harris وتلميذه تشومسكي Chomsky».

أما الاتجاه الوصــفي المطور : فيضم مدرســتين هما : المدرسة الوصــفية لمراحل تطور اللغة بقيادة العالم السويسري «فردناند دي سوسير F.De Saussure» في أوربا ـ حيث تركز هذه المدرسة علي دراســة مراحل تطور اللغة، وتركز علي المرحلة التي لم تتطور اللغــة فيها وتقوم بعزل هذه المــرحلة عن التطور التاريخي للغة، وتصفها من حيث بنيتها وعــلاقاتها الداخلية وقواعدها التي تحكم تحولاتها الذاتية ـ ويعد «دي سوسير» مؤسس الدراسات اللغــوية البنيوية الوصفية وتبعه كل من «بواس F.Boas، وتلميذه E.Sapir». أما المدرسة الثانية فهي المدرسة البنيوية المطورة علي يد «بلــومفــيلد Bloomfield» حــيث اهتــمت بتطوير البناء اللغــوي والقيــاس اللغوي، ولم تعط اهتمــاما خاصــا للمعني حيث تأثرت هذه المــدرسة بأفكار علم النفس السلوكي وارتباطها بالتحــولات المادية من ناحية، وبالدراسات الأنثربولوجــية للجماعــات العرقيــة بالولايات المتحدة الأمــريكية كالهنود الحــمر وغيرهم ـ والتي ميزت اتجاه الدراسات اللغوية بها وربطتها بالأنثربولوجيا الثقافية ـ باعتبار دراسة اللغويات أحد فروعها.

وقد تفرع عن المدرسة الوصفية في أوربا مدرستان لغويتان فرعيتان هما :

مدرســة براغ : التي وجــهت اهتمــامــها إلي ربط أصــوات اللغــة بالدلالة والمعني.

ومدرسة كوبنهاجن : التي عنيت بطبيعة العلامة اللغوية التي تميز المفرد من الجمع مثل حرف S في اللغة الإنجليزية، وتاء التأنيث في اللغــة العربية وغيرهما من الحروف الفارقة.



أما عبارة «فقه اللغة» فهي مصطلح عربي خالص لايعرفه الغربيون في لغاتهم، وقد استخدم هذا المفهوم بمعان متعددة حيث أطلقه البعض علي الدراسة المقارنة للغة العربية واللغات السامية - كما استخدمه البعض بمعني المقارنة بين الألفاظ الفصيحة وغير الفصيحة سواء جاءت هذه الألفاظ من لهجات قبلية قديمة أو من لهجات عامية حديثة.

بينما عرف البعض فقه اللغة بأنه العلم الذي يدرس اللهجات العربية والأصوات العربية، كما أدخل البعض إليه الدراسات اللغوية الحديثة.

وبصفة عامة فإن فقه اللغة يتناول المفردات من اللغة دون القواعد أو بعبارة أخري فإنه يتناول المتغيرات دون الثوابت.

سادسا- المدخل السسيولوجي في دراسة اللغة

يتبني هذا المدخل علم الاجتماع اللغوي، حيث يعني بدراسة المجتمع في علاقته باللغة، إذ إنه من الطبيعي أن يدرك دارسو المجتمع أن حقائق اللغة يمكن أن تزيد من فهمهم للمجتمع. كذلك فإن اللغة تعتبر من أهم الخصائص المميزة للمجتمع بالإضافة إلي أثر اللغة في تمكين المجتمع من القيام بدوره وأداء وظائفه علي الوجه الأكمل.

ويجب أن نفرق في هذا المجال بين مهام وقضايا علم الاجتماع اللغوي، وبين نظائرها في علم اللغة الاجتماعي - إذ يهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، والاختلاف بين العلمين ليس اختلافا في العناصر - وإنما في محور الاهتمام. ويستند ذلك إلي الأهمية التي يوليها الدارس للغة أم المجتمع، وإلي مدي مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية للمجتمع[1].

ورغم أن هناك قدرا من التطابق بين هذين العلمين، إلا أن القضايا التي يهتم بها علم الاجتماع اللغوي هي القضايا المجتمعية الكبري وتأثير اللغة فيها مثل التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالمجتمع وأثر التعدد اللغوي فيها، والسياسات اللغوية الواجب اتباعها تجاه ذلك، وقضايا التغير الاجتماعي بالمجتمع وانعكاساته علي اللغة، والصراع اللغوي المصاحب لظاهرة الهجرة وغيرها، ودور المجتمع

(١) هدسون : علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٧ - ١٨ .



في تعليم الإنسان للغة، والآثار الاجتماعية المترتبة علي الصراع اللغوي، والعوامل السيوسيولوجية في تطور اللغة وأثرها في العوامل الأخري، وأهمية وضع السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي وانعكاساته علي المجتمع، وتحليل فاعلية اللغة وإبراز أهمية دورها كعنصر من عناصر ثقافة المجتمع، ودراسة اللغة واللهجات بين الطبقات الاجتماعية المختلفة في المجتمع - واللهجات المحلية المتعددة في مختلف المناطق الجغرافية بالمجتمع، والتطبيقات العملية لعلم الاجتماع اللغوي.

بينما يهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع متخذا من اللغة وقضاياها أساسا لمناقشة مستفيضة لها بداية بوصف اللغة هي الموضوع الرئيسي له مع الإشارة إلي علاقتها بالمجتمع. علي عكس علم الاجتماع اللغوي الذي يركز علي الدراسات الاجتماعية الشاملة للمجتمع وظواهره وعلاقة المجتمع باللغة كظاهرة اجتماعية أكثر من تركيزه علي اللغة في حد ذاتها.

بل إن العلوم والدراسات اللغوية المتخصصة الأخري كالقواعد، والنحو والصرف، والأدب، والبلاغة والنقد وغيرها تقصر جل اهتمامها بحكم التخصص علي الجوانب اللغوية البحتة بناء وتركيبا، ومعني، ودلالة.

ولقد كان لعالم الاجتماع الفرنسي الشهير «إميل دور كايم» Durkheim الذي أصدر الحولية الاجتماعية في عام ١٨٩٧ ، الفضل في الدعوة إلي تطبيق نظريات علم الاجتماع العام علي اللغة باعتبارها إحدى الظواهر الاجتماعية الهامة في المجتمع.

ومع مطلع القرن العشرين انضم كثير من العلماء ومن بينهم بعض علماء اللغة إلي تأييد أفكار المدرسة الاجتماعية الفرنسية، وحاول الباحثون أن يبينوا أثر المجتمع ونظمه الاجتماعية المختلفة وثقافته علي الظواهر اللغوية.

كذلك فإن المدخل السيسيولوجي في دراسة اللغة يعني بأثر التغير الاجتماعي على اللغة مما يؤدي إلي انقراض بعض الكلمات والمفردات من اللغة اليومية المستخدمة، وشيوع كلمات أخرى - كما حدث في مصر بعد قيام ثورة ٢٣



يوليو ١٩٥٢ حيث اختفت كلمات مثل : صاحب الجلالة، والباشا، والبك، وصاحب العصمة، وصاحب الرفعة وغيرها، وبرزت عبارات جديدة مثل : النقاء الثوري، والتحول الاشتراكي، وقوي الشعب العاملة، ونضال الجماهير. . وغير ذلك.

ويتناول هذا المدخل أيضا دراسة الآثار الاجتماعية والسياسية المترتبة علي خروج بعض المتمردين علي القانون، وكذلك ممارسات القهر السياسي والاجتماعي وانعكاساتها علي اللغة ـ حيث يلجأ المتمردون من المجرمين إلي استحداث مصطلحات ورموز خاصة يتعارفون عليها تكون لغة لهم لتحميهم من مراقبة رجال الأمن والقانون لهم. بينما يلجأ الرافضون لممارسات القهر السياسي والاجتماعي إلي مصطلحات خاصة بهم تكون بمثابة «شفرة» أو لغة سرية لا يفهم مفرداتها إلا أعضاء تلك الجماعات السرية، حماية لهم من نظم القهر.



الفصل الثالث

نشأة اللغة عند الإنسان والطفل والنظريات المفسرة لها

أولا ـ اللغة أداة للتواصل الإنساني.

ثانيا ـ النظريات المفسرة لنشأة اللغة.

ثالثا ـ نشأة اللغة عند الطفل.

أولا ـ اللغة أداة للتواصل الإنساني :ـ

تعتبر اللغة بتراثها الشفاهي من خلالل الكلمة المنطوقة، وتراثها المعنوي المنقول عن طريق الكتابة أعلي مستويات الاتصال وأكثرها تعقيدا.

ويخطئ من يظن أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير الإنساني والاتصال، إذ إن لدى الإنسان أساليب أخري غير لفظية للاتصال والتواصل مع غيره من الناس باستخدام الإشارات، والإيماءات، وتعبيرات الوجه وحركات الجسم، ولغة الأشياء.

وعلي الرغم من أن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر علي تكوين الثقافة ونقلها من جيل إلي آخر عن طريق اللغة إلا أن الحيوانات والحشرات لها أساليب خاصة للاتصال تتمثل في الأصوات التي تصدرها، والتشكيلات التي تقوم بها كما في عمل النحل والنمل وغيرهما.

وقد وردت إشارة صريحة في القرآن الكريم ـ في قوله تعالي :ـ

«حتي إذا أتوا علي وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* فتبسم ضاحكا من قولها. . . .»(١).

وقوله تعالي عن الهدهد وسليمان : «فمكث (أى الهدهد) غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين»(٢).

كما تستعمل بعض الحيوانات أصواتا وإشارات وكذلك الطيور، كما يستعين الخفاش والدرفيل والحوت بالصدي، ويستعمل النحل الإشارات والحركات والألوان، كما ذكر ذلك العالم الألماني (كارل فون فرش) K.F.Frish ـ ومن الأسماك ما يصدر موجات كهربية كإشارات ضوئية للتواصل وتحقيق التفاهم مع بعضه البعض.

وعلي الرغم من كل تلك الوسائل التي تعبر بها الطيور والحيوانات والحشرات عن نفسها إلا أن أصواتها لا تعبر عن خصائص اللغة والكلام، إذ إن

---

(١) سورة النمل ـ الآيتان (١٨ ، ١٩).

(٢) سورة النمل : آية ٢٢ .



الكلام تعبير عن معان ودلالات وليس تعبيرا عن انفعالات أو حاجات بيولوجية فقط[1].

ويرجع العلماء سبب ذلك القصور عند الحيوانات والطيور والحشرات وعدم تمكنها من استخدام لغة كلغة الإنسان، إلي افتقارها إلي عنصرين في غاية الأهمية هما الوعي والذاكرة ـ مما يستحيل معه فك الرموز، والاقتصار بناء علي ذلك على استخدام الإشارات البسيطة فقط[2].

وبذلك يتأكد للإنسان مدي تكريم الخالق سبحانه وتعالي له بأن اختصه بنعمة العقل والوعي والذاكراة ـ حيث يقول الحق في كتابه : ـ

«الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان». سورة الرحمن الآيات من ١ ـ ٤ .والبيان هنا بمعني اللغة والكلام والفصاحة والتوضيح والتعبير.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن دراسة السلوك الاجتماعي للحيوانات والحشرات والطيور ظهر لها فرع هام من فروع علم الاجتماع العام هو سوسيولوجيا الحيوان أو دراسة الحياة الاجتماعية عند الحيوانات.

وقد أكدت بحوث وتجارب العلامة «لوبوك Lubbock» علي النمل والنحل صدق المقولات التي أوضحها العلماء «كيربي Kirby، وسبنسر Spenser، وبورميستر Burmeister، وهوبير Huber، وفرانكلين Franklin والتي أوضحت أن كثيرا من طوائف النحل والنمل يستخدم أفرادها، بعضها مع بعضها، إشارات مقصودة للتعبير بها عن بعض شئونها.

كما روي لنا «ألن ديفو» عن سلوك النحل بقوله : ـ

«إذا وجدت النحلة العاملة زهرة حافلة بالرحيق، عادت طائرة إلي الخلية، ثم تشرع ترقص في الفضاء حول الخلية رقصا غريبا خاصا يدل دلالة واضحة علي

---

(١) علي عبد الواحد وافي : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٠، ص٢٤ .

(٢) محمد الجوهري وآخرون : علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية؛ ١٩٩٢، ص١٦ .



معني رسالتها المستعجلة، فيفهم سائر النحل فحوي هذا، فإذا به ينضم إليها واحدة تلو الأخري، ثم لا يلبث الجمع أن يندفع كله قاصدا ينبوع هذا الرحيق»[١]

خلاصة القول أن «اللغة بصفتها السالفة من خصائص الإنسان وحده لأنها اصطلاحية وتواضعية، ومقرونة بالفكر في إصدار الأصوات وتلقيها، ويحكمها العقل،و وينظم عملياتها ولا يجعلها ضوضاء خالية من المعني، والنظام هو الذي يمنحها الثراء والفاعلية والتعبير عن الأهداف السامية، والذهنية المجردة، كما أن الخلف يتوارثها عن السلف، فإذا عاش الإنسان منفردا فلا لغة له علي الإطلاق»[٢].

وإذا كنا نسلم بأن اللغة تعتبر أداة هامة للاتصال الإنساني، فإنها أيضا أداة لاتصال الإنسان مع نفسه ومع غيره من الناس فيصف لنفسه وللآخرين ما يراه من العالم المحيط به.

وفي هذا الصدد يشير عالم الأنثربولوجيا «كلايد كلاكهون C.Kluchohn» في كتابه بعنوان «مرآة الإنسان» إلي أن اللغة تعد طريقة خاصة في النظر إلي العالم وفي تفسير التجربة، ولعل تلك الحقيقة هي التي دفعت علماء الأنثربولوجيا واللغويين إلي الاعتقاد بأن الأفكار التى يحملها الإنسان في عقله بصدد ما يحدث في العالم المحيط به ليست بالضبط «معطيات» هذا العالم، ولذلك فإن اللغة تسمح لخبرات وتجارب معينة أن تدخل في حيز إدراك الإنسان ومعرفته بينما تمنع خبرات أخري من الدخول في هذا الحيز[٣]. وتعاني بعض اللغات من قصور مفرداتها أو ألفاظها من التعبير الدقيق عن المعني والدلالة الدقيقة للمشاعر والأحاسيس المختلفة أو المعني الكامل الذي يقصده المتكلم مثل كلمة Uncle بالإنجليزية فهي تعني عم أو خال ـ مما لا يؤدي المعني بشكل محدد كما هو في

(١) علي عبد الواحد وافي : نفس المرجع السابق، ص ١٨ ـ ١٩ .
(٢) توفيق محمد شاهين : علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠، ص٢٠ .
(٣) سامية محمد جابر : الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث ـ النظرية والتطبيق، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣، ص٥٩ ـ ولمزيد من التفاصيل انظر : ـ
Clyde Kluchohn : Mirror of Man, Fawcett Publications, N.Y., 1963, P.P. 139 - 140.



العربية، وكلمة Aunt بالإنجليزية وهي تعني عـمة أو خالة بالعربيـة ـ وغيرها من الكلمات.

وكما سبق القول، فإن هناك أساليب أخـري غير اللغة تستخدم في الاتصال الإنسـاني يعبـر بها الإنسـان عمـا يريد بديلا عن اللغـة، وهذه الأساليب تعـرف بالأساليب غير اللفظية Nonverbal Communications.

ورغم أن كثيـرا من الثقافات تعلق أهميـة كبيرة علي تأثيـر «الكلام» بوصفه تعبيرا واضحـا عن اللغة، وتعتبره مؤشرا إيجابيا في تفـاعل الإنسان مع الجماعة ـ علي عكس «الصمت» الذي تنظر إليه كمؤشر سلبي، إلا أن هناك خطأ شائعا نحو «مفهوم الصـمت» بصفة خاصة، ومختلف مظاهر الاتصـال غير اللفظي الأخري ـ بصفة عامة.

فإذا حللنا مفهوم الاتصال الناجح لوجدنا أنه يحتاج إلي الصمت كما يحتاج إلي الكلام لأن الناس لا يتـحدثون بشـكل متـصل وإنما يحـتاجـون إلي وقفـات للصـمت يستجـمعـون فيـها أفكارهم ويشـحذون تفكيـرهم ويصوغون ألفـاظهم وعباراتهم وفقا للموقف الاجتماعي الذي يتفاعلون معه.

بل وتتعدد أنواع الصمت وأشكاله تبعا لتعـدد المواقف الاجتماعية التي يمر بها الفرد، فهناك صمت في حالات الغضب، وهناك صمت المغلوبين علي أمرهم أو المستسلمين للقهر ينتظرون ساعة الخلاص ـ وهو ما عبر عنه البعض في بلاغة بأن ظاهره صمت ـ ولكنه بركـان ثائر في الأعماق أسـماه «هتاف الصامـتين»(*)، وهناك صمت إرادي للاستـمتاع بما يقال والإنصات إليه، وصـمت الوقار وإظهار التقدير، وصمت البلاء، وصمت التحدي... وغيره من صور الصمت.

أما عن صور الاتـصال غير اللفظي الأخـري ـ فهي متعددة، ونظـرا لأهمية دورها في التعبير سوف نلقي الضوء بإيجاز علي كل منها : ـ

(*) هذا التعبير صاغه أستاذنا المرحوم الأستاذ الدكتور/ سيد عويس ـ الذي كان يشير إلي انعكاس الثقافة السائدة في شكل مقولات تعبر عن المعتقدات الشعبية التي يؤمن بها الفرد كالخوف من الحسد وغيرها.



١ ـ نظائر اللغة Paralanguage : ـ

يقصد بهـا التباين والاختلاف في نبـرة الصوت ونغمتـه للكلمة الواحدة أو اللفظ الواحد، والتغـير في درجة التوكـيد، ومقامات الأصـوات، والوقفات التي تتخلل العبارة أو الكلمة عن النطق بها، ودرجة الليونة أو الخشونة المصاحبة لها ـ مما يؤدي إلـي تطابق المعني مع حروف اللفظ أو اختـلافها تمامـا عنه من حيث المعني والدلالة رغم النطق بنفس الحروف للكلمة الواحدة أو العبارة ـ فمثلا كلمة «نعم» إذا تم نطقها بطريقة مـعينة تطابق حروفها فإنها تعني المـوافقة، بينما إذا تم تنغيمها وإخـتلفت نبرة صوت المتحدث بها لكانت ذات معني مخـالف تماما فقد تعني الوعيد والـتهديد طبقا لمـا يهدف إليه المتحـدث، كما قد تعني الاسـتسلام والخوف، أو الغضب، أو اللامبالاة، أو التحدي.

وكذلك عبارة «الله يرحمه» فإذا ما كان نطقها لفظا دون تنغيم أو نبرة صوت مصاحبة مخالفة فإنها تعني طلب الرحمة لشخص توفي، أما إذا صاحبها توقيفات معينة ونبرة خاصة مثل المد في نطق كلمة الله يرحمه، فإن النبرة الصوتية الخاصة لها قد تعني شيئا آخر عكس الرحمة، أو ما معناه رحمة الله علي العباد ولا داعي للخوض فيمـا فعل هذا المتوفي. . . وهكذا نلمس التبـاين الصوتي وطريقة النطق لكل حرف في إعطاء معني ودلالة تختلف باختلاف طريقة المتحدث وأهدافه في التعبير اللفظي عما يريد.

٢ ـ الإشارات : ـ

تعتبر الإشارات من الوسائل الأولي التي طورها الإنسان للتعبير بها عما يريد في اتصاله بالآخرين. وتضم كل ثقـافة مجموعة من الإشـارات تمثل رموزا -Sym bols يتعارف عليها المجتمع تعكس كل منها معني ودلالة خاصة قد تختلف من ثقافة إلي أخري، كـما توجد بعض الإشارات التي تحمل معني مشـتركا بين عدد من الثقافات. فاسـتخدام إيماءة الرأس تشير إلي معني الموافقة إذا جـاءت حركتها من أعلي إلي أسفل وهي تعني الرفض إذا حرك الإنسان رأسه يمينا وشمالا.

كما يسـتخدم كثـير من الناس إشارات اليد أثناء حـديثهم لتأكيـد المعني أو التعبير عنه ويشيع هذا في الثقافات المتعددة.



٣ ـ تعبيرات الوجه وحركات الجسم : ـ

تعكس تعبيرات الوجه مشاعر الإنسان من رضا أو غضب أو سرور أو حزن أو حماس أو فتور يعكس العواطف، والانفعالات، وردود الأفعال ـ وقد تواكب هذه المشاعر كلام المتحدث فتبرز اللغة وتؤكد المعاني والدلالات التي يسعي المتحدث إلي عرضها، وبذلك يكون هناك مطابقة بين الألفاظ وتعبيرات الوجه. ولكن قد يحدث أن يكون هناك تناقض بين الكلمات والألفاظ من ناحية وبين تعبيرات الوجه من ناحية أخري ـ كما أشرنا في نظائر اللغة ـ وفي هذه الحالة يحدث تباين بين المعني والدلالة ومفردات الألفاظ وتعبيرات الوجه ـ كأن يرد إنسان علي استفسار زميل له عن مدي ارتياحه لنقله من العمل بقوله بأنه مسرور لذلك بينما ملامح وجهه تعكس غضبا وغيظا شديدا.

أما عن حركات الجسم فإنها وسيلة غير لفظية للتعبير وتوضيح المعاني والدلالات المختلفة في الحديث، وقد تكون حركات الجسم تعبيرا مستقلا عن معني معين لا توجد ألفاظ لغوية للتعبير بها عنه، أو انعدام وسيلة التواصل اللغوي لجهل أحد طرفي الاتصال بلغة الآخر مما يدفع المتحدث إلي استخدام الحركات الجسمية والإشارات وغيرهما لنقل ما يريده من معلومات للطرف الآخر.

وفي بعض القبائل البدائية مثل قبيلة البوشمان في جنوب أفريقيا يلجأ الناس إلي الحركات الجسمية لاستكمال ما ينقص لغتهم من ألفاظ ومفردات ولهذا يلتف أفراد القبيلة في المساء حول مواقد النار وتدور الأحاديث بينهم وكثيرا ما يستخدمون الحركات الجسمية المكملة لتعبيرهم اللغوي.

٤ ـ لغة الأشياء : ـ

يقصد بها تلك المعاني التي يخلعها الإنسان أو يضفيها علي الأشياء التي يغلف بها ذاته ـ كالملابس، والحلي، والمظهر الشخصي، وطريقة تصفيف الشعر، أو التحف المنزلية التي يستخدمها الناس في تجميل منازلهم.

وهذه الأشياء ذات قيمة كبيرة في عملية التعبير عن النفس وتحقيق الاتصال أو التواصل بين الإنسان وغيره من الناس، فهي علي حد قول أحد المهتمين بعلوم الاتصال عنها : ـ

«إنك تعبر بها عن هويتك الخاصة وتنقلها إلي الآخرين بواسطة ذاتك المرئية».



وبذلك فهي تعكس للناس مشاعر الفرد وانفعالاته وتذوقه الفني للألوان وانسجامها واختياراته منها لما يناسبه مما يعتبر رسالة رمزية منه للآخرين تثير حوارا صامتا أو لفظيا تعليقا من الآخرين علي مظهره، سواء كان مظهرا جذابا أو مقبولا أو متواضعا أو غير لائق.

«والسمة المميزة التي نلاحظها بالنسبة للمجتمع الصناعي المعاصر أن الاتصال الكلامي في بعض الثقافات الفرعية داخل هذا المجتمع يتراجع تراجعا قويا مفسحا مكانه لصور التعبير الأخري غير الكلامية.

فالفروق الدقيقة بين ملامح موضة معينة تدل علي انتماء صاحبها رمزيا إلي جماعة استهلاكية معينة، بل وتدل مع ظواهر وملامح أخري علي انتماء أصحابها إلي ثقافة فرعية مختلفة عن أصحاب التنويعات الأخري من نفس الموضة. فموضوعات الملابس وتسريحات الشعر قد أصبحت بالفعل عاملا تنظيميا وظيفيا بين الجماعات المرجعية الاجتماعية»[1].

٥ ـ التعبير عن طريق اللمس :ـ

يؤدي اللمس دورا هاما في التعبير عن المشاعر الإنسانية دون النطق بالكلام فمسح الأب أو الأم علي جبين الطفل بيد أي منهما يعيد له مشاعر الحب والحنان والطمأنينة، ويزيل عنه مشاعر الخوف والقلق، ويوقف البكاء أحيانا. وكذلك فإن اللمس حاسة إنسانية هامة يتعلم بها المكفوفون ما فقدوه من نعمة البصر من خلال الكتابة البارزة بطريقة برايل، فيقرأون ويكتبون.

وهكذا فإن اللمس يعتبر أداة هامة من أدوات التعبير غير اللفظي. وإذا أردنا أن نجمل مزايا الاتصال وأساليب التعبير غير اللفظي نجدها كما يلي :ـ

أ ـ أنها تعبر عن الجانب الوجداني للمتحدث، بينما يعكس التعبير اللفظي المظهر الخاص بالنطق والكلام ـ ويحمل الجانب الوجداني مشاعر الحب أو البغض أو الاهتمام أو التأكيد أو الرغبة أو الدهشة وغيرها من المشاعر الوجدانية.

ب ـ أن هذه الأساليب تمدنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها ـ مثل نبرة الصوت وتنغيم الكلمات أو تفخيمها وتوكيدها أو الاستخفاف بها، وفهم

---

(١) محمد الجوهري وآخرون : علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص ١٧ .



طبيعة العلاقة بين المتحدث (المرسل) والمستمعين (المستقبلين) للرسالة موضوع الاتصال.

جـ ـ تتميز الأساليب غير اللفظية للتعبير بصدقها ـ إذ أنها تعكس المشاعر الحقيقية للمتحدث دون زيف مهما حاول أن يخفيها، أو يضلل المستمعين بنطق مفردات وعبارات أخري تحمل معني عكسيا لتلك المشاعر(١). ولهذا فإن أصدق الأحاديث أو أصدق القول يأتي من تطابق اللفظ والعبارة للمتحدث مع مشاعره الوجدانية التي تعكسها أساليب التعبير غير اللفظية، مما يجعل المستعمين يثقون بدرجة كبيرة في المتحدث ـ وهو ما يعبر عنه كثيرا بأنه «حديث من القلب».

ولكي نتفهم دينامية أساليب الاتصال، ودور التعبير اللفظي وغير اللفظي (اللغوي) فيها ـ يجب أن نلقي نظرة علي منظورات عملية الاتصال وفاعليتها ـ فيما يلي : ـ

أولا ـ منظور الفعل Action Perspective : ـ

يقوم هذا المنظور علي أساس النظر إلي عملية الاتصال بين الناس بوصفها فعلا Action ذا اتجاه واحد أو أحادي الاتجاه One - way يتحمل فيه شخص المتحدث (المرسل) مهمة توجيه الرسالة إلي غيره من الناس.

ويتوقف نجاح هذا الفعل علي درجة إجادة المتحدث لمضمون الرسالة أو الموضوع، وقدراته في توصيل المعني والدلالة، واختياره الدقيق للألفاظ التي يعبر بها، والتوجه السليم نحو أهداف الموضوع بطريقة مباشرة، وقدرته علي تحليل رموز الرسالة وتبسيطها للمستقبلين.

وقد أسهمت نظريتا التعليم والمعلومات في تطوير مقولات هذا المنظور فيما بعد، حيث لم يعد مقبولا اعتبار عملية الاتصال الإنساني قاصرة علي فعل من جانب واحد.

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : ـ
- A.Mehrabian : Silent Messages, Wadsworth, Belmont, 1972.
- A.E.Scheflen : Body Language and the Social Order, Prentice - Hall, Inc., Englewood chiffs, N.J., 1969.



ثانيا ـ منظور التفاعل Interaction Perspective :ـ

يرتكز هذا المنظور علي فكرة التفاعل بين المرسل أو المتحدث من ناحية، وبين المستمعين أو المستقبلين من ناحية أخري ـ فيما يعرف بالتغذية المرتدة الخطية بين الطرفين Linear Feedback، وبذلك جعل هذا النموذج العلاقة بين طرفي الاتصال هي علاقة بين السبب والنتيجة. وقد انتقد العلماء هذا التحليل واتهموه بتبسيط هذه العلاقة أكثر مما ينبغي إذ أن قراءة ورصد الواقع تؤكد لنا صعوبة ذلك حيث لا يتبادل المرسلون والمستقبلون أدوراهم في عملية الإرسال بهذه البساطة.

كذلك فإن هذا المنظور قد أغفل حقيقة العلاقة بين طرفي الاتصال بوصفها علاقة بين المثير (المتحدث) وبين المستقبلين كطرف آخر يقومون بدور رد الفعل لتحديد درجة الاستجابة. أو بالأحري فهي علاقة بين الفعل ورد الفعل.

ثالثا ـ منظور التحول المتبادل Iraneaction Perspective :ـ

ينطلق هذاالمنظور من فكرة مؤداها أن عملية الاتصال الإنساني عبارة عن نسق كلي يتكون من عنصرين أساسيين هما المرسل والمستقبلون، وأن هذين العنصرين يقومان بتبادل الأدوار الاجتماعية والتحول من دور المستقبلين إلي دور المرسلين، وكذلك تحول دور المرسل إلي دور المستقبل من خلال عملية اعتماد متبادل بينهما.

وعلي أية حال فإن أي عملية اتصال إنساني وتحليلها ترتكز علي محاولة عزل أطراف نسق الاتصال في لحظة معينة عند نقطة افتراضية لكل من البداية والنهاية حتي يمكن فهم وتحليل كافة عناصرها وتفاعلاتها، إذ إنها عملية دينامية يثريها التواصل الإنساني وتدفق الاتصال من خلال استخدام اللغة وأساليب التعبير اللفظي وغير اللفظي بين الناس[1].

---

(١) سامية محمد جابر : الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، مرجع سابق، ص٦٩ .

ولمزيد من التفاصيل انظر : ـ

C.Mortensen : Communication : the Study of Human Interaction, McGraw- Hill Book Company, N.Y., 1972.



ثانيا- النظريات المفسرة لنشأة اللغة :-

علي الرغم من أن بعض العلماء لا يميلون إلي البحث في تفسير نشأة اللغة، وكيف تكونت وانتشرت، بل ويعتبرونها نوعا من الجدل الميتافيريقي - لعدم تأكد المفسرين من معلومات يقينية عن تلك التفسيرات التي يقدمونها[1]، إلا أننا نري أن مناقشة جهود العلماء واجتهاداتهم في تقديم تحليلاتهم ومقولاتهم النظرية عن نشأة اللغة عند الإنسان - هو أمر واجب علي العلم، بل إنه أصبح من المسلمات أن غاية العلم - أي علم - هو التوصل إلي النظريات والقوانين التي تفسر ظواهره وتحكم حركته.

ومع تسليمنا بأن مختلف العلوم الإنسانية هي حلقات متكاملة تبحث في مسيرة الإنسان ورحلته علي الأرض، فقد يؤدي اكتشاف بعض الحقائق العلمية اليقينية في بعض العلوم إلي تقويض نظريات أو نظرية معينة كانت قائمة لتفسير نشأة اللغة عند الإنسان، فالبحث العلمي عطاء إنساني متواصل يكشف في كل يوم عن جوانب جديدة ويصحح مفاهيم خاطئة سادت لفترة طويلة - ولكن علينا أن نعرض ما وصل إليه العلم حتي اللحظة الراهنة، فالحقيقة العلمية بذلك هي مسألة نسبية حتي يكشف العلم مرة أخري عن أمور أكثر يقينية وضبطا عن الظواهر المختلفة.

وقد شغل موضوع نشأة اللغة بال كثير من الفلاسفة والعلماء علي مر العصور حيث تنسب الأساطير القديمة عند أكثر الجماعات الإنسانية «وضع» اللغة إلي إله من آلهتها، وإلي قوة عليا خارقة.

وفي العصور الوسطي اشتد الجدل بين المفكرين حول نظريتين تفسران نشأة اللغة، حيث أرجعت إحداهما هذه النشأة إلي أن «الله» عز وجل هو الذي أوحي إلي البشر باللغة، ونظرية تذهب إلي أن اللغة من اصطلاح الناس وتواضعهم.

---

(١) محمود السعران : علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٢، ص ١١ - ١٢، ص٥٣ .



ومع ذلك فإن اجتهاد العلماء لم يقف عند هذا الحد، بل ظهرت نظريات عديدة تسعي لتفسير نشأة اللغة وكيف قامت أو تكونت - في الوقت الذي رفض فيه بعض العلماء ذوي الشهرة الواسعة أمثال «بلومفيلد Bloomfield، وفيرث Firth» التعرض لمناقشة هذا الموضوع، كما فعلت الجمعية اللغوية الفرنسية حيث رأت عدم مناقشة هذا الأمر في اجتماعاتها[1].

وعلي عكس ذلك فإن بعض العلماء تحدثوا عن المشكلة في إطار محددات معينة تدور حول البحث عن العوامل التي دعت إلي ظهورها في شكل أصوات مركبة ذات مقاطع متميزة الكلمات، والكشف عن الصورة الأولي التي ظهرت بها هذه الأصوات، أي الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة، وتوضيح الأسباب التي وجهته إلي هذا الأسلوب دون غيره[2].

وفيما يلي عرض لعدد من الاتجاهات والنظريات التي تناولت نشأة اللغة عند الإنسان :-

١ - نظرية الوحي والإلهام الإلهي : وتركز هذه النظرية علي ما جاء في الكتب المقدسة من أدلة وإشارة في بعض آياتها نقلها بعض العلماء والمفسرين عنها، فمن علماء العرب كان ابن فارس - صاحب كتاب «الصاحبي في فقه اللغة»، وابن جني يستندان إلي قوله سبحانه وتعالي «وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم علي الملائكة»[*].

كما استشهد اليهود والنصاري أمثال الأب لامي Lami، والفيلسوف دوبونالد De Bonald - بما ورد في التوراة - من قولها :-

«والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، ثم عرضها علي آدم ليري كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان. فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»[3].

---

(١) رمضان عبد التواب : المدخل إلي علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥، ص١٠٩ .

(٢) علي عبد الواحد وافي : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مرجع سابق، ص ٢٩ .

(*) سورة البقرة - آية رقم ٣١ .

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثاني، فقرة ١٩ ، ٢٠ .



وقد نادي بفكرة الإلهام الإلهي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني هيراكليت Heraclite ويؤخذ علي هذه النظرية أنها ترجع الإلهام الإلهي في تعلم اللغة إلي آدم عليه السلام، وهي في ذلك تستند إلي تفسيرات غير مؤكدة إذ يذهب ابن جني وكثير من أئمة المفسرين بأن الله مكن الإنسان من وضع الألفاظ بما أودعه فيه من ملكة الخلق والإلهام وأجهزة النطق والكلام، ولكن تبقي مشكلة البحث في نشأة اللغة وعوامل ظهورها وصورتها الأولي دون تفسير. فهي بذلك لم تقدم لنا حلا مقنعا أو تبريرا كافيا.

٢ ـ أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالاتفاق والمواضعة والاصطلاح : ـ

وتقوم هذه النظرية علي فكرة مؤداها أن اللغة تنشأ عن طريق الاتفاق وابتداع المسميات من الألفاظ للأشياء مبتدئين بتحديدها عن طريق الأساليب غير اللفظية للتعبير كالإشارة أو الإيماءات وغيرها ثم يطلقون لفظا علي كل منها ويتعارفون ويصطلحون عليه بشكل ثابت ودائم.

وقد قال بهذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني ديموكريت De-mocrite وهو من فلاسفة القرن الخامس ق.م، وفي العصور الوسطي كثير من الباحثين في فقه اللغة العربية ـ ومنهم ابن جني، وفي العصور الحديثة الفلاسفة الانجليز أمثال آدم سميث A.Smith، وريد Reid، وستيوارت D.Stewart، وقد تعرضت هذه النظرية لنقد شديد من جانب بعض العلماء حيث يرون أن هذه النظرية تتعارض أصلا مع طبيعة الظواهر والنظم الاجتماعية، إذ أن هذه الظواهر والنظم لا تخلق خلقا ولا يتم ابتداعها ابتداعا بالمواضعة والاتفاق ـ وإنما تتكون تدريجيا نتيجة للاجتماع الإنساني وما ينشأ عنه من علاقات اجتماعية تستلزم بالضرورة أسلوبا للتواصل والاتصال فيما بين الناس.

كذلك فإن النظرية ذاتها تحمل تناقضا في تحليلها لنشأة اللغة، إذ إن المواضعة والاتفاق علي لفظ أو مسمي معين لأي شيء يحتاج منذ البداية إلي لغة صوتية للحوار يتفاهم بها المبتدعون ليتفقوا في النهاية علي اللفظ المناسب ـ ومن المنطقي بداية ألا نوافق علي صلاحية هذه النظرية لتفسير نشأة اللغة، بينما



تشير هي نفسها إلي وجود اللغة قبل اتفاق المبتدعين لها، ولهذا فإنها لا تستند علي أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي[١].

٣ ـ نظرية محاكاة الأصوات الطبيعية: كأصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات، وأصوات الحيوان، وأصوات مظاهر الطبيعة كالريح والرعد وحفيف الشجر وخرير المياه، وأصوات القطع والضرب والكسر.

وتركز هذه النظرية علي القول بتطور نشأة اللغة من خلال عملية محاكاة الإنسان لتلك الأصوات، وأن هذه المحاكاة سارت في طريق الارتقاء شيئا فشيئا تبعا لتطور العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الإنسان.

وقد أيد هذا القول كثير من فلاسفة العصور القديمة، والعصور الوسطي من علماء العرب، نذكر ابن جني (المتوفي عام ٣٩٢ هـ، أي من نحو ألف واثنين وعشرين عاما). كما نادي بهذا الرأي العالم الألماني «هاردر Harder» في أواخر القرن الثامن عشر، بل إن معظم المحدثين من علماء اللغة وعلي رأسهم العالم «وتني Whiteny» قد أيدوا هذه النظرية.

والواقع أن هذه النظرية علي الرغم من أنها لقيت قبولا واسعا من علماء كثيرين وخاصة من علماء الاجتماع اللغوي، إلا أنها قد أثارت أيضا جدلا بين المؤيدين والمعارضين الذين انتقدوها.

وقد بني المؤيدون لها رأيهم علي المبررات التالية : ـ

أ ـ إن هذه النظرية أقرب النظريات إلي الصحة لأنها أكثرها اتفاقا مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء التي تخضع لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية.

ب ـ تتفق المراحل التي تمر بها اللغة في هذه النظرية مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل في مراحل نموه المختلفة.

---

(١) علي عبد الواحد وافي : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مرجع سابق، ص ٣٢ .



جـ ـ تماثل خصائص اللغة الإنسانية في مراحلها الأولي نفس خصائص اللغات في الأمم البدائية من حيث مرورها بمراحل تدريجية في التطور والارتقاء من محاكاة للأصوات الطبيعية حتي وصولها إلي قمة الارتقاء اللغوي.

أما المعارضون لهذه النظرية ـ فقد قدموا عددا من الانتقادات لها، يمكن أن نوجزها فيما يلي : ـ

أ ـ أنه لو كانت هذه النظرية صحيحة ـ للاحظنا اشتراكا بين اللغات المختلفة في الكلمات التي تحاكي الأصوات الطبيعية مثل : القطع، والدق، والشق، والعواء والمواء وغيرها.

إذ أن الواقع يشهد خلاف ذلك، فنادرا ما تتشابه المفردات اللغوية التي تحاكي الأصوات الطبيعية ـ مثل ما حدث من تشابه بين اللغتين العربية، والألمانية في محاكاة صوت الديك، فنقول بالعربية كوكوكو، أما الألمان فيقولون كيكيركي Kikeriki.

جـ ـ لا تقدم هذه النظرية تفسير الكثير من الكلمات في اللغات المختلفة التي لا تحمل غالبية مفرداتها محاكاة للأصوات الطبيعية مثل كلمات : العدل، والمروءة، والكرم، والشجاعة، والأخلاق، والأمن، والكرامة، والإخلاص، والتقوي وغيرها.

وقد أدت تلك الانتقادات إلي كشف أوجه القصور في هذه النظرية مما دفع العلامة «هاردر Harder» الألماني ـ إلي التخلي عنها في أواخر أيام حياته، وكان من أشد المدافعين عنها، كما سخر منها اللغوي الألماني الشهير «ماكس مولر Max Müller». ومع ذلك فإن لأصحاب هذه النظرية، الفضل في أنها نبهت الباحثين إلي أهمية البحث الفلسفي في نشأة اللغة[1].

٤ ـ نظرية التعبير الغريزي لدي الإنسان : ـ

تقول هذه النظرية بأن النوع الإنساني مزود بغريزة مميزة له، وهي القدرة علي التعبير اللفظي عن كل ما يدركه حسيا ومعنويا. وكذلك فإن لديه القدرة علي

(١) رمضان عبد التواب المدخل إلي علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص ١١٤ .



التعبيـر الطبيعي عن انفعالاته بحركـات وأصوات وصيحات خاصة مـثل صيحات الفرح والسرور، وصيحات الغضب أو الخوف أو الحزن وغيرها، وأنه بفضل ذلك اتحدت المقدرات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولي فاستطاع الأفراد التـفاهم بينهم، وأنه بعـد نشأة اللغـة انقرضت تلك الغريزة نـتيجـة لعدم الحاجة إلي استخدامها.

ومن أشـهر العلمـاء المؤيدين لهـذه النظرية العالم الألمـاني «ماكس مـولر Müller» والعالم الفرنسي «رينان Renan»، و «فندريس Vendryés الفرنسي أيضا» وقد اعتمد «مولر» في تأييده لهـذه النظرية علي أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوربية، حيث وجد أن مفردات هذه اللغات جميعها ترجع إلي خـمسمـائة أصل مشـترك، وأن هذه الأصـول تمثل اللغـة الأولي التي تكونت منها هذه الفصيلة، ولهذا فإنهـا ـ علي حد قوله ـ تمثل اللغة الإنسانية في أقدم عهودها.

وقد تعرضت هذه النظرية لنقد شديد ـ يمكن إيجازه علي النحو التالي : ـ

أ ـ أن النظرية بهذه الصورة لا تحل المشكلة الخاصة بتـفسير نشأة اللغة بل تضع مكانها مشكلة أخري ـ وهي مشكلة «الغريزة الكلامية».

ب ـ ذهبت النظرية إلي القـول بوجود خـمسمـائة أصل مشـترك لمـفردات اللغات الهندية الأوربية ـ تمثل اللغة الإنسانية الأولي ـ تدل علي معان كلية.

وهو قول خاطئ لأن إدراك المعاني الكلية يحـتاج إلي عقلية راقية لا يمكن أن نتصور وجودها في فاتحة النشأة الإنسانيـة، بينما أثبتت البحوث الحقلية لعلماء الأثنوجرافيا بأن الشعوب البدائية ـ وهي تمثل المجتمعات الإنسانية الأولي ـ تعجز عن إدراك المعـاني الكلية في لغاتها، ولتـوضيح ذلك نجد أن لغة الهنـود الحمر تخلو من كلمة شجرة ـ كمعني كلي عام، بينمـا توجد بها مفردات لشجرة البلوط الحمراء، وشجرة البلوط السوداء. . وهكذا.

ولذلك يري علمـاء اللغـة المحـدثون أن أصـول مفـردات اللغـات الهندية الأوربية المشتركة السابقة ليست هي اللغة الإنسانية الأولي كما يقول بذلك «ماكس مولر»، بل إنها بقايا لغة حديثة قطعت شوطا كبيرا في سبيل الرقي والكمال، ولم



تصل إليهـا الأمم الإنسانيـة إلا بعد إن ارتقت عقليـتها ونهض تفـكيرها. ويذهب البـعض إلي القـول بأنها مـجـرد أصول نـظرية لا علاقـة لهـا بمـوضوع اللغـة الإنسانية[1].

جـ ـ أن الأصوات الصادرة عن الإنسان كـتعبير غريزي يتمـثل في صيحات السرور أو الغضب أو الحـزن تكون فجائية منعـزلة عن الكلام الذي يصدر إراديا، أو علي حـد قول العـالم «يسبـرسن Jespersen» تكون أصـواتا ناجمـة عن تلك الانفعـالات لا ترتبط بمظاهر النشـاط اللغوي، ولكنهـا نشاط صوتـي، قد تكون بعيدة عن سياق الحديث، وغير خاضعة للقواعد اللغوية[2].

٥ ـ نظرية يسبرسن Jespersen : ـ

طالب فريق من العلماء المحدثين، وعلي رأسـهم العالم اللغوي (يسبرسن) بأن يتم بحث ثلاثة جوانب هـامة حتي يمكن التوصل لنـشأة اللغة وتفسـيرها في إطار نظرية متكاملة ـ وهذه الجوانب هي : ـ

أ ـ دراسة وافية للغة الطفل وتطورها.

ب ـ دراسة لغات المجتمعات البدائية.

جـ ـ دراسة تاريخية للتطور اللغوي.

وقد قـسم «يسبـرسن» النمـو اللغوي عند الطفل إلي ثلاث مـراحل، وهي مرحلة الصياح، ومرحلة البأبأة، ومرحلة الـكلام. وفسر مرحلة الصياح التي تظهر عند مـولده بأنها ترجع إلي ضـغط الهـواء الداخل إلي الرئتين لأول مـرة، ولكنه يستـمر في استخـدام الصياح تعبـيرا عن حاجاتـه المختلفة بديلا عن اللغـة، أما مرحلة البأبأة فـفيها يبدأ الطفل نطـق حرف الباء، وترديده تبعا لتـقليد من حوله، وتشجيـعهم له، ثم يكرر مقـاطع أخري مقلدا ـ أما مـرحلة الكلام أو اللغة عنده فتبدأ حين يجيد نطق مقاطع مـعينة بعد ترديدها وتقليدها لفترة طويلة مثل كلمات : ماما، بابا، ننا، نونو. .إلخ.

---

(١) علي عبد الواحد وافي : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مرجع سابق، ص ٤٠ .

(٢) توفيق محمد شاهين . علم اللغة العام، مرجع سابق، ص ٥٧ وما بعدها .



ويتفق غالبية العلماء علي وجود تشابه كبير بين مراحل النمو اللغوي عند الطفل، ونشأة اللغة عند المجتمعات البدائية، وإن كان بعض العلماء يعترضون علي ذلك بدعوي أن ظروف الطفل الذي يعيش الآن في العصور الحديثة تختلف كثيرا عن ظروف الطفل البدائي الذي مر بظروف قاسية في مراحله الأولي ـ إذ أن الطفل في العصر الحديث يتعلم اللغة من أبويه، كما تنقل إليه اللغة كل التراث الثقافي عبر الأجيال السابقة، علي عكس الطفل في العصور الأولي لنشأة الإنسانية ـ الذي لم يجد من يعلمه اللغة أو يصححها له أو ينقلها عنه.

أما عن دراسة اللغة في المجتمعات البدائية : ـ فقد اعتبر الباحثون أن الإنسان البدائي المعاصر، شبيه بالإنسان الأول ـ الموغل في القدم، وتلمسوا دراسة لغات الأمم البدائية في أصواتها وحروفها وكلماتها وتراكيبها، لإلقاء الضوء علي ما كانت عليه نشأة اللغة الإنسانية الأولي ـ لعلهم بذلك يستكملون الحلقات المفقودة في تاريخ الإنسانية بدلا من الاعتماد علي التاريخ الظني الذي كان يقتصر علي الحدس والتخمين في تأويل الظواهر الاجتماعية المختلفة وتفسير الأحداث والمواقف التاريخية التي تفتقر إلي الأدلة اليقينية.

وبعد دراسة ومقارنات كثيرة وجد العلماء تشابها في الأصوات ومقاطع الكلمات وتراكيب الجمل بين المجموعات اللغوية المتشابهة. وقد ألقي هذا ضوءا علي ما كانت عليه لغة الإنسان في العصور السحيقة بحكم التشابه بين حالة البدائية، وحالة نشأة اللغة عند الإنسان، والمراحل التطورية التي تمر بها اللغة حتي تصل إلي مرحلة النضج اللغوي في المجتمعات الحديثة.

كذلك فقد عني العلماء بالدراسات التاريخية للتطور اللغوي في اللغات المختلفة، ومقارنة لهجاتها علي مر العصور حتي يمكن استخلاص قواعد عامة للتطور اللغوي يمكن تطبيقها علي عصور ما قبل التاريخ لإلقاء الضوء علي نشأة اللغة ومراحل تطورها منذ عصور الإنسانية الأولي.

وقد برزت عدة مؤلفات قيمة تبنت الدراسة التاريخية للتطور اللغوي منها كتاب (يسبرسن) بعنوان : اللغة وطبيعتها، وكذلك كتاب «أنطوان مييه» بعنوان : المنهج المقارن في علم اللغة التاريخي.



ورغم الوجاهة العلمية لنظرية يسبرسن، إلا أنها لم تسلم من النقد - ويمكن أن نعرض رأي العلماء النقاد في إيجاز شديد ممثلا في اعتراضهم علي المحاور الثلاثة التي تقوم عليها النظرية، وافتراض أهميتها في تكوين النظرية،حيث إن دراسة لغة الطفل لن تقدم تفسيرا مناسبا لنشأة اللغة، ذلك لأن الطفل يتعلم اللغة من أسرته، وبذلك فهي عملية مكتسبة له ترجع إلي التراث الثقافي الذي سبقه بأجيال عديدة.

كذلك فإن دراسة لغات المجتمعات البدائية كلغات الهنود الحمر، والزنوج، وسكان أستراليا الأصليين وغيرهم كصورة لمراحل تطور اللغات ونشأتها والقياس عليها في فهم تلك المراحل - هو أمر لا يخلو من التعسف، ذلك لأن حياة اللغة ترجع إلي عصور سحيقة وتاريخ مديد تعتبر معه دراسة تلك اللغات البدائية أمرا حديثا، لا يعطي صورة مماثلة لجذور النشأة الأولي للغات عند الإنسان.

وهكذا نري أن تعدد النظريات المفسرة لنشأة اللغة قد ألقي أضواء متباينة علي جوانب المشكلة، وأظهرت كل منها جانبا من التعليل والتحليل للظاهرة.

ومع أن البحث بدأ ميتافيزيقيا في مناقشة تفسير نشأة اللغة إلا أنه تطور بعد ذلك واتجه نحو البحث المنهجي واتسع نطاقه، وإن بدا بسيطا ساذجا كالقول بالاصطلاح والاتفاق - في نشأة اللغة - دون قواعد محددة، لكنه تدرج نحو الموضوعية والمطالبة بربط السبب بالمسبب واستخلاص النتائج من المقدمات، ووضع الضوابط والقواعد علي أسس منهجية.

وقد أدي التخلي عن نظرية الإلهام والوحي إلي القول بأن اللغة هي مجموعة من الحقائق تحكمها قواعد عامة، وضرورة الاتجاه إلي الدراسة الموضوعية للغة وتوسيع نطاق البحث فيها من خلال البحوث والدراسات الإمبريقية التي تكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين الفصائل اللغوية المختلفة وتفسيرها، وعلاقتها بجذور اللغة وأصولها في نشأتها الأولي.

ولما للغة من أثر في حياة الإنسان، ارتبط بحث أصلها كظاهرة اجتماعية بخلق الإنسان، وإبداع الخالق - مما أدي إلي القول بأنها وحي وإلهام - لقوله



تعالي : ـ «وعلم آدم الأسماء كلها» سورة البقرة ـ آية (٣١)، ويري المفسرون المعتدلون أن التعليم قد حصل بالإلهام من خلال قدرة الخالق وقوته في تمكين آدم من ذلك، وتزويده بملكة الخلق والابتكار، ثم تركه يخلق الأشياء كيفما شاء ـ وعندما جاء أبناؤه من بعده، تعددت لغاتهم، والدليل علي ذلك هو قوله تعالي:

«وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» سورة إبراهيم ـ آية (٤).

ثالثاـ نشأة اللغة عند الطفل :ـ

لكي نتعرف علي كيفية نشأة اللغة عند الطفل بشكل واف يجب أن نناقش عددا من الموضوعات المتصلة بها وهي : ـ

١ ـ أنواع التعبير المختلفة عند الطفل.

٢ ـ أنواع الأصوات التي يعبر بها الطفل.

٣ ـ مراحل اكتساب الطفل للغة.

ـ أنواع التعبير المختلفة عند الطفل :ـ

يعبر الطفل عن نفسه بصور متعددة، وهي : ـ

١ ـ التعبير التلقائي، والإرادي عن الانفعالات عن طريق الأصوات.

٢ ـ التعبير التلقائي، والإرادي عن الانفعالات عن طريق الحركات الجسمية.

٣ ـ التعبير عن المعاني عن طريق محاكاة أصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة.

٤ ـ التعبير عن المعاني عن طريق اللغة باستخدام الجمل والمفرادات.

٥ ـ التعبير عن المعاني عن طريق الإشارات اليدوية والجسمية.

وبذلك يمكن القول أن صور التعبير المختلفة عند الطفل تشتمل علي شكلين أساسيين هما التعبير عن الانفعالات، والتعبير عن المعاني.

ـ أنواع الأصوات التي يعبر بها الطفل :ـ

١ ـ الأصوات الوجدانية التلقائية أو أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات، وهي الأصوات الفطرية التي تصدر عن الطفل أثناء مروره بحالة



انفعـالية في حالات الخوف والألم والجـوع والفرح والغضب والسـرور والدهشة معبرا عنها بالبكاء أو الضحك أو الصراخ الوجداني.

وهذه الأصـوات لا تحـتاج إلي تعليـم أو تدريب، فهي فـطرية عند الطفل تصدر منه بشكل غير إرادي كـرد فعل علي المثيرات الانفعالـية المحيطة بالطفل. ويصاحب تلك الأصوات التعبيرية بعض المظاهر الجسمية الظاهرة كحمرة الوجه، أو اصفراره، وفتح الفم، وانقباض الوجه أو انفراج أساريره في حالات السرور.

٢ ـ الأصوات الوجـدانية الإرادية : ـ وهي نفس الأصوات السابقـة ولكنها تتم بتعبير إرادي من الطفل لإرغام الكبـار عليَ تحقيق رغباته، حيث تكونت لديه الخبـرة من استجابة الكبـار له في المواقف الانفعـالية المخـتلفة مما يدفـعه إلي محاولة استثمار هذا التعاطف، فنراه يتـعمد البكاء أو الصراخ ويتمادي فيه لإجبار الكبار علي الاستجابة لمطالبه. وهو في ذلك سواء بالتعبير الانفعالي أو بالحركات الجسمـية واليدوية المعبـرة عنها يحاكي الطبيعـة الفطرية التي كان عليها لتـحقيق أغراضه.

٣ ـ أصوات الإثارة السمعية : ـ وهي أصوات فطرية غير تقليدية تصدر من الطفل في شهوره الأولي نتيـجة لاستجابته لسماع الأصوات المـرتفعة مثل صوت المذياع أو التلفـزيون أو المناغاة، مما يثـير أعضاء الصوت لدي الطفل ويـجعلها تلفظ بشكل آلي أصواتا غير تقليدية لا تحاكي الأصوات المسموعة.

ويشمل هذا النوع أيضـا ما يعرف بالـعدوي الصوتيـة، إذ يحدث عند بكاء الطفل أو صراخـه أن يؤدي ما يعـرف إلي نوع من الإثارة للأطفال الآخـرين ممن يسمعونه فينخرط الجميع في الصراخ أو البكاء.

ورغم أن هذه الأصوات فطرية آلية لا تقوم علي المحاكاة والتقليد، ولاعلي غايات إرادية ـ مثلها مثل النوع الأول من الأصـوات الوجدانية التلقائية أو أصوات التعبير الطبـيعي عن الانفعالات ـ لكنها تختلف عنها في وجـود روابط طبيعية بين الجهاز السـمعي وأجهزة الصوت والنطق والكـلام ـ مما يجعلها تسـتجيب بشكل تلقائي لتلك المثيرات المسموعة، وتظهر هذه الأصوات مع بداية الشهر الثاني من عمر الطفل.



٤ ـ أصوات التمرينات النطقية : تظهر هذه الأصوات لدي الطفل بدءا من الشهر الخامس من عمره ـ حيث يميل الطفل إلي تمرين أعضاء النطق و اللعب بالأصوات، حيث يقضي وقتا طويلا من وقته في إصدار أصوات متنوعة خالية من الدلالة والمعني عن قصد التعبير، وقد أطلق الباحثون عليها اللعب اللفظي.

ويشعر الطفل بارتياح شديد لتكرار تلك الأصوات، إذ أنه يقوم باكتشاف نفسه وقدراته، أو كما يسميه العالم «بلدوين» عملية تقليد الطفل لنفسه أو التفاعل الدائري عند الطفل ـ لأنه يبحث عن نفسه محاولا اكتشاف قدراته الصوتية بطريقة تلقائية دون محاكاة أحد.

٥ ـ الأصوات التي يحاكي فيها الطفل أصوات الأشياء والحيوانات والطيور مثل صوت السيارة، وصوت القطة، وصوت العصافير، وصوت الكلب.. إلخ.

وتعتمد هذه الأصوات علي غريزة المحاكاة والتقليد، وهي تصدر بشكل إرادي لإثبات قدرة الطفل علي التقليد، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة التقليد اللغوي.

٦ ـ الأصوات المركبة ذات الدلالة والمقاطع الوضعية التي تتألف منها الكلمات وتتكون منها اللغة. وهي عملية إرادية حيث يبدأ الطفل التمييز والإدراك، ويتوافر لديه المزيد من المخزون اللفظي، يمكنه من إدراك المعاني وسياقات الجمل المختلفة، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الاستقرار اللغوي، وتبدأ من سن السادسة حتي الثامنة.

وبدخول الطفل لهذه المرحلة تستقر لغته، ويتمكن لسانه من أساليب التعبير الصوتية مما يساعده علي التوافق الدراسي بالمرحلة الابتدائية أو التعليم الأساسي، بينما يشعر بنوع من الصعوبة في تعلم اللغات الأجنبية نتيجة لوصوله إلي هذه المرحلة التي حدث فيها الاستقرار اللغوي علي أحادية اللغة التي ينطق بها.

ـ مراحل اكتساب الطفل للغة :ـ

١ ـ التدرج في وضوح الإحساس بالسمع لدي الطفل : إذ يولد الطفل وهو لا يكاد يسمع شيئا، ويظل علي هذا الحال حتي اليوم الرابع أو الخامس، حيث يبدأ جهازه السمعي في مزاولة نشاطه فتبدو عليه علامات السمع ـ غير أن إحساسه



السمعي يظل مبهما عاجزا عن تحديد مصادر الأصوات التي يسمعها حتي أواخر الشهر الرابع، ثم يتدرج في الارتقاء والنضج.

وعلي ذلك فإن الطفل في مرحلة التقليد اللغوي يقوم بمحاكاة ما يسمعه من أصوات، ولهذا فإن الطفل الأصم ينشأ عادة أبكم لا يتكلم حتي لو كانت أعضاء نطقه سليمة من الناحية الفسيولوجية، إذ أن هناك ارتباطا عضويا بين جهازي السمع والكلام.

٢ ـ القدرة علي حفظ الأصوات المسموعة وتذكرها : وتظهر هذه القدرة عند الطفل بعد عدة أسابيع من مولده، ثم تنمو تدريجيا حتي بداية سنته الثانية من عمره. وبتطور النمو اللغوي للطفل من مرحلة التقليد اللغوي إلي مرحلة الاستقرار اللغوي تتكون لدي الطفل القدرة علي حفظ الكلمات والأصوات المسموعة، واستعادتها في ذاكرته عند الحاجة والتعبير بها عن المعاني والدلالات الصحيحة لها.

٣ ـ فهم الطفل لمعاني الكلمات : وهذا الفهم يعتبر مرحلة سابقة لقدرته علي النطق، إذ أن هذا الفهم شرط ضروري للتقليد اللغوي[١]. وتساعد عملية الإبصار علي التقليد اللغوي الأسرع لدي الطفل، لهذا فإن الطفل الكفيف يحتاج إلي فترة أطول من الطفل المبصر لتعلم اللغة ـ حيث لا يربط بين النطق ورؤيته ومتابعته بصريا وسمعيا لطريقة الكلام وكيفية إخراج الحروف والكلمات من بين الشفاه كما يفعل الطفل المبصر، وإنما يقتصر اعتماده في عملية المحاكاة والتقليد اللغوي علي حاسة السمع فقط.

وترتبط العوامل الثلاثة السابقة مع بعضها البعض في عملية تعلم الطفل للغة ارتباطا وثيقا، كما تعتبر الحالة الصحية للطفل ودرجة نموه الجسمي والعقلي عاملا مؤثرا في مدي قدرة الطفل علي استيعاب اللغة وتعلمها. لهذا تبرز ظاهرة تأخر الكلام أو النطق، والمشي ـ لدي الأطفال الذين يعانون من ضعف عام في الصحة، والنمو الجسمي مما يؤدي إلي خمول موضوعي في أعضاء النطق والكلام والحركة. كذلك فإن هناك فروقا بين الجنسين في عمليتي الكلام

(١) علي عبد الواحد وافي علم اللغة، مرجع سابق، ص ١٥٢ وما قبلها .



والمشي، إذ تؤكـد كثيـرا من الشواهد والبحـوث الإمبريقيـة في علم نفس الطفل والنمو أن الإناث يسبـقن الذكور من الأطفال في تعلم المفـردات اللغوية والنطق، والمشي. كما أشارت البحوث اللغـوية إلي أن أول الكلمات التي يتعلمها الأطفال هي أسماء الذوات، مثل بابا، ماما، وأسمـاء الأقارب والأشخاص، يليها الأفعال ثم الصفات، ثم الضمائر، ثم الحروف والروابط، ويرجع السبب في ذلك إلي أن الطفل يسير في ارتقائه اللغوي وفقا لارتقاء فهمه ونمو مداركه.



الفصل الرابع

حياة اللغة وعوامل تطورها

أولا- اللغة ككائن حي.

ثانيا- عوامل تطور اللغة.

أولا ـ اللغة ككائن حي :ـ

اللغة شأنها شأن الكائنات الحية، تحيا وتتعرض للاضطراب والتطور والتقلب بين الازدهار والانتشار ـ والقوة تارة، وبين الضعف والتفكك والانهيار والتعرض للانحسار والانقراض تارة أخري.

وقد أولت الدراسات اللغوية علي اختلاف مداخلها عناية خاصة لدراسة اللغة وحياتها، وعوامل تطورها، ودرجة قوتها وتماسكها، وضعفها وانحلالها، بل وتعرضها للموت والانقراض.

وفي مجال علم الاجتماع اللغوي تختلف النظرة، بل ويتمايز منظور هذا العلم عن غيره من فروع العلوم اللغوية الأخري ومداخلها في نظرته لقضية حياة اللغة، حيث يركز هذا العلم علي تأثير الاجتماع الإنساني علي اللغة، في حياتها ومراحل تطورها في ازدهارها وتدهورها وتعرضها للانهيار والموت.

لهذا تدور قضايا البحث في هذا العلم عند مناقشة هذا الموضوع حول عوامل تطور اللغة، والصراع اللغوي، وعلاقة اللغة بالثقافة، وتفرع اللغة ونشأة الفصائل والشعب اللغوية، وانشقاق اللهجات المختلفة (المحلية والاجتماعية) عن اللغة، والآثار المترتبة علي التباين اللغوي الناجم عن نزوح العمالة الأجنبية بلغاتها المتعددة إلي أرض الوطن وانعكاساتها علي اللغة القومية أو الوطنية.

وسوف نعالج تلك القضايا بإلقاء الضوء عليها في هذا الفصل وفي الفصول القادمة، لتغطية الجوانب المختلفة لهذا الموضوع بصورة مناسبة.

وإذا كان الكائن الحي يخضع لنواميس الحياة وتطورها، وكذلك فإن اللغة أيضا تخضع لتلك النواميس، والتغيرات الاجتماعية التي تطرأ علي المجتمعات، وقد أكدت البحوث والاتجاهات المختلفة في دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية حيوية أن المدلول الاجتماعي يسبق دائما المدلول اللغوي، الذي يتبعه ليخلع عليه الرموز اللغوية التي تكسبه الدلالة في إطار المعني الذي تعارف عليه المجتمع.

ولهذا فإن كل تطور اجتماعي أو نفسي أو عقلي أو بيئي أو حضاري أو ثقافي، تبدو مظاهره في اللغة، فتلاحقه وتتشكل معه تطورا وتغييرا وتأثيرا وتأثرا.



ثانياً- عوامل تطور اللغة :-

تتأثر اللغة في تطورها بعدد من العوامل تلقي بظلالها علي اللغة، مما ينعكس علي تركيبها وبنائها، وحيويتها ودرجة ازدهارها أو ركودها.

وقد ظل بعض العلماء يقصرون عوامل تطور اللغة علي العوامل الاجتماعية أو السوسيولوجية دون غيرها، ويأتي علي رأس هذا الفريق العالم السويسري الشهير فرديناند دوسوسور Ferdinand de Saussure، ولكن الدراسات الحديثة تؤكد خطأ هذا الزعم رغم أهمية العوامل الاجتماعية التي تؤثر في اللغة، وتأثرها بالظواهر الاجتماعية الأخري مثل الفتح والاستعمار، والهجرة، وزيادة حركة العمران، واختلاف المناطق الجغرافية عن بعضها البعض في اللهجات المحلية، واختلاف لهجات الطبقات الاجتماعية، وضعف السلطان المركزي أو قوته في العواصم وأثره علي اللغة، وغيرها من ظواهر الاجتماع الإنساني.

لهذا فإن اللغة باتت تتأثر بمجموعة من العوامل وهي : -

١ ـ العوامل الاجتماعية.

٢ ـ العوامل الأدبية.

٣ ـ العوامل الجغرافية والطبيعية.

٤ ـ العوامل اللغوية.

وسوف نتناول هذه العوامل بالشرح والتحليل فيما يلي : -

١ ـ العوامل الاجتماعية :-

تشتمل هذه العوامل علي الخصائص العقلية للأمة، وانتقال اللغة من السلف إلي الخلف، والاحتكاك اللغوي، والعزلة الاجتماعية ووسائل الاتصال والتغير الاجتماعي ـ وانعكاسات هذه العوامل علي اللغة وتطورها.

أ ـ خصائص الأمة : -

تتأثر اللغة بالخصائص العقلية للأمة وحضارتها ونظمها وعقائدها وتقاليدها، واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرتها إلي الحياة وشئونها الاجتماعية العامة، كما تتأثر اللغة بسمات الشخصية الوطنية أو القومية التي تعكس خصائص الأمة



لأي شعب من الشعوب. فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في اللغة كأداة للتعبير، ولهذا تعكس اللغة تاريخ الشعوب من خلال تراثها الثقافي الشفاهي والمكتوب ـ وما مرت به من مراحل الازدهار أو الانهيار.

فكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها، وارتقي تفكيرها، وتهذبت اتجاهاتها النفسية ـ نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها مفردات أخري عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة.

ومن الأمثلة علي ذلك اللغة العربية ورقي أساليبها بعد انتقال العرب من همجية الجاهلية إلي الحضارة الإسلامية، وانتقال الأمة من البداوة إلي الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها.

واللغة مرآة تنعكس عليها عقائد الأمة وتقاليدها الاجتماعية والسياسية، فاتجاه الأمة نحو مبادئ المساواة أو انحرافها نحو نظام الطبقات الاجتماعية ينعكس في لغتها. فمخاطبة المفرد بضمير الجمع المخاطب تعظيما له مثل القول بهذه العبارات : ـ

(أرجو أن تتفضلوا..) ، (وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.....إلخ).

وكذلك إجراء الخطاب في صيغة الإخبار عن الغائب بشكل استفهامي، كما هو شائع في المغرب العربي بقولهم : «هلا ... تفضل سيدي ...».

كل ذلك من أساليب وعبارات المبالغة اللفظية لا يبدو في اللغة إلا حيث ينحرف الناس عن مبادئ المساواة وتكثر الفوارق بين الطبقات الاجتماعية. لذلك يعد تطور هذه الضمائر اللغوية في أمة ما أصدق سجل لتطور اتجاهاتها العقلية وخصائصها الحضارية.

وليست اللغة العربية وحدها هي التي تأثرت في تطورها بتلك العوامل، بل إن كثيرا من لغات العالم حل بها هذا التأثير ـ وقد ظهر ذلك واضحا في اللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية وغيرهما. فالصراع في اللغة الفرنسية بين كلمة Tu بمعني أنت، كضمير للمفرد المخاطب، وكلمة Vous بمعني أنتم ـ كضمير للجمع المخاطب ـ يمثل مرحلة من الصراع الاجتماعي بين روح المساواة، ونظام



الطبقات الاجتماعية لدي الشعب الفرنسي في مراحل تاريخية مختلفة. إذ شاع استخدام ضمير المفرد المخاطب Tu في العصور التي انتشرت فيها مبادئ المساواة، بينما تقلص استخدامه وحل محله الضمير الثاني Vous في العصور التي ضعفت فيها روح المساواة وبرزت فيها الفروق بين الطبقات الاجتماعية.

وينطبق أيضا نفس التحليل علي اللغة العربية وضمائر المخاطبة المستخدمة فيها، إذ تحولت اللغة العربية أيضا إلي استخدام مفردات حملت كثيرا من المبالغة في الاحترام والتبجيل حيث حفلت بمثل هذه الكلمات : «صاحب الجناب، صاحب المقام الرفيع»، وغيرها من المفردات.

كما تتشكل اللغة بالصورة التي تتفق مع الاتجاهات العامة للأمة ونظرتها للحياة، وتعكس اللغة تلك الاتجاهات عند تحليلنا لمفرداتها اللغوية. فالشعب الإنجليزي تتضح اتجاهاته المادية ونظرته للحياة من تحليل تراكيبه اللغوية الشائعة مثل «إنفاق الوقت، النهاية ـ أهي مكسب أم خسارة» بالقول : ـ

He spent his time.

The end. is it gaining or loosing ?

كذلك فإن المفردات والتراكيب اللغوية تعكس القيم السائدة والأخلاقيات التي تتبناها، وتتخير الأمم من أساليب التعبير المختلفة الصريحة أو الضمنية ما يتلاءم مع تلك القيم والأخلاقيات لتعبر بها عن ذلك. فاللغة اللاتينية تعبر عن العورات بصورة صريحة دون استحياء، وتبعها أيضا بعض اللغات الهندوأوربية، علي عكس اللغة العربية ـ وخاصة بعد نزول القرآن الكريم، نجدها تتحسس الألفاظ وتنتقيها بدقة بالغة وأدب شديد عند التعبير عن تلك الأمور. كما تستعين بالمجاز في اللفظ، والتورية، وأساليب الكناية والاستعارة اللفظية والتشبيه دون استخدام الكلمات الفاضحة، وتبدو قمة البلاغة وأدب التعبير في القرآن الكريم عند تعرضه لتلك المسائل ـ في قوله تعالي : ـ

«نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم»، وقوله تعالي : «وقد أفضي بعضكم إلي بعض»، وقوله سبحانه: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلي نسائكم» وما إلي ذلك من عبارات مهذبة تتسم بالرقة في التعبير، وعفة القول.



وتعاني بعض اللغات واللهـجات من قصور في القدرة علي الوفاء بالتـعبير الكامل بين المتخاطبين، مما يضطرهم إلي الاستعانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة هذا النقص وإبراز المعاني والدلالات المختلفة.

ومن الأمثلة علي ذلـك ما تفعله قـبائل البوشـمان Bochiman البدائية في جنوب أفـريقيا، حـيث يشعلون النـار ويلتفون حـولها كل ليلـة عندما يتـحدثون ليتمكنوا من رؤية الإشـارات اليدوية والجسمية أثناء تحدثهـم لاستكمال ما نقص من لهجتهم ولغتهم التي تعجز عن الوفاء بالمعني والدلالة في التعبير[١].

ب ـ انتقال اللغة من السلف إلي الخلف : ـ

تنتقل اللغة من جيل إلي آخر من خلال عملية التنـشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة لنقل الثقافة من السلف إلي الخلف.

ومن الجدير بالذكر أن عـملية التعلم والمحاكاة التي يقـوم بها الأطفال نقلا عن الكبار لا تتم بصـورة حرفية، وإنمـا تصاحبـها عملية تطور وتغـير ترجع في مضمونها لأسباب وعوامل اجتماعية وأخري غير اجتماعية.

وتظهر العوامل الاجتمـاعية ممثلة في النظم الاجتماعيـة والعادات والتقاليد السائدة في المجـتمع والقيم التي تحقق أهدافه، وما يطرأ علي اللغـة من تغير في المعاني والـدلالات للألفاظ والمفردات وتحولـها من المعاني الأصليـة إلي معان مجازية ـ تسود وتنتشر وتؤدي إلي إكسـابها دلالات جديدة، وانتقال تلك المعاني والدلالات الجديدة للصغار من خلال عملية التنشئـة الاجتماعية مما يؤدي بالتالي إلي انقراض المـعاني الأصلية لتلك الألفـاظ علي مر الأجيـال، ومن الأمثلة علي ذلك التغيـر في مسمي الأب في بعض المجـتمعات ـ مثل المـجتمعـات الريفية، والمجتمعـات البدائية التي تطلق هذا المسمي أحيانا علي العم باعـتباره في مرتبة الأب، بل وتعتبر المجتمعات البدائية أن الابن ينسب إلي خاله بل ويرثه أو ينسب إلي أمه ـ كما هو الحال في بعض المجتمعات الأمومية[٢].

---

(١) علي عبد الواحد وافي : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٩ .

(٢) احـمد ابو زيد : البناء الاجـتـماعي ـ الأنسـاق، جـ ٢، الاسكندرية، منشأة دار المعـارف، ١٩٨٠ ، ص١٥٨ .



أما العوامل غير الاجتماعية التي تؤثر في تطور اللغة خلال انتقالها من السلف إلي الخلف فإنها ترجع إلي ما يصيب اللغة ذاتها من انحراف في الأصوات اللغوية وطريقة النطق نتيجة للتطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق في الإنسان، إذ أن هذه الأعضاء تتغير علي مر الأجيال ـ لأن حناجرنا و حبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء النطق تتعرض للتغير علي المدي الطويل في استعداداتها إن لم يكن في بنيتها الفيزيقية. وبذلك فهي في حالة تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها، رغم أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج، ولا يظهر أثره إلا بعد زمن طويل.

وقد أسهمت هذه المعارف في تطوير البحوث اللغوية المتصلة بالتطور الصوتي، وتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة عنه. وقد استعان العالم «روسلو Rousselot» في تدعيم رأيه بالأدلة القاطعة التي تقوم علي استخدام الأجهزة في دراسة الأصوات اللغوية ـ وانتهي إلي قانون عرف باسمه «قانون روسلو»، رغم أن العلام «بول هرمان Paul Herman» كان قد توصل مع عدد من الباحثين إلي نفس النتيجة، ولكن يعود الفضل إلي «روسلو» في تدعيمه بالدراسة التجريبية(١).

وتظهر عملية انحراف الأصوات اللغوية وطرق النطق لبعض المفردات من خلال الأمثلة التالية في اللغة العربية لبعض الحروف والأصوات المصاحبة لها مثل الجيم جـ، والثاء (ث)، والذال (ذ)، والظاء (ظ)، والقاف (ق) حيث أصبحت هذه الحروف وما يتصل بها من الأصوات ثقيلة علي أعضاء النطق في كثير من البلاد العربية، وأصبح نطقها علي الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا ومجهودا إراديا وقيادة مقصودة لحركات مخارج الحروف.

وقد أدي هذا إلي انحراف في نطقها وتحولها إلي العامية سعيا وراء الاستسهال، فيقال «داب السكر» بدلا من ذاب السكر، ويقال «رفع دراعه» بدلا من رفع ذراعه، وبذلك تحولت الذال إلي دال ـ كما تحولت الثاء إلي تاء في كلمة ثوب وتحولها بالعامة إلي توب، وكلمة ثلج إلي تلج، استبدلت القاف بالهمزة مثل كلمتي قط التي تحولت إلي أ ط، وكلمة قبل إلي أبل، وكلمة نطق التي تحولت إلي نطأ.

(١) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة، مرجع سابق، ص ٢٩٠ .



وهناك عامل آخر من العـوامل غير الاجتمـاعية مثل الأخطاء السمـعية التي تنشأ عن استخدام العامية بدلا من الفصحي في التـعبير عن المعاني المختلفة مثل القول «إمسك سيـرا» في المجتمعات الخليـجية تستخدم كلهجـة محلية بديلا عن معناها بالفـصحي «خذ دورك في الترتيب» ـ وكلمـة سيرا Sera كلمة دخيلة علي اللغة العربية ـ وهي مشتـقة ومحرفة عن كلمة Serial ومعناها مسلسل بالترتيب، وجاء منها الترتيب العددي بمعني Serial Number كأن نقول ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وهكذا.

كذلك فإن استخدام العامـية يؤدي إلي هدم القواعد اللغوية وشيوع الأخطاء السـمعـية ـ كـأن يقال «الأولاد بيـضحـكوا» بدلا من القول «الأولاد يضـحكون» وغيرها من الأمثلة.

جـ ـ الاحتكاك اللغوي : ـ

تتعرض مختلف اللغات للاحتكاك اللغوي نتيجة لاتصالها بلغات أخري، إذ لا توجد لغـة يمكن أن تعيش منفـصلة تمامـا أو في مأمن من الاحتـكاك اللغوي وخاصة في العصر الحديث وحدوث ثورة الاتصالات التي حولت العامل إلي قرية صغيرة نتيجة لتقدم تكنولوجيا وأساليب الاتصال بين الشعوب المختلفة.

وتتأثر اللغات المختلفة تأثرا متباينا نتيجة لاتصال الشعوب، وقيام العلاقات الاجتماعية بينها، مما يؤدي إلي التبادل اللغوي بينها، وتزداد عملية التبادل والأخذ والعطاء بين اللـغات المـخـتلفـة كلمـا زاد التـقـارب المكاني أو تجـاورت تلك الشعوب.

ويحـدثنا التـاريخ القديم والمعـاصر عن صـور مـختـلفة لآثار الاتصـال والاحتكاك اللغوي بين اللغات المختلفة، وما نجم عنه من تبادل لغوي كما حدث بين اللغة العربية، واللغـة الفارسية واللغة التركية، وما يحـدث من اقتباس وتبادل لغوي بين اللغـة الألمانية، واللغة الفـرنسية في سويسـرا نظرا لتجاورهما مـعا في منطقة جغرافية واحدة.

وعادة ما تـنتقل المفردات التي تقـتبسهـا لغة ما عن غيـرها من اللغات في النواحي التي تميز فـيها المجتـمع أو برز فيها عن غيـره من المجتمعـات مثل ما



حدث عندما نقلت اللغة العربية عن اللغة اليونانية أسماء بعض آلات الجراحة ومصطلحات الطب والفلسفة التي برز فيها اليونانيون.

وكثيرا ما تحدث عملية تحريف للكلمات والمفردات المقتبسة عن أصولها في تلك اللغة مما يؤدي إلي اختلاف أصواتها وطريقة نطقها، مثل ما حدث في بعض الكلمات التي أخذتها اللغة العربية عن اللغة الفارسية أو اليونانية حيث اصطبغ معظمها بصبغة اللسان العربي مما جعلها تتلف عن أصولها التي انبثقت منها من حيث الجوانب الصوتية لها.

د ـ العزلة الاجتماعية ووسائل الاتصال : ـ

تؤدي العزلة الاجتماعية إلي عدم تحقيق الاتصال الثقافي وانعزال اللغة عن غيرها من اللغات نتيجة لضعف وسائل الاتصال الجماهيري، وتقييد الهجرة، وعمد الاحتكاك اللغوي ـ مما يترتب عليه عادة ثبات اللغة علي حالها في المجتمع المنعزل بل وجمود اللغة في معظم الأحوال.

وعلي مستوي المجتمع المحلي فقد تؤدي الظروف الطبيعية والجغرافية إلي عزلته عن غيره من المجتمعات مما يترتب عليه عدم تأثر اللغة واللهجة المحلية السائدة بغيره من اللغات واللهجات. وعلي النقيض من ذلك فإن الاتصال الفاعل باللغات والثقافات الأخري يؤدي إلي الاحتكاك اللغوي وتطور اللغة، وتحديثها عن طريق الاقتباس وملاحقة ما يستجد من ألفاظ ودلالات لغوية تؤدي إلي تطوير الرموز اللغوية والتغير اللغوي.

هـ ـ التغير الاجتماعي وتطور اللغة : ـ

يعتبر التغير الاجتماعي سمة من سمات كافة المجتمعات، فالتغير يعتبر من السنن الاجتماعية المصاحبة للاجتماع الإنساني.

والتغير الاجتماعي كمفهوم هو التعبير المحايد بديلا عن المفاهيم الأخري كمفهوم التقدم Progress، والنمو Growth، والتطور Evolution، والتغير الاجتماعي Social change يحدث علي مر الزمن نتيجة للتغير الذي يطرأ علي ثقافة المجتمع بجانبيها المادي والمعنوي بفعل العوامل الداخلية بالمجتمع كظهور الثروة النفطية في أحد المجتمعات، والثروات المعدنية ـ وما يصاحب ذلك من تغير العادات والتقاليد والقيم والأعراف.



بينما قد يحدث التغير الاجتماعي بفعل عوامل خارجية مخططة ومقصودة عن طريق التخطيط للتنمية والتحديث أو إحداث تغييرات شاملة في المجتمع وبنيته الاجتماعية بإعادة توزيع الدخل القومي، وتقريب الفوارق بين الطبقات، وكذلك عن طريق الحروب والكوارث والنكبات كالزلازل والفيضانات.

وفي كلتا الحالتين سواء في حالة التغير الاجتماعي أو التغيير الاجتماعي المخطط فإن علي اللغة السائدة بالمجتمع أن تتطور لتواكب سرعة ذلك التغير، وتمده بالمفردات اللغوية المناسبة له، فلقد أدي ظهور النفط بمنطقة الخليج العربي إلي شيوع مفردات لم تكن معروفة من قبل بالمنطقة مثل : عوائد النفط، وسقف الإنتاج، والأوبك (منظمة الدول المصدرة للنفط)، والبتروكيماويات. . .إلخ، حتي أصبح العامة والخاصة علي السواء يعرفون معاني تلك الألفاظ ومدلولاتها.

وليس من شك في أنه لولا ظهور النفط في المنطقة العربية لما شغلت اللغة العربية نفسها بالمفاهيم والمفردات المتعلقة بالنفط وصناعته وتسويقه، ولما اهتمت بتقبل الكلمات والألفاظ المستعارة من اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية وغيرها.

مثال آخر - لأثر التغير الاجتماعي في تطور اللغة، ومسايرة اللغة للتغير يظهر في بروز مفردات لغوية لم تكن شائعة الاستخدام، واحتلالها مركز الصدارة في الساحة اللغوية لمجاراة التغير الاجتماعي - كما حدث في مصر في أعقاب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، واختفاء كلمات ومفردات وتنحيتها عن الاستخدام اللغوي مثل توقف استخدام الألقاب (بك، وباشا، وصاحب العزة، وصاحبة العصمة، وصاحب الدولة) - بينما شاعت مفردات جديدة مثل : - التقدمية، والرجعية، والجماهير الكادحة، وقوي الشعب العاملة - وغيرها، كما تراجعت كل تلك. . المفردات الآن بعد أن تحولت مصر عن النظام الاشتراكي، واتجهت ثانية نحو النظام الرأسمالي، وبرزت مع هذا التحول الاجتماعي السياسي مفردات جديدة مثل «الخصخصة» أي التحول إلي تشجيع القطاع الخاص، والانفتاح الاقتصادي. . . إلخ.



٢ ـ العوامل الأدبية : ـ

تشمل هذه العوامل كل أساليب الإبداع التي يجـود بها العقل الإنساني لدي الصفوة من العلماء والأدباء والمفكرين الذين تمـثل إبداعاتهم العقلية، زادا جديدا يؤدي إلي تطوير اللغة والمحـافظة عليها، وتعليمها، ونشرها، وتهـذيبها. وبقدر اهتمام هؤلاء الصفوة بالإنتاج العلمي والأدبي في مختلف فروع المعرفة، وتشجيع الصفوة السياسية لهم، يتحدد حجم ازدهار الحركة العلمية والأدبية في المجتمع.

وتتخذ العوامل الأدبية مظاهر كثيرة من أهمها رسم اللغة وحركة التجديد في اللغة، والبـحوث والمؤلفـات اللغوية، وحركة التـأليف والترجمـة. وسوف نلقي الضوء علي كل منها فيما يلي : ـ

أ ـ رسم اللغة : تتخذ اللغة شكلين من أشكال الرسم هما التناقل الشفاهي أو الشفوي من خـلال عملية التكلم كمظهر صـوتي، والرسم المعنوي من خلال عمليـة الكتابة التي تـسعي للتعـبير عن المعني للكلام الشـفاهي بتسجـيله إما علي شكل صـور خطية وخـاصة كـما في اللغـة الصينيـة، واللغـة المصـرية القديـمة (الهيروغلوفية) حيث تشمل اللغة الصينيـة مائتين وأربعة عشر رمزا أصليا يعبر كل رمز منها عن معني عام، بينما كانت اللغة المصرية القديمة تعتمد في كتابتها علي صور خطية حقيقية للأشيـاء التي تعبر عنها فكانت ترمز للشمس بدائرة في وسطها نقطة، وإلي القمر بقوس في وسطه نتوء وهكذا.

ويؤكد علماء الدراسات اللغوية علي أهمـية الرسم بنوعيه للغة سواء الرسم الصـوتي أو الرسم المعنوي (الكتـابة)، إذ أن الرسم الصـوتي يحقق للغــة التناقل الشفوي والتكلم بها كشرط لحياتها فـمن المستحيل أن تنشأ لغة أو تبقي بدون أن يكون لها مظهر صوتي.

أما الرسم المعنوي (الكتـابة) فله عديد من الفوائد، فبفـضله تُضبط اللغة، وتدون آثارها، ويسجل ما يصل إلـيه الذهن الإنساني، وتنتشر المـعارف، وتنتقل الحقـائق في الزمان والمكان، وهو قـوام اللغات الفصـحي ودعامة بقـائها، وعن طريقه أمكن مـعرفة كـثير من اللغـات التي انقرضت كاللـغة السنـكريتيـة واللغة المصرية القديمة، واللغة الإغريقية، واللغة اللاتينية، واللغة القوطية ـ فلولا الآثار



المكتـوبة لهذه اللغـات ما عـرفنا منها شـيئا ولـضاعت كثـير من مـراحل التطور اللغوي[١].

وقد شغلت قضية مطابقة الرسم الصوتي (الكلام الشفوي)، للرسم المعنوي (الكتابة) بال كثـير من علماء الدراسات اللغـوية والمجامع والأكاديمـيات اللغوية بقـصد تقريـب الفوارق بين الرسم الصـوتي والرسم المعنـوي وتضييـق المسـافة بينهـما، وقـامت حركات إصـلاحيـة عديدة لتـحقـيق هذا الهدف عند اليـونان، والرومان قـبل الميلاد، وفي أواخر القـرن التاسع عشر نجح الألمـان في إصلاح كثير من رسمهم القديم، وكذلك فعل أهل النرويج، والبرازيل، وفرنسا.

والرسم العـربي نفسه قـد تناولته يد الإصـلاح أكثـر من مرة قـبل الإسلام وبعـده، وهو من أكثـر أنواع الرسم سهـولة ودقـة وضبطا في القـواعد ومطابقـة للنطق[٢].

ويؤدي ثبات الـرسم علي حاله فـوائد هامة، فهـو يوحد شكل الكتـابة في مخـتلف العصور، مـما يؤدي إلي سـهولة تناقلها مـن جيل إلي آخر، والانتـفاع بمؤلفات السلف وآثارهم، كما يفيد في عرض صورة صحيحة لأصول الكلمات.

وقد اسـتعانت اللغـات المخـتلفة ببعض الاخـتصارات اللـغوية في الرسم المعنوي (الكتـابة) لتؤدي نفس المـعني والدلالة ـ فعلي سبـيل المثال تجـد اللغة العربية قد استخدمت عدة اختصارات متعارف عليها مثل : ـ

(ص)، (صلعم) وهي تعني صـلي الله عليـه وسلم، (ج.م.ع) وهي تعني جمهورية مصر العربية، وكذلك (إلخ) وهي تعني إلي آخره وهكذا.

وقد جـرت العادة في تلك الاخـتصارات أن يكون الاخـتصـار اللغوي من الحرف الأول من كل كلمة في أي لغة. وكذلك اسـتخدمت اللغة الانجليزية تلك الاختصارات اللغوية بدلا من كتابة عبارات طويلة، ومن أمثلة ذلك : ـ

(M.A.)، وهي تعني اخـتصارا لدرجـة الماجـستـير في الآداب Master of Arts وكذلك (Ph.D) وهي تعني اختصارا لدرجة دكتوراه الفلسفة في أي تخصص علمي وأصلها Philosphy of Doctorate، كما شـاع استعمال هذه الاخـتصارات

---

(١) علي عبد الواحد وافي : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٩٨ .

(٢) علي عبد الواحد وافي : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٩٨ .



في أسمـاء المنظمات الدوليـة مثل W.H.O وهي تعني منظمة الـصحة العالمـية، وأصلهـا World Health Organization، ومنظمـة الأغـذية والزراعـة F.A.o. وغيرهما من المنظمات، وتستعمل أيضا اختصارا لأسماء المخترعات والشركات، والأحزاب، والفرق العسكرية وغيرها.

ب ـ حركة التجديد في اللغة : ـ تتـأثر هذه الحركة بعدد من العوامل تسهم في تطوير اللغـة وتجديدها، ويشمل ذلـك تأثر الأدباء والكتاب بأسالـيب اللغات الأجنبيـة وما تحويه من أفكار فـي مختلف مـجالات الفكر الأدبية والعلمـية، إذ يؤدي اقتباسهم وترجمتهم لمفرداتها ومـصطلحاتها إلي نهضة لغة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقهـا وزيادة ثروتها اللغوية. ومن أمثلة ذلك ما أخذته اللغـة العربية عن اللغتين الفـارسية والإغريقية في عصـر بني العباس من خلال الترجمـة والاقتباس منهما، ومزجهما مع مفرادات اللغة العربية.

وفي العصـر الحديث فـقد أفـادت حركة التـرجمـة التي يقوم بها الـعلماء والأدباء في إنعـاش الحركـة الفكرية والعلمـية وتطور الـلغة العـربية، من خـلال عمليـات محـاكاة الأسـاليب اللغوية في اللغـات الاجنبيـة، وإثراء اللغة العـربية بالمرادفـات اللغوية المقابلة لـها في اللغات الأخري. كـذلك فإن اللغة الفرنـسية مـدينة أيضا بأسـبـاب رقيـها إلي اللغـات الأوربيـة الحديثـة واللغـتين اللاتينيـة والإغريقـية. وفي ألمـانيا حـدث نفس الشيء إذ تأثرت اللغـة الألمانية بـعدد من اللغات الأوربية الحديثـة وخاصة الإنجليزية والفرنسية إلـي جانب اللغة اللاتينية، حيـث نقل علماء ألمـانيا وأدباؤها آلاف المـفردات إلي اللغـة الألمانيـة من تلك اللغات مما أدي إلي تدعيم لغة الكتابة فيها.

وتسهم الصـفوة الفكرية من العلمـاء والأدباء بشكل فاعل في إحـياء بعض المفردات المندثرة باسـتخدامها للتعـبير عن معان يرون أن المفـردات التي لاكتها الألسنة لفتـرة طويلة، والرغبـة في التجديد اللغـوي والتفرد والتـميز عن غـيرهم بأساليب لغوية جديدة ـ مما يؤدي إلي بعث الاهتمام بالمفردات اللغوية القديمة أو المهجورة، والعودة إلي استخدامها لاستعادة الثروة اللغوية المفقودة والكشف عن كنوزها المدفـونة بين طيات النسيان، وبذلك تتطور اللغـة ويتجدد شبـابها وتتسع قدرتها علي التعبير.

وكثيـرا ما يلجأ أعضـاء الصفوة الفكرية من العلماء والأدباء إلي اسـتحداث مفاهيم ومفـردات جديدة لم تكن موجودة باللغة ـ للتعبـير عن أمور لا تفي اللغة المستعملة ومفراداتها بإعطاء المعني والدلالة لها بدقة كافية.

وهم بذلك يهـدفون إلي تحـقيق نوع من الإبداع، وتأكـيد المعنـي بصورة أفضل، وقـد شاع ذلك في أوربا منذ منـتصف القرن التـاسع عشـر في كثـير من العلوم والمعارف مثل الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية وعلم النفس والأدب، وقد أجاز مجـمع اللغة العربية في مـصر إمكانية اللجوء إلي هذه الطريقـة عند تعريب المعـارف الأجنبيـة. ومن أمثلة هذه المـفردات كلمـات (التليفون، والـتلغراف، والراديو، وجـيـولوجيـا. . . إلخ)، وتؤدي هذه الوسـيلة إلي إثراء اللـغة، ودقـة مصطلحاتها وقدرتها علي التعبير وزيادة مرونتها.

جـ ـ البحوث والمؤلفات اللغوية : وهي البحوث التي تستهدف حفظ اللغة وضبطها وسلامتها، وخواصـها ـ وتشمل المعاجم ودوائر المعارف، وأدب اللغة، والمؤلفات اللغوية المـتخصصة من نحو وصرف وغيـرها، وتسهم هذه المؤلفات في حـفظ اللغـة من التـحـريف ونقلهـا من السلف إلي الخلف والنهـوض بهـا وتهذيبيها.

د ـ حركة التأليـف والترجمة : تؤدي هذه الحركة إلي تطوير اللغة، وذلك عن طريق تعميـق مفاهيم اللغة من خلال عـملية التأليف، والاقتـباس من اللغات الأخري من خـلال عملية الترجـمة وتبني أفكار جديدة ممـا يؤدي إلي إثراء اللغة وتوسيع قوامـيس مفرداتها من خلال عـملية التفاعل والاحتكاك اللغـوي وتحقيق التواصل بين مختلف الثقافات.

٣ ـ العوامل الطبيعية : ـ

تشمل هذه الـعوامل الجوانب المـتصلة بتـأثير البـيئة الجـغرافـية والظواهر الطبيعـية المتصلة بهـا، والعوامل الفسيولوجـية والبيلوجية، والأثـنولوجية ـ علي اللغة وتطورها.

وعلي الرغم من أن كل تلك العوامل ليـست اجتماعيـة، أي أنها لا تتصل بالاجتماع الإنسـاني وما يتصل به من عقل جمعي، إلا أن لهـا آثارا ملموسة علي



اللغة وتطورها - تظهر خلال عملية انتقال اللغة من جيل إلي آخر أو من السلف إلي الخلف.

فالعوامل الطبيعية أو الجغرافية للأمة بخصائصها المناخية والبيئية والإقليمية تنعكس علي لغة السكان، ولهذا تبرز فروق واضحة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الباردة والمناطق المعتدلة والمناطق الحارة، وكذلك تتباين البيئة الصحراوية عن البيئة الجغرافية والعوامل الطبيعية والمناخية، فتولد مفرداتها اللغوية وتكثر في لغة الكتابة والأعمال الأدبية المبدعة مستمدة صور الاستعارة والتشبيهات والخيال الأدبي من ذلك الواقع، حتي أن النص الأدبي يعكس بوضوح قاطع ويدل دلالة واضحة علي بيئة كاتبه وطبيعتها، مما يشير بجلاء إلي هويته وتأثره بهما، بل إن الأمر في كثير من الأحيان قد لا يقتصر علي النص المكتوب، بل يتعداه إلي كل فنون القول للغة، نثرا أو شعرا وكل كلام منطوق.

أما العوامل الفسيولوجية والبيلوجية وأثرها في تطور اللغة، فكما سبق القول فإن الشعوب تختلف عن بعضها البعض في خواصها الوراثية المتعلقة بأعضاء النطق، وخاصة فيما يتعلق منها بناحية الأصوات - وذلك لأن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل عن طريق الوراثة من جيل إلي آخر، مما يؤدي إلي تحريف في أصوات اللغة عند انتقالها من شعب إلي آخر - فينطقون اللغة المنقولة إليهم بلسان يحمل لكنة شعبهم التي ألفوها تكون مغايرة لأصل اللغة المنقولة.

أما العوامل الأنثولوجية فيقصد بها العوامل العرقية وتباين السلالات البشرية، وانعكاسات هذا التباين علي اللغة من حيث اختلاف السمات البيلوجية والفيزيقية والتكوينية لكل سلالة عن الأخري، وأثرها في كفاءة أجهزة السمع والإبصار والكلام وقدرتها علي أداء وظائفها - وبالتالي إمكاناتها في تطوير اللغة

٤ - العوامل اللغوية :-

من عرضنا السابق للعوامل الاجتماعية، والعوامل الأدبية، والعوامل الجغرافية والطبيعية - المؤثرة في تطور اللغة يتبين لنا أنها كلها عوامل خارجة عن



اللغة ذاتهـا، وإلي جانب تلك العوامل توجـد العوامل اللغويـة، وهي التي تتعلق باللغة نفسها من حيث بنية اللغة، ومتنها، وأصواتها، وعناصر كلماتها، وقواعدها اللغوية، وكلمـا ضاقت الفروق بين صوتيات اللغـة ورسمها المعـنوي كلما سهل تعلمها.

وتنقسم العوامل اللغوية إلي قسمين هما : ـ

القسم الأول : يتعلق بتفاعل أصوات حروف الكلمة مع بعضها البعض ـ إذ يؤدي هذا التفـاعل إلي تجاور أو تقارب الصوتين، مـثل اللام الشمسيـة في اللغة العربية إذ تحولت في النطق إلي صوت الحرف الذي يليها مثل كلمات : التقوي، والثوب، والدار، والذئب، والرحمـة. .إلخ ـ وأحيانا يمتزج الصوتان مـعا ويظهر صوت آخر، أو يبرز صوت أحد الحرفين دون الآخر.

كذلك فإن موقع الصوت في الكلمة يـؤدي إلي تحريف الكلمة وانحرافها، سواء جـاء موقـع الصوت في أول الكلمـة أو في وسطها أو آخـرها. ففي اللـغة العربية يظهـر هذا بوضوح في صور الانحراف في أصوات اللغة عند مـقارنة اللغة الفصحي باللهـجات العامية، حيث اخـتفت أصوات حركات الضمـة، والفتحة، والكسرة التي تلحق بأواخـر الكلمات والتي تحدد علامة إعـراب كل كلمة، سواء كانت مرفوعة، أو مبنية، أو مجرورة.

مثال ذلـك قولنا بالعربية الفـصحي : رجع عمر للمـدرسة، يختلف فـيها الصوت عن قـولنا بالعامية : رجع عـمر للمدرسة، وتشـكيل كل كلمة بالـسكون وتجـريدها من العـلامـات اللغويـة الدالة علي وظائفـها والـتخلي عن الـقواعـد اللغوية[1].

كما يؤدي استـبدال الفصحي بالعامية إلي إختـلاف أصوات المفردات ذات المعني الواحـد كالقول بالفصـحي «يَعومُ» وتحولهـا في العامية إلي كلمـة «يْعُومْ» وكلمـة «يَسجُدُ» بـالفصحـي وتحولها بـالعاميـة إلي «يُسْجـدْ»، وكلمة «يَـسمعُ» بالفصحي وتحولها بالعامية إلي كلمة «يِسمعْ» وهكذا.

---

(١) علي عبد الواحد : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٦١ ـ ٦٥ .



وفي نفس الوقت قد لا يقتصر التحريف الصوتي علي مجرد اختلاف التشكيل بين اللغة الفصحي، واللهجات العامية، وإنما يتعدي ذلك إلي تحول بعض الكلمات من الفصحي إلي مفردات أخري بالعامية تعطي نفس المعني مثل قولنا بالفصحي لكلمة «البارحة» وتحولها بالعامية إلي «إمبارح» باللهجة المصرية، وكلمة «يُعطي» بالفصحي وتحولها باللهجة العامية العراقية إلي كلمة «ينطي»، وكلمة «يسعفني الوقت» وتحولها باللهجة العامية السعودية إلي «يمديني الوقت» وهكذا.

القسم الثاني ـ يتعلق بالعوامل اللغوية المؤثرة في تطور الدلالة : ومن أهم هذه العوامل مدي ارتباط الكلمة بفصيلتها اللغوية، إذ أن ارتباط الكلمة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل داخل الفصيلة اللغوية يؤدي إلي وضوح دلالة الكلمة في الأذهان مما يقلل من تعرضها للتغير. وعلي العكس فانعدام ارتباط الكلمة بأسرة لغوية معروفة الأصل متداولة الاستعمال يؤدي إلي غموض دلالتها في أذهان الناس مما يجعلها أكثر تعرضا للانحراف والفناء.

كذلك فإن ثبات صوت الكلمة يساعد علي ثبات معناها ـ وذلك لأن ارتباط الكلمة بفصيلتها أو أسرتها اللغوية التي تمثل الأصل المشتقة منه يجعلها واضحة في الأذهان، وعلي العكس فإن تغير صورتها الصوتية يبعدها عن الفصيلة اللغوية ويؤدي إلي غموضها ـ مما يعرضها للانحراف والتغير.

بالاضافة إلي تلك العوامل فإن قواعد اللغة نفسها Grammer ـ قد تؤدي إلي تغير مدلول الكلمة، مثل ما حدث مع كلمة Homo التي كانت تطلق في اللغة اللاتينية علي الإنسان رجلا كان أم امرأة، ثم أصبحت تدل علي المذكر ـ مما أدي إلي تحول دلالتها في اللغات الأخري المتشعبة عن اللاتينية لتعبر عن الذكور فقط.



الفصل الخامس

«الصراع اللغوى»

أولاً- مفهوم الصراع.

ثانياً- الصراع اللغوى.

ثالثاً- عوامل الصراع اللغوى وأسبابه.

رابعاً- الأنتشار اللغوى.

خامساً- العوامل المباشرة فى تفرع اللغة.

أولاً ـ مفهوم الصراع :-

الصراع Conflict مفهوم يختلف عن مفهوم المنافسة consumption ، فالمنافسة تعنى التسابق أو الدخول فى سباق بين طرفيه أو أكثر بغية تحقيق الفوز والسبق والتميز والبقاء للأصلح، دون الإضرار بأطراف المنافسة أو إلحاق الأذى بهم ـ وعلى ذلك فرغم فوز أحد المتنافسين على الآخرين لكن ذلك لا يكون على حساب بقاء الآخرين أو تدمير أحدهم.

وعلى العكس ـ فإن الصراع عملية اجتماعية يستبيح فيها أطراف الصراع الدخول فى سباق بينهم للفوز على الآخرين وقهرهم، واستباحة كافة الأساليب التى تحقق لهم هذا النصر حتى لو أدى ذلك إلى تدمير بعضهم بعضاً، ولهذا يقول بعض علماء الاجتماع أن الصراع هو حالة متطرفة من المنافسة.

وتقوم دراسة سوسيولوجيا الصراع على فهم طبيعة هذا الصراع، ونوعه وأطرافه، والعلاقات الاجتماعية بين أطراف الصراع، وديناميه هذه العلاقات، وإمكانات قوى الصراع وأطرافه، والوسائل التى يمكن أن يستخدمها كل طرف، وأساليبه وأدواته فى إدارة إستراتيجية الصراع فى سبيل تحقيقه لأهدافه، والآثار السلبية أو المدمرة الناجمة عن الصراع وانعكاساتها على كل أطرافه.

وقد برز اتجاه قوى فى علم الاجتماع المعاصر لدراسة المجتمع ونظمه الاجتماعية وبنائه الاجتماعى وأنساقه المختلفة، من خلال دراسة سوسيولوجيا الصراع لتحقيق الفعل الاجتماعى Social Action بشكل متسارع وفاعل لإحداث التغيير الاجتماعى بالسرعة المطلوبة لدفع عجلة التنمية الشاملة، بدلا من الاتجاه التقليدى فى علم الاجتماع الذى يقوم على فكرة المحافظة على التوازن من أجل استمرار البناء الاجتماعى للمجتمع وأنساقه ونظمه الاجتماعية بدلا من تعرضها للانهيار، ورفض التغيرات المفاجئة باستخدام القوة.

ورغم تعايش هذين الاتجاهين ـ الاتجاه التقليدى، والاتجاه الراديكالى ـ معاً فى علم الاجتماع، ووجود مؤيدين ومعارضين من العلماء لكل من الاتجاهين، إلا أن الجميع لا يختلفون على وجود الصراع ـ كحقيقة اجتماعية لا يمكن إنكارها رغم فشل دعاوى التغيير الاجتماعى بالقوة فى زمن قياسى وانهيار



الأبنية الاجتماعية التى تبنت هذا الاتجاه، كما حدث فى الجمهوريات التى كانت تعرف بالاتحاد السوفيتى، ذلك لأن المجتمعات والشعوب تحتاج إلى الوقت المناسب لاستيعاب التغييرات الاجتماعية المتلاحقة وهضمها وتقبلها والتفاعل معها، حتى لا تكون التنمية الشاملة سيفا مُصْلتًا على جيل واحد عليه وحده أن يتحمل تبعاتها - فتؤدى إلى ردود فعل عكسية تهدم البناء الاجتماعى للمجتمع بأكمله بعد أن فقد القدرة على تحقيق التوازن المنشود.

ويتخذ الصراع أشكالا وأنماطا متعددة مثل: الصراع الاجتماعى، والصراع النفسى (السيكولوچى)، والصراع العسكرى، والصراع الثقافى، والصراع اللغوى، والصراع الاقتصادى - وغيرها.

ثانياً - الصراع اللغوى :-

هو حالة متطرفة من المنافسة بين لغتين أو أكثر للتنازع على البقاء وسعى كل منها لتحقيق السيطرة والغلبة على اللغات الأخرى، بكافة الطرق والأساليب، نتيجة للاحتكاك اللغوى، ويحتاج هذا الصراع لفترة طويلة قد تمتد إلى عدة قرون من الزمان.

وعادة ما تنتهى نتيجة هذا الصراع إلى أحد أمرين : انتصار لغة على أخرى انتصاراً ساحقاً وهزيمة اللغة الأخرى بل وانقراضها وتعرضها للاندثار، نتيجة لإحلال اللغة المنتصرة محلها، وتسيدها وانتشارها على كل الألسن - أما الأمر الثانى - فهو حدوث حالة من التعادل بين اللغتين المتصارعتين، حيث تتعايش اللغتان جنباً إلى جنب، ويستمر الناس فى التحدث بأى منهما دون أن يتحقق انتصار لإحداهما على الأخرى.

ولكنه من المسلم به أنه لا يمكن لأى لغة أن تخرج من الصراع اللغوى دون ان يتأثر قاموس مفرداتها اللغوية بنتائج هذا الصراع حتى فى حالة التعادل وتعايش كلتا اللغتين جنباً إلى جنب، فإن مفردات كل منهما يصيب بعضها نوع من التحريف والتدمير أو التسرب إلى اللغة الأخرى، كما تُصاب بعض مخارج الحروف بنوع من التحريف الصوتى نتيجة لنطقها بلكنة اللغة الأخرى خلال عملية الصراع اللغوى.



وإذا أردنا أن نتصور حقيقة الصراع اللغوى وما يدور فيه بين اللغات المتصارعة، فإن علينا أن نتخيل الحرب بين جيشين كحالة من حالات الصراع العسكرى وما تسفرعنه، إما عن نصر محقق لطرف من الأطراف وهزيمة لطرف آخر، أو حالة من التعادل حيث لا غالب ولا مغلوب ـ ولكنه فى نفس الوقت لم يسلم أى من الطرفين بالخروج معاً من المعركة. وبنفس الصورة تحدث عملية الصراع اللغوى بين لغتين أو أكثر.

ثالثا ـ عوامل الصراع اللغوى وأسبابه :-

هناك عدد من العوامل يؤدى قيام الصراع اللغوى ـ يمكن أن نحدد أهمها فيما يلى :-

١ـ نزوح عناصر أجنبية إلى الأمة تنطق بلغة غير لغة أهلها :-

تحدث عملية النزوح نتيجة لهجرة السكان من بلد إلى آخر سواء كانت هذه الهجرة دائمة أو مؤقتة، أو أعقاب استعمار أو غزو(١) حيث تدخل اللغتان فى عملية صراع لغوى تنتهى بعد فترة من الزمن إلى أحد أمرين : إما أن تنتصر إحداهما على الأخرى، ويتم حسم الصراع بتسيد لغة على اللغة الأخرى وتحقيق الهيمنة والغلبة لها وانحسار اللغة الأخرى بل وتراجعها عن الألسن، فتأخذ فى الاندثار تدريجياً حتى تتوارى عن الأعين، وتنقرض ـ أو أن ينتهى الأمر بهما إلى عدم تمكن إحداهما من تحقيق النصر الحاسم علي اللغة الأخرى فتحدث عملية معايشة لكل منهما جنب إلى جنب بعد أن تأثر كل منهما ببعض التحريف اللغوى، إلا أن الألسن تظل تنطق بكل منهما.

بيد أنه يجب الانتباه إلى أن عملية الصراع اللغوى لا تظهر آثارها ونتائجها فى وقت قصير، بل إنها تحتاج إلى زمن طويل يمتد لعشرات السنين.

ومن الأمثلة على ذلك الصراع اللغوى بين اللغة النورماندية للفرنسيين الفاتحين وبين لغة الإنجليز السكسون فى القرن التاسع الميلادى، وكذلك ما حدث فى اللغة العربية الغالبة للغات القبطية والبربرية المغلوبة.

---

(١) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص٨٢.



وتساعد عمليــة توحد اللغتين فى فصيلة لغويــة واحدة على تغلب إحداهما على الأخرى بينمــا تصعب عملية الانصــهار اللغوى فى بوتقة واحــدة بين اللغات المختلفــة فى فصائلها اللغوية عن بعضــها البعض، كما حدث فى مــحاولة فرنسا طمس هوية الشعب الجزائرى بتغيير لغته العربية واستبدالها بالفرنسية، وفشلها فى تحقيق ذلك نتيجــة لاختلاف الفصيلة اللغوية لكل منهما من نــاحية ـ حيث تنتمى اللغة العربيــة إلى الفصيلة السامية،بينمــا تنتمى اللغة الفرنسيــة إلى الفصيلة الهندو أوربية، ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية فى الجزائر من أن ينالها اندثار أو انقراض،رغم أن الاســتعمار الفرنسى دام بهــا نحو مائة وثلاثين عاما لم تتوقف خلالها محاولاته عن فرنسة اللغة، وجعل اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية للبلاد فى المؤســسات الحكومية والخاصة ودور التعليم.

كما تتــأثر اللغات المتصارعة ببــعضها البعض، حــيث تأثرت اللغة اللاتينية بالاغريقية فى أساليــبها وآدابها، واقتبست منها كثــيرا من المفردات، وأثرت اللغة العربيــة تأثيراً قوياً فى اللغــتين الأسبانيــة والبرتغاليــة فى الأندلس حيث دام حكم العرب نحو سبعة قرون.

وفى العصر الحديث ـ أدى ظهور النفط على نطاق واسع فى منطقة الخليج العربى إلى استقــدام الملايين من الأيدى العاملة الأجنبية للاسهــام فى تنفيذ خطط وبرامج التنميــة الاجتمــاعية والاقــتصادية بــالدول الخليجيــة، مما أتاح الفــرصة للاحتكاك اللــغوى بين اللغة العــربية وعــديد من اللغات للعمــالة الوافدة كــاللغة الهندية، والسواحلية، والأوردية، والإنجليــزية، والفرنسية، والتركيــة، واليابانية ـ بل وواكب تلك الهجــرات الوافدة أنواعا مــختلفة من الصــراع اللغوى ـ أدى إلى تحريف مــتبادل بين اللغــة العربية وتلك اللغات، وتــشويه للسياق اللغــوى سواء بالنسبة لــلغة الفصحى أو اللهجــات العامية ـ ســعياً إلى تحقيــق الاتصال اللغوى والتفاهم بين الجنسيــات المختلفة. فنجد على سبيل المثــال فى حوار بالعربية بين أحد أبناء المجتمعات الخليجيــة، وأحد هؤلاء الوافدين ممن لا يعرفون لغة عربية أو إنجليزية بدور حوار كالتالى :-

«صديق . . . أنافيه كلام، فيه إنت تسمع، ليش إنت تروح؟»



وكثيراً ما لا يفهم الوافد الجديد من الهند أو بنجلادش أيا من تلك الكلمات - لافتقاده إلى فهم رموز اللغة العربية ومعانيها ودلالتها، فيستجيب بصورة خاطئة. كما يبين هذا المثال التحريف اللغوى الذى يحاول به أبناء الأمة إحداث التقارب اللغوى على حساب اللغة العربية وقواعدها.

وقد حدد علماء اجتماع اللغة الأوضاع التى تساعد اللغة الغالبة على تحقيق انتصارها فى الصراع اللغوى على النحو التالى :-

أ - أن تكون ثقافة الغالب وحضارته أرقى من ثقافة وحضارة الشعب المغلوب، وأن تكون أقوى منه سلطانا وأوسع نفوذاً.

ب - تكون اللغتان المتصارعتان من شعبة أو فصيلة لغوية واحدة، أو من شعبين متجاورين.

جـ - أن تكون اللغة الغالبة جالية كبيرة العدد والنفوذ تعمل على نشر ثقافة الغالب ولغته، وتمتزج بأفراده امتزاجاً كبيراً دون انعزال.

د - بقاء اللغة الغالبة زمنا كافياً مع استمرار قوتها ونفوذها، يؤدى إلى حسم الصراع اللغوى لصالحها[1].

ويؤكد استقراء التاريخ صحة تلك المقولات عندما انتصرت اللغة العربية على اللغات القبطية والبربرية فى أعقاب الفتوحات العربية فى آسيا وإفريقيا. ولكننا نود أن نؤكد حقيقة هامة تتعلق بانتصار لغة على أخرى فى أعقاب الصراع اللغوى بينهما، أن أى لغة منتصرة لا تعرف انتصاراً «خالصاً» يحفظها سالمة دون أذى، فكما أن المنتصر لا يخرج من معاركه على الحالة نفسها التى كان عليها من قبل - كذلك فإن اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من هذا الصراع، وتؤثر الفترة الزمنية لطول أو قصر فترة الصراع والاحتكاك اللغوى على درجة التأثر.

فعلى الرغم من انتصار الفرنسيين النورمانديين الذين أغاروا على بلاد الإنجليز فى القرن التاسع الميلادى، واحتلالهم معظم مناطق إنجلترا، إلا أن اللغة الإنجليزية رغم انتصارها فى الصراع اللغوى فقدت أكثر من نصف مفرداتها الأصلية واستبدلت به كلمات من اللغة النورماندية المغلوبة.

---

(١) رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، مرجع سابق، ص١٧٧ .



وينال اللغة الغالبة كثير من التحريف فتبتعد فى أصواتها ودلالتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى، ويصل هذا البعد إلى أقصى درجاته إذا كانت اللغة المقهورة من فصيلة لغوية أخرى غير فصيلة اللغة الغالبة.

وتمر اللغة المنهزمة فى الصراع اللغوى وهى فى طريقها إلى الانقراض بعدة مراحل هامة، يعبر كل منها عن مظهر خاص من مظاهر الانحلال وضعف المقاومة، ويمكن أن نوجز هذه المراحل فيما يلى :-

المرحلة الأولى : تنهال اللغة الغالبة على اللغة المقهورة بطائفة كبيرة من مفرداتها فتوهن متنها الأصلى، وتجرده من كثير من مقوماته، وتكثر تلك المفردات أو تقل تبعا لدرجة المقاومة التى تبديها اللغة المهزومة. ولكن تلك اللغة المغلوبة تظل فى هذه المرحلة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليب نطقها فى الكلمات.

المرحلة الثانية : تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات، حتى تقارب اللغة المنتصرة مما يؤدى إلى زيادة انحلال اللغة المغلوبة، ويشير إلى قرب انقراضها رغم مقاومتها بالدفاع عن قواعدها اللغوية فى ترتيب أجزاء الجملة وتصريف المفردات ـ وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل الصراع اللغوى.

المرحلة الثالثة : تنهار مقاومة اللغة المغلوبة شيئا فشيئا حتى تأخذ قواعد اللغة الغالبة فى فرض سيطرتها الكاملة عليها بإحلال تخيلاتها واستعاراتها ومعانيها المجازية محل التخيلات والاستعارات والمعانى للغة المغلوبة، إذ إنه بانهيار القواعد اللغوية لها واستسلامها كقلاع كانت حصينة تكون اللغة المقهورة فى حالة من الاحتضار وتندثر شيئا فشيئا، بعد أن ماتت بالفعل من الناحية الإكلينيكية ـ كما يقال فى علوم الطب ـ بعد انهيار قواعدها اللغوية، ثم يتحول الناس عنها لتنطق كل الألسن باللغة الغالبة.

أما فى حالة عدم قدرة إحدى اللغتين فى صراعهما معا على التغلب على الأخرى، فإن هذا يعنى تكافؤ الصراع اللغوى بينهما مما يؤدى إلى حالة من التعايش، واستمرارهما جنبا إلى جنب.



ويحفل التاريخ بأمثلة عديدة فى مختلف العصور تؤكد هذا القول، فاللغة اللاتينية لم تقو على قهر اللغة الإغريقية لأن الاغريق كانوا أعرق حضارة من الرومان وأوسع ثقافة وأرقى لغة.

كذلك فإن الرومان عندما فتحوا بريطانيا واحتلوها نحو مائة وخمسين عاما لم تستطع لغتهم اللاتينية أن تقهر اللغة الإنجليزية نتيجة لقلة عدد أعضاء الجالية الرومانية وعدم اختلاطهم وامتزاجهم الثقافى بأفراد الشعب الإنجليزى المغلوب، رغم أن لغة وحضارة الرومان كانت أرقى كثيراً من الشعب الإنجليزى.

واللغة العربية كذلك لم تحقق نصراً على اللغة الفارسية رغم فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم زمنا طويلا نتيجة لرقى الحضارة الفارسية والعربية من ناحية، وضعف الجالية العربية وعدم امتزاجها الثقافى مع الحضارة الفارسية وانتماء اللغتين العربية والفارسية إلى فصيلتين لغويتين مختلفتين - حيث تنتمى اللغة العربية إلي الفصيلة السامية، بينما تنتمى اللغة الفارسية إلى الفصيلة الهندية الأوربية.

كذلك فإن اللغة العربية لم تقو على الانتصار علي اللغة الأسبانية رغم فتح العرب لبلاد الأندلس واحتلالها نحو سبعة قرون، وذلك لانتماء اللغة العربية إلى فصيلة لغوية غير فصيلة اللغة الأسبانية، إلى جانب عدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربى الفاتح.

كما أن اللغة التركية لم تستطع التغلب على لغات الأمم التى احتلتها نتيجة لأختلاف الفصائل اللغوية لكل منها عن فصيلة اللغة التركية وهى الفصيلة الطورانية، بينما اللغات الأخرى تنتمى إلى الفصائل السامية، والحامية،والهندية الأوربية، إلى جانب أن الأتراك كانوا أقل حضارة وثقافة من معظم الشعوب التى أحتلوها، ولقلة عدد جاليتهم وعدم امتزاجها ثقافياً بسكان المستعمرات.

وبالمثل فإن اللغة الفرنسية فشلت في التغلب على اللغة العربية فى الجزائر رغم احتلال فرنسا لها قرابة مائة وثلاثين عاما - لاختلاف اللغتين فى الفصيلة اللغوية لكل منهما، وحفظ القرآن الكريم للغة العربية من التعرض للانهيار خلال عملية الصراع اللغوى بين العربية والفرنسية.



وفى حالات التعادل اللغوى وفشل إحدى اللغات فى التغلب على الأخرى لا تسلم لغة من التأثر باللغة الأخرى نتيجة لعملية الصراع اللغوى، حيث تتبادل اللغتان المتصارعتان طائفة كبيرة من مفرداتهما.

وقد ظهر هذا واضحاً فى تسرب كثير من المفردات اللغوية العربية إلى اللغتين الأسبانية والبرتغالية عند حكم العرب لبلاد الأندلس، وحدث نفس الشيء بين اللغتين العربية والفارسية إبان فتح العرب لبلاد فارس.

٢ـ تجاور شعبين مختلفى اللغة :-

يؤدى تجاور شعبين مختلفى اللغة إلى الاحتكاك اللغوى، بل والدخول فى صراع لغوى ينتهى عادة إما بانتصار إحدى اللغتين وتغلبها على اللغة الأخرى، واحتلال مناطق انتشارها، وهيمنة اللغة الغالبة لتصبح هى اللغة السائدة، أو أن تحدث عملية تعادل لغوى تنتهى إلى التعايش لكل من اللغتين جنباً إلى جنب.

وتساعد الأوضاع التالية فى تحقق الانتصار اللغوى لإحدى اللغتين :-

أ ـ زيادة هجرة السكان وانتقالهم بين البلدان المتجاورة جغرافياً سواء كانت هذه الهجرة دائمة أو مؤقتة، وكذلك فإن ارتفاع نسبة النمو فى الزيادة السكانية تعنى تحقيق الغلبة العددية للسكان على عددهم فى البلاد المجاورة، ويدعم هذين العاملين ارتقاء ثقافة الشعب وحضارته عن ثقافة وحضارة جيرانه من الدول الأخرى. ويقدم لنا التاريخ أمثلة حية متعددة على ذلك ـ إذ نجد أن هذه العوامل مكنت اللغة الألمانية من الانتصار علي اللغات المتعددة بكل من سويسرا وتشيكوسلوفاكيا، والنمسا ـ وعمت اللغة الألمانية معظم وسط أوربا.

ب ـ إذا تغلغل نفوذ أحد الشعبين فى الشعب المجاور له، وواكب ذلك أيضاً ارتقاءه الثقافى والحضارى عنه ـ فإن هذا الوضع يتيح الفرصة لتحقيق الغلبة والانتصار اللغوى للشعب ذى النفوذ الأقوى والحضارة الأعرق. ومن الأمثلة على ذلك انتصار اللغة الفرنسية على لغات ولهجات المناطق المجاورة لها فى سويسرا وبلجيكا، وقهر اللغة الإيطالية للهجات المناطق المحيطة بها فى سويسرا.

جـ ـ تتغلب لغة الإقليم أو المنطقة التى توجد بها العاصمة على غيرها من اللغات لما تتمتع به من سلطان ونفوذ سياسى واجتماعى وأدبى.



وقد ظهر ذلك واضحاً عندما تغلبت لغة قريش قبيل الإسلام على اللغات المضرية الأخرى منذ العصر الجاهلى لما كانت تتمتع به لغة قريش من نفوذ وسلطان أدبى مرموق.

كما انتصرت اللغة الفلامندية (وهى لغة شمال بلجيكا) حيث كانت «بروكسل» العاصمة تتحدث اللغة الفرنسية. وكذلك الحال بالنسبة للغة الألمانية حيث قهرت اللغة الفرنسية فى سويسرا لأن اللغة الألمانية كانت لغة العاصمة السويسرية «برن» مركز النفوذ والسلطان.

وكثيراً ما يصاحب عملية الجوار الجغرافى لشعبين مختلفى اللغة إلى حالة التعادل اللغوى فتتعايش اللغات المختلفة جنباً إلى جنب.

ومن الأمثلة على ذلك تجاور شعوب فرنسا وإنجلترا، وألمانيا وإيطاليا، وأسبانيا والبرتغال وبقاء لغاتها حية إلى جوار بعضها البعض.

كما تتجاور لغات الفارسية، والأفغانية، والتركية، وكذلك الإنجليزية والأسبانية فى الولايات المتحدة والمكسيك، والحبشية مع الصومالية، وهكذا.

بيد أن التجاور الجغرافى أو المكانى للغات المختلفة يؤدى بغير شك إلى نوع من الاحتكاك اللغوى نتيجة لحركة الهجرة بين البلدان المجاورة وتبادل المنافع، لكنه لا يعدو تسرب عدد من المفردات اللغوية من كل لغة إلى الأخرى تتناقلها ألسنة المتحدثين بهما لتحقيق نوع من التواصل اللغوى، ولكن عملية التبادل اللغوى هذه تظل محدودة التأثير ولا تؤدى إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى.

٣ـ الدخول فى حرب طويلة المدى بين شعبين أو أكثر مختلفة اللغات :-

يؤدى الدخول فى حرب طويلة المدى بين شعوب مختلفة اللغات إلى الاحتكاك اللغوى، وانتقال عديد من المفردات اللغوية إلى اللغة أو اللغات الأخرى المشتركة فى الحرب.

ومن أمثلة ذلك الحروب الصليبية حيث ساعدت على نقل كثير من مفردات اللغة العربية إلى عديد من اللغات الأوربية وبخاصة إلى اللغة الفرنسية، كما تأثرت العربية ولهجاتها بعدد من الكلمات من اللغات الأوروبية.



وكذلك فإن الحربين العالميتين الأولى والثانية قد أدتا إلى الاحتكاك اللغوى بين اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليـزية والإيطالية والروسية واليابانية. ويحفل التاريـخ المعاصـر بأمثلة كـثيـرة لذلك، فالصـراع العربى الإسـرائيلى ـ أدى إلى احتكاك لغوى بين اللغـتين العربية والعبرية نتـيجة لدخولهما فى حـروب متعددة، والحرب بين العراق وإيران لمدة ثمـانى سنوات فى الثمانينات من هذا القرن أدت أيضاً إلى نوع من الاحتكاك اللغوى بين العربية، والفارسية.

٤ـ الوحدة السـياسية أو الانفـصال السيـاسى بين شعبـين أو أكثر متـعددى اللغات :-

تؤدى الوحدة السـياسية بين شـعبين أو أكـثر متعـددى اللغات إلى نوع من الانتشار اللغوى واتساع نطاق المناطق اللغوية نتيجة لاتساع الرقعة الجغرافية وتزايد عـدد السكان وزيادة فـرص الاحتكـاك اللغوى تبـعـاً لذلك. وعلى العكس فـإن الانفصال السياسى بين الشعوب التى تجمـعها وحدة سياسية يؤدى بالتالى إلى نوع من الانحسـار اللغوى وتقلص عدد الناطـقين بلغة واحـدة. ومن الأمثلة على ذلك الوقائع التاريخية الراهنة لانفصال جمـهوريات الاتحاد السوفيتى وتفككها إلى عدة شـعوب وتنامى النزعـات العـرقيـة واللغوية، وبروز اللـهجـات المحليـة. وفى تشيكوسلوفاكيـا حدث نفس الشىء حيث انقسمت إلى جمهوريتـين هما التشيك، والسلوفاك. وفى يوغوسلافيا بعد تفتـتها إلى عدة جمهوريات. وعلى النقيض من ذلك نجد ألمانيا المـوحدة وازدهار اللغة الألمانية بعد عودة الوحدة السـياسية بين شطرى ألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية.

٥ـ توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين شعبين مختلفى اللغة :-

يؤدى توطيد تلك العلاقات إلى نوع من تبادل المفردات اللغوية لفظا وكتابة نتيجة للاحتكاك اللغوى بين مختلف اللغات.

وتبدو فـاعلية هذا العامل بشكل خـاص فى العصر الحاضـر بعد أن دخلت كثيـر من الشعوب رغـما عنها تحت تأثير الغـزو الثقافى من ناحيـة، والاتحادات الدوليـة لتكوين الأسـواق الاقـتـصـادية المـوحـدة (الولايات المـتـحـدة وكندا والمكسيك)، والسـوق الأوربية المـشتركـة، والصين، واليابان. ولم يعـد الأمر



يقتصر فقط على الرغبة التلقائية لإقامة العلاقات الاقتصادية والثقافية وتعزيزها بين شعبين أو أكثر، مما ينذر بتصاعد الاحتكاك اللغوى بين مختلف مناطق العالم ولغاته المتعددة. وقد صعدت ثورة الاتصالات التى حولت العالم إلى قرية صغيرة من فاعلية الثورة الثقافية واللغوية، حيث أصبح بالإمكان نقل الأحداث المختلفة من مواقعها فى كل أنحاء الدنيا عبر الأقمار الصناعية وبثها لجميع أنحاء العالم بلغات مختلفة لحظة وقوعها على الهواء مباشرة.

رابعاً ـ الانتشار اللغوى :-

يقصد بالانتشار اللغوى ـ اتساع نطاق اللغة لتشمل مزيدا من المناطق الجغرافية وزيادة عدد الناطقين بها. وتتفاوت درجة هذا الانتشار من لغة إلى أخرى، كما تتعدد عوامل وأسباب الانتشار اللغوى.

وتختلف اللغات فى مدى انتشارها فبعضها ينتشر على نطاق واسع مثل اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والبرتغالية، فى الأسبانية والعصور الحديثة. وفى العصور القديمة والوسطى انتشرت اللغة اللاتينية واللغة العربية على نطاق واسع.

ومنها ما ينتشر على نطاق متوسط كاللغة الفارسية، والحبشية، ومنها ما ينتشر على نطاق ضيق مثل اللغة الليتوانية وغيرها.

ويرجع الانتشار اللغوى إلى عدة أسباب ـ يمكن أن نوجز أهمها فيما يلى:-

١ـ تحقيق الانتصار للغة على لغة أخرى عقب انتهاء الصراع اللغوى، مما يؤدى إلي حلولها محل اللغة المقهورة،وبالتالى يتسع نطاق انتشارها ويزداد تبعا لذلك عدد الناطقين بها.

ومن أمثلة ذلك اللغة اللاتينية فى العصور القديمة إذ تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وأسبانيا وفرنسا، وكذلك اللغة العربية إذ تغلبت على اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية، والبربرية، والكوشيتية، حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها أكثر من مائتى مليون نسمة ينتمون إلى نحو خمسة عشر أمة، بعد أن كانوا قديما لا يتجاوزون عدة آلاف من السكان فى بلاد العرب ـ وكذلك كان حال اللغة الألمانية وانتشارها فى أوربا.



٢ـ انتشار أفـراد شعب ما فى أعقـاب هجرة أو استعمـار فى مناطق جديدة بعيدة عن وطـنهم الأصلى مثل ما حدث فى اللغـة الإنجليزية، عندما استـعمرت إنجلترا كلا من أمريكا الشمالية، أستراليا، نيوزيلندا، وجنوب إفريقيا ـ ونزح إليها كثيـر من الإنجليز واستوطنوا فيـها، بعد أن كانوا محصـورين فى بلادهم بمنطقة ضيقة من الجزر البريطانية.

وكذلك الحال فى اللغـة الأسبانية بعد اسـتعمار أسبانيـا للمكسيك، وجزر الفلبين، وعدد من دول أمريكا الجنوبية ـ إذ تحقق لها الانتشار اللغوى على نطاق واسع بتلك المناطق بعد أن كـانت اللغة الأسبانية قـاصرة على بلادها فى الجنوب الغربي من أوربا.

٣ـ أن يتاح لـلغة الانتـشار داخل أرضهـا نتيـجة للزيادة المطـردة فى عدد السكان ونشاط العمران وتعدد القرى والمدن والأقاليم، مثل ما حدث فى اللغات: اليابانية، والفرنـسية، والإيطالية[١].

ونتيجة لانتشار اللغة وزيادة استخدامها على نطاق واسع، فإنه يصعب عليها الاحتفـاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلا، إذ سرعان مـا تتحول إلى لهجات متـميزة يتسع نطاق اختلافها عن اللغـة الأصلية بحيث تصبح متميزة ومستقلة غـير مفهومة إلا لأهلها، وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصـيلة أو شعبة من اللغات تختلف فى بعض مفرداتها عن بعضها الآخر ولكنها تظل متفقة فى وجوه أخرى كثيرة.

ولهذا فـإن اللغة الهندية الأوربيـة الأولى قد تحـولت إلى فصيلـة لغوية ثم تشعبت إلى مجموعات لغوية، ثم تفرعت كل إلى عدة طوائف لغوية، وكل طائفة انقسـمت إلى شعب لغـوية، وكل شعـبة تفرعـت إلى عدد من اللغات الحـديثة وهكذا.

وخلال هذا التـوسع والانتشار اللغـوى تحدث عمليـة تحول فى كثـير من المفردات اللغـوية وأسـاليب النطق مثـل ما حدث فى إنجليزية الولايات الـمتحدة الأمريكيـة واختلافهـا عن إنجليزية الجزر البريطـانية. وفى اللغة العربيـة اختلفت

---

(١) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص١٠٩- ١١٢



اللهجات العربية عن بعضها البعض، فاختلفت لهجة العراق عن لهجة مصر عن لهجة الشام. بل إن اللهجات قد تباينت داخل المجتمع الواحد، فاختلفت لهجة سكان جبال فيفاء عن باقى سكان المملكة العربية السعودية. غير أنه قد خفف من أثر هذا التباين اللغوى بقاء اللغة العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة للدين، والأدب، والكتابة، وسوف نتناول موضوع اللهجات بالتفصيل فى الفصل القادم.

خامساً ـ العوامل المباشرة فى تفرع اللغة :-

يؤدى تفرع اللغة إلى لهجات مختلفة إلى تشعبها واتساع نطاق انتشارها، وإلى جانب عوامل الانتشار اللغوى السابقة، توجد مجموعة من العوامل المباشرة تؤثر فى سرعة هذا الانتشار وتحديد قوته ـ يمكن إيجازها فيما يلى:-

١ـ عوامل اجتماعية وسياسية : وتتصل هذه العوامل بأوضاع المجتمع السياسى من حيث تماسك بنائه الاجتماعى والسياسى، أو انفصال بعض مناطقه عن الدولة أو تحقيق الاستقلال السياسى مما يؤدى إلى انعكاس تلك الأوضاع على الوحدة الفكرية واللغوية للأمة وتحديد إمكانية انتشار اللغة من حيث اتساع نطاقها أو انحسارها.

٢ـ عوامل اجتماعية نفسية : فاللغة كظاهرة اجتماعية تتأثر ببعض الظواهر الاجتماعية الأخرى كحركة الهجرة واتساع نطاقها أو تقلصها، والتسهيلات المختلفة التى تقدمها الدولة لتشجيع حركة الهجرة أو تقييدها. وكذلك تؤثر درجة الاتصال بالمجتمعات الأخرى أو درجة العزلة فى تفرع اللغة وانتشارها، كما تتأثر اللغة أيضاً بالتغير الاجتماعى فى المجتمع.

٣ـ عوامل جغرافية : فالموانع الطبيعية كالجبال والأنهار والبحار والبحيرات تؤدى إلى نوع من العزلة الاجتماعية وصعوبة تحقيق الاتصال،وبالتالى انعزال اللغة عن غيرها من اللغات، وعدم الاحتكاك اللغوى، ومن ثم ثباتها على حالتها. كما تعتبر العوامل الجغرافية الميسرة ممثلة فى البيئات ذات السهول والوديان ووسائل الاتصال المتعددة ـ أحد العوامل فى تشعب اللغة وانتشارها وتعدد لهجاتها المحلية بتعدد المناطق الجغرافية والأقاليم المختلفة، وتوضح الأطالس اللغوية التوزيع الجغرافى للهجات المحلية المتعددة المتفرعة من اللغة فى شتى المناطق.



٤ـ عوامل أثنوجرافيـة : تتعلق باختلاف الثقافات وعناصـرها المتعددة التى تشتمل على اللغة من مجـتمع إلى آخر، بل وتربط بعض الدراسات بين السلالات والأجناس البشرية المـختلفة وبين اللغات وتباينهـا، ولعل علم اللغة السلالى هو أحد المجـالات العلمية لدراسة تلك العـلاقات والصلات المتبـاينة، وتطور اللغة وانتشـارها بدءاً من دراسة المجـتمعـات البدائية حـتى المجتـمعات الحـديثة بين مختلف الأجناس والأصول العرقية وفصائلها المختلفة للإنسان[١].

٥ـ عوامل جـسميـة فسيـولوچية : وتظهر هذه الـعوامل ممـثلة فى الفروق الخاصة بالـتكوين الطبيعى لأعضـاء النطق والكلام، والتى تؤدى إلى تباين واضح فى الصفات التشريحـية للمتحدثين باللغات المختلفـة، وقد أظهر العالم «روسلو» هذه الجوانب فى القانون الشهير باسمه، والذى أشار إلى وجود علاقة بين الصفات الفسـيولوچيـة لأعضاء النطق والكلام وبـين نوع اللغة المسـتخـدمة. وتؤثر هذه العوامل فى عملية انتشار اللغة وتشعبهـا إلى لهجات مختلفة، سواء ما يرتبط منها بالجوانب الجغرافية أو المحلية، أو الجوانب المتعلقة باللهجات الاجتماعية وتباينها وفقا للطبقات الاجتماعية والحرف والمهن المختلفة.

---

(١) محمد الحناش : البنيوية فى اللسانيات، الحلقة الأولى، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٨٠، ص٩٠.





الفصل السادس

«اللغة واللهجات المختلفة»

أولاً ـ اللغة الفصحى واللهجات العامية.

ثانياً ـ اللهجات المحلية وصراعها اللغوى.

ثالثا – اللهجات الاجتماعية.

رابعا – التحديات التى تواجه اللغة العربية.

خامسا – تباين لغات العناصر الأجنبية، وآثارها على لغة الأمة.

أولاً ـ اللغة واللهجات العامية :-

قبل أن نخوض فى تحليل خصائص اللغة الفصحى، واللهجات العامية ـ وأسس التفرقة بينهما، يجدر بنا أن نحدد مفهوم اللغة الفصحى، ومفهوم اللهجة العامية بصفة عامة، والمجتمع اللغوى لكل منها.

ويقصد بالمجتمع اللغوى لأى لغة هؤلاء الناس الذين يتحدثون تلك اللغة، بصرف النظر عن الحدود السياسية ـ وبذلك تكون وحدة اللغة هى عامل مشترك بين أفراد المجتمع اللغوى الواحد حتى وإن عاشوا فى عدد من الدول ولم تربطهم وحدة جغرافية أو سياسية.

ومن أمثلة ذلك العالم العربى فهو يعتبر مجتمعاً لغوياً واحدا، إذ أن كل سكانه يتكلمون اللغة العربية، رغم أنهم ينتمون إلى عدد من الدول العربية. وكذلك الحال بالنسبة للغة الإنجليزية حيث يتحدث بها عدد من الشعوب فى إنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا، وجنوب إفريقيا، ونيوزيلندا وغيرها، ويصنعون معا مجتمعا لغويا واحدا للغة الإنجليزية[1].

وكذلك الحال بالنسبة لكافة اللغات كالفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها. أما بالنسبة للغة الفصحى، فلقد أجمع علماء الدراسات اللغوية على أنها هى اللغة الرسمية للدولة ـ فهى لغة الكتاب، والأدب، والخطابة، والتعليم فى مختلف دور العلم، ووسائل الإعلام.

وبصفة عامة فإن كل لغة لها جانبان : جانب رسمى يلتزم باستخدام الفصحى فى المجالات السليمة فى بناء الجملة والعبارة ـ وجانب آخر غير رسمى يقوم على استخدام لهجات عامية مختلفة يتحدث بها الناس (العامة والخاصة) فى أسواقهم وبيوتهم وحياتهم اليومية.

وعلى ذلك فإن اللهجات العامية : هى أساليب لغوية يعبر بها الناس عن أنفسهم واحتياجاتهم دون التزام بالقواعد اللغوية وتراكيبها.

---

(١) محمد أبوالفرج : مقدمة لدراسة فقة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٦ ، ص٨٩ .



ويفرق علماء اللغة بين مفهوم أو مصطلح اللغة Language ، وبين اللهجة Accent ـ فيرون أن اللغـة يقصد بها تلك الرموز ذات المـعنى والدلالة التى تلتزم بقواعد معينة فى التعبير، يجعل منها وحدة ذات خصائص مشتركة، ولاترتبط لدى المتحدثين بها بمنطقة جغرافية معينة أو طبقة اجتماعية خاصة.

أما اللهـجة ـ فهى رموز ذات مـعنى ودلالة ترتبط بنطاق جغرافى مـعين أو طبقات اجتـماعية مختلفة. ونظرا لأن اللـهجة تميز منطقة جغـرافية عن الأخرى، كما تتـباين اللهجات بين الطبـقات الاجتماعيـة والحرف والمهن المخـتلفة، لهذا ذهب بعض علماء اللغة إلى إطلاق مصطلح آخر عليها فأسموها Register بمعنى سجل أو مـميز الأصوات، بينمـا نادى آخرون بتسـميتهـا بكلمة «اللغوة» مـرادفاً لمفهوم اللهجة، لما فيها من قـدرة على التميز بين المناطق الجغرافية، والطبقات الاجتماعية والمهنية المختلفة، بالإضافة إلى خاصية التفرد فى طريقة النطق[١].

ورغم أن اللغة الفـصحى هى لغة الـكتابة ولغة الخـاصة من الناس، إلا أن لديها القدرة على جمع كل اللهجات التى تندرج تحتهـا بوصفها لغة مشتركة لها ـ ولهذا يسـهل فهم الناطقين باللغـة العربية الفصـحى فيمـا بينهم بشكل أسرع عن استخدامـهم للهجات المحلية المخـتلفة حيث تتباين لهجـة أهل الشام عن لهجة المغرب العربى، عن لهجة الدول الخليجية، عن لهجة مصر.

وقد أخـتلفت آراء علماء الدراسات اللغويـة حول إمكانية تقسـيم اللغة إلى عدة لهجـات، ووضع حدود فاصلة بين اللهجـات وبعضها البـعض، وبينها وبين اللغة الفصحى (المشتركة) ـ فـمنهم من يرفض وجود اللهجات أساساً بمعنى عدم وجود حدود مميزة بين لهجـة وأخرى، وبالتالى لا توجد على حد قولهم ـ سوى لغة واحدة تسود الأمة.

ويقول عالم اللغة الفرنسى «جاسـتون بارى» بهذا الرأى ـ فى معرض تناوله للغة الفرنسية :-

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٩٠- ولمزيد من التفاصيل انظر :-

Halliday, M., Mcintosh, A. and Strevens, P. : The Linguistic Science and Language Teaching, London, Longmans 1964.



«ليس هناك أى حد حقيقى، يفصل بين فرنسى الشمال، وفرنسى الجنوب، فصور التكلم الشعبى عندنا، تمتد على أرض الوطن من طرف إلى آخر، كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة، فى كل نقطة منه، بعضها على بعض، وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض[1]. »

وقد أيد هذا الرأى أيضاً العالم «يوهان شمت» حيث نادى بنظرية الأمواج فى تفسير انتشار اللغة، بقوله :-

« إن كل ظاهرة لغوية، تمتد على سطح الوطن كامتداد الأمواج، وإن كل موجة فى تقدمها التدريجى غير الملموس، ليس لها حد معين. »

وقد استند «شمت» على دراسته للغات الهندوأوربية حيث لا تتطابق الخطوط الفاصلة بين الخواص اللغوية مما يصعب معه تحديد حدود واضحة نتيجة تداخلها مع بعضها البعض.

وهناك فريق آخر من العلماء يؤيد وجود حدود واضحة بين اللغة الفصحى وبين اللهجات، ويأتى على رأس هذا الفريق العالم الفرنسى «أنطوان مييه» ويؤيد كذلك عالم الاجتماع اللغوى الفرنسى أيضاً «فان جنيب». وفى هذا الصدد يدافع هذا الفريق عن إمكانية تقسيم اللغات إلى لهجات، ويؤكد «أنطوان مييه» هذا بقوله :-

«إن من حقنا أن نتكلم عن وجود لهجات، كلما رأينا عددا من الخطوط التى تفصل بين الخصائص، ينطبق بعضها على بعض، ولو بشكل تقريبى، فهناك لهجة محددة فى كل منطقة، يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة[2]. » فتقسيم اللغة إلى لهجات، يرجع إلى ذلك التباين فى طريقة الكلام بين الأقاليم المجاورة. ولهذا عرف بعض العلماء اللهجة بأنها عبارة عن «مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة[3]. »

---

(١) فندريس : اللغة - ترجمة عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مرجع سابق، ص٣١٢ .

(٢) إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٦٥، ص١٦ .

(٣) رمضان عبد التواب : فصول فى فقه العربية، ط٢، القاهرة مكتبة الخانجى، ١٩٨٣، ص٧٢ .



أما عن العلاقة بين اللهـجة واللغة، فهى علاقة الخاص بالعـام، لأن البيئة اللهـجـة هى جـزء من بيـئة أوسع وأشـمل، تضم عـدة لهـجـات، لكل منهـا خصائصـها، ولكنها تشتـرك جميعـاً فى مجموعـة من الظواهر اللغوية ـ فى إطار اللغة[1]. »

وقد حدد بعض علماء اللغة خصائص اللغة الفصحى (اللغة المشتركة) فيما يلى :-

١ـ أن هذه اللغة ذات مستوى لغوى أرقى(*) من لهجات الخطاب فى أغلب الأحوال، أى أنها ثابتة الأركان والدعائم، حيث استقر أمرها على قواعد ونظم لا تسمح لها بالتغير إلا بعد أجيال من الاستعمال، وهى لذلك يتخذها الناس مقياساً لحسن القول وإجادة الكلام.

٢ـ لا يستطيع السامع لهذه اللغة أن يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى إليـها المـتكلم بها ـ على حـد قـول «هنرى سويت»، إذ يشـعر كل من السـامع والمتكلم أنهـا ملك الجميع، وأم لجـميع اللهجات، ولا يمكن لقـوم أن يدعوها لأنفـسهم، ولاتنسب إلى بيـئة مـعينة، وهى لذلك تكتـسب الاحتـرام من الناس جميعاً.

أما عن كيفيـة نشأة اللغة الفصحى (المشتركـة)، فقد أوضح عدد من علماء الاجتماع اللغـوى وعلماء اللغة أنها كانت فى الاصل لهجـة من اللهجات أتاحت لها الظروف فرصـة التغلب على غيرها من اللهـجات السائدة فأصـبحت هى لغة الدولة ولغة الأدب والكتابة. ولكننا نختلف مع هذا الفريق فى رأيه نحو نشأة اللغة الفصـحى، حيث يبـررون رأيهم بالقول بأن لهـجة سكان باريس قـد تغلبت على معظم أخواتها من اللهجات، فأصبحت هى لغة الدولة فى فرنسا ـ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغة الفـرنسية. وكذلك الحـال فإن تغلب لهجـة لندن بإنجلترا، وتغلب لهجة مـدريد بأسبانيا، واللهجة السكـسونية بألمانيا، واللهجـة التوسكانية

(*) يرفض بعض علماء اللغـة مثل «روبنز Robins » استـخدام تلك الأحكام القيـمية من الباحـثين، ويرى ان واجبهم العلمى يفرض عليهم أن يصفوا ويحللوا اللغة كظاهرة دون أن يسبغوا عليها أحكامهم الذاتية.

لمزيد من التفاصيل ـانظر :-



بإيطاليا، كان سببا فى ظهور اللغة الإنجليـزية، واللغة الأسبانية، واللغة الألمانية، واللغـة الإيطالية ـ الفـصـحى على الترتيب، ويـؤيد هذا الرأى أستـاذنا الأستـاذ الدكتور/ على عبد الواحد وافى[1].

ولكن مثل هذا القول يبدو غير دقيـق من الناحية الموضوعية، إذ إن الأصل فى كثـير من اللغات الحـية يعود إلى دراسـة النصوص القديـمة للغتـين اللاتينية والاغريقيـة مما أدى إلى ظهور الـفيلولوجيا، ولكنهـا تطورت ولم تقف عند حد دراسة النصوص القديمة بل تطورت إلى دراسة اللغويات باشكالها وشعبها اللغوية المختلفة وقد كان لاجتهاد علماء اللغة والنحاة فى كل لغة الفضل فى تأصيل اللغة الفصحى ووضع القواعد اللغوية الخاصة بها.

ولم يكن وضع هذه القـواعد من عمل عـامة القوم مـمن لا يعرفـون سوى اللهـجات العامـية، بل كـان من صنع الخاصـة من الصفـوة والعلماء من الـنحاة وعلماء اللغة الذين أرسوا قواعد اللغة الفصحى وما يلزمها من نحو وصرف. وفى نفس الوقت فإننا لا ننكر أن اللغـة بوصفها ظاهرة اجـتماعية من صنع الاجـتماع الإنسانى، فـإن العامة من الناس قـد شاركوا فى صـنعها بشكل فـاعل من خلال إستخدامهم للهجات المختلفة المحلية والاجتماعية مع غيرهم من خاصة القوم فى أمورهم اليومية بالعامية.

وتتفـرع لغة الكـتابة أو اللغـة الفصحـى إلى شعب مـختلفة تـختلف تبـعا لاختلاف فنون القول الـمستخدمة فيـها وما يمتاز به كل منها مثـل الشعر، والنثر الأدبى، ،الرسائل، والقانون، والعلوم، والتاريخ . . . إلخ.

ومن أهم شعب اللغـة الفصحـى لغة الأدب وهى التى تستـخدم فى الأدب شعرا ونـثرا، حيث تعتـمد على البيان وقـوته كهدف أساسى تسـعى إلى تجويده وإظهـار جوانب الإبداع فـيه، وإبراز جمـال العبـارة، ورقة الأسلوب، ورصـانة الألفاظ، وبلاغة التعبير، وفصاحة الكلام[2].

وهناك رأى آخـر لبعض علمـاء اللغة، حـول قضـية نشأة الـلغة الفـصحى بوصفها لغة مشتركة، وعلاقتهـا باللهجات العامية ـ يؤكدون فيه خطأ تفسير بعض

(١) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص١٢٥ .

(٢) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص١٢٨ .



علماء الاجتماع اللغوى ومن أيدهم فى القول بأن اللهجة المنتصرة على كافة اللهجات هى التى أصبحت اللغة الفصحى. إذ يضرب لنا الدكتور/ إبراهيم أنيس مثلا باللغة العربية الفصحى بقوله :-

« . . . فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفاتها الكلامية، فى حديثها العادى وفى لهجات التخاطب، ولكن الخاصة من الناس فى تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التى نشأت فى مكة فى شئونهم الجدية، يخطبون بها وينظمون الشعر، وقد خلت من الصفات الخاصة للهجات، تلك الصفات التى نفر منها خاصة العرب. حتى إذا عادوا إلى بيئاتهم تحدثوا إلى الناس فى الشئون العامة بمثل لهجتهم، لئلا تنفر منهم النفوس(١). »

بل إنه يتطرق أيضاً إلى اللغة الإنجليزية الفصحى، وكيفية نشأتها، وما تمتعت به من خصائص فيقول :-

«تأسست الإنجليزية المشتركة (الفصحى) فى بدء نشاطها على لهجة لندن، ولكن من المغالاة أن يقال أن معظم صفات الإنجليزية الفصحى مستمدة من تلك اللهجة، وذلك لأن الذين وفدوا إلى لندن فى العصور المختلفة كانوا من الكثرة فى العدد والنفوذ فى السلطان، بحيث لا يتصور أنهم استسلموا للهجة لندن فى سهولة وإذعان، وإنما الذى يتصور أنهم جلبوا معهم كثيراً من صفات لهجاتهم وأنهم أثروا فى لهجة لندن(٢) . . . »

وتؤكد هذه الآراء صحة ما ذهبت إليه فى رفض الموافقة على أن اللغة الفصحى هى نتاج لسيطرة إحدى اللهجات المحلية وحلولها محل اللهجات الأخرى معتمدة على قوتها وحدها، بيد أن تحول الأدباء والكتاب ورجالات الصفوة اللغوية إلى استخدام اللهجات العامية يؤدى إلى إضعاف الفصحى واندثارها كما حدث للغة اللاتينية، وتحول اللهجات إلى لغات. أما عن خصائص اللهجة Accent ـ فإن روبنز Robins ـ عالم اللغويات يحدد هذه الخصائص فيما يلى :-

---

(١) إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية، مرجع سابق، ص٣١ .

(٢) إبراهيم أنيس : مستقبل اللغة المشتركة، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية ، ١٩٦٠ ، ص٤ .



١ـ اللهجة تشمل العادات الكلامية لمجموعة صغيرة من الناس، فى إطار مجموعة أكثر من الناس يتكلمون لغة واحدة.

٢ـ تضم اللهجة صيغا مختلفة من الكلام، يمكن من خلالها التفاهم بين أفرادها.

٣ـ تتحدد اللهجة فى إطار منطقة موحدة سياسيا تقتصر عليها الصيغ الكلامية المستعملة فيها[١].

ويشير «روبنز Robins ، ومرجريت شلوخ Margret Schlauch » وغيرهما من علماء الاجتماع اللغوى إلى الاتفاق على أن أسس التفرقة بين الفصحى والعامية تقوم على عاملين هما :-

١ـ عامل جغرافى: يحدد اللهجات، ويربطها بما يعرف باللهجات المحلية، بل إن بعض علماء الاجتماع اللغوى يقرنون بين وجود المدينة العاصمة كمنطقة جغرافية من ناحية، وبين اللغة الفصحى من ناحية أخرى - فى كثير من الأحيان. بينما تكون للمناطق الجغرافية الأخرى لكل منها لهجتها المحلية الخاصة بها. ولكن «روبنز Robins »يقدم تفسيرا منطقيا مقبولا لذلك فيقول «إن عبارة المدينة العاصمة هنا مستعملة بالمفهوم الثقافى من حيث قوة التأثير والنفوذ والالتزام بلغة الأدب، وليس بالمفهوم الجغرافى الذى يقتصر على مجرد كونها عاصمة للدولة[٢].»

ولعل هذا التحليل يقدم حلا مناسبا للجدل بين علماء اللغويات وعلم الاجتماع اللغوى بشأن قيام اللغة الفصحى فى أعقاب تغلب اللهجة العامية أو لهجة المدينة العاصمة على غيرها من اللهجات، ورأينا فى هذا الجدل بتميز لغة الفصحى بأصول وقواعد لغوية مما يؤكد وجود دور فاعل فيها للخاصة من الناس سواء من النحاة أو رجال الفكر والأدب والتعليم.

---

(١) Robins, R.H. : General linguistics, an introductory Survey, landon, longmans, 1964, P. 58.

(٢) Robins, R. H. : Ibid, P. 57

(٣) Margret, Schlauch : The Gift of Tongues, London George & Unwi Ltd., 1960, P.261 - 264



٢ـ عامل طبقى ثقافى : فالطبقات الاجتماعية والمهنية والحرفية لها لهجاتها الخاصة بهـا، بل إن «مرجريت شلوخ» تطلق عليـها اللهجات الطبـقية، وترى أن الطبقـات الراقية لها لهـجة تختلف عن لهجـة الفقراء ـ بل إن تلك اللهـجات قد يكون لها فـروع أصغر داخل تلك الطبقـات والمهن والحرف المختـلفة، وتعرف اللهجات المرتبطة بهـذا العامل باللهجات الاجتماعيـة. وتخضع كل من اللهجات المختلفة سواء اللهـجات المحلية، أو الاجتماعية لعمليـة الاحتكاك اللغوى شأنها شأن اللغات، بل وتتعرض أيضا للصراع اللغوى.

وسوف نناقش ذلك تفصيلا فى الصفحـات القادمة، ثم نخص اللغة العربية الفصحى بوصفها لغتنا الخالدة بمناقشة هامة لما يواجهها من تحديات.

ثانياً ـ اللهجات المحلية وصراعها اللغوى :-

يقصد باللهـجات المحلية تلك اللهـجات التى تنتشر فى مناطق جغـرافية، وتتبـاين عن بعضها البـعض، كما تخـتلف عن اللغة الفصـحى حيث تكون هذه اللهجات أقرب إلى العامية فى معظم مفرداتها اللغوية.

وتختلف اللهـجات بعضها عن بعض مـن حيث المساحة التى تشـغلها كل منها، فمنها ما يشغل عدة أقاليم أو مـقاطعات، ومنها ما يكون محدود الانتشار ـ يقتـصر على عدد من القـرى المتقـاربة، ومنها ما يشـغل حيزا جغـرافيا متوسط المسـاحة.

ويمثل الانتشار الجغـرافى للهجة معينة ما يسميه علمـاء اجتماع اللغة باسم المنطقة اللغـوية، وأحيانا مـا تشتمل المنطـقة اللغوية على عـدة مناطق أو أقاليم جغرافية متجاورة طبقا للتقسيم الإدارى.

وكما عرفنا فإن اللغة لا تموت وحدها برغبتها، ولكنها تنقرض بفعل عوامل الصراع اللغوى مع لغة أخرى تصرعها أو تقهرها.

ويبرز خلود اللغة وبقاؤها بل وانتشارها فى مظهرين أساسيين هما :-

١ـ أن تظل اللغة منعزلة عن حلبة الصراع اللغوى فـى منطقة ضيقة أو رقعة جغرافية محدودة ومنعزلة.

---

(١) على عبد الواحد وافى . اللغة والمجتمع، مرجع سابق ، ص٦٨



٢- أن تمتد اللغة وتنتشر فى شكل لهجات محلية ولهجات اجتماعية أو لغات فرعية فى مساحات واسعة من الأرض والأقاليم وتتكلم بها طوائف مختلفة من الناس.

ويبدأ الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين هما :-

أ - من ناحية الصوت : إذ تختلف الحروف والأصوات التى تتألف منها الكلمة الواحدة، كما تختلف طريقة النطق بها تبعا لاختلاف اللهجات.

ب - من ناحية دلالة المفردات : حيث تتباين بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها.

أما القواعد اللغوية Grammer للغة سواء فيما يتعلق منها بالبناء أو التكوين المورفولوجى للجملة أو ما يتعلق منها بالتنظيم فلا ينالها كثير من التغيير خلال عملية التشعب اللغوى وانتشار اللغة على شكل لهجات مختلفة. ومن أمثلة ذلك تعدد اللهجات المحلية فى الوطن العربى حيث توجد فروق ضئيلة بينها فى نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصف، ولكن هذه اللهجات تتفق جميعها فى انتمائها للغة واحدة من ناحية الصوت والدلالة لمعظم المفردات اللغوية.

ويرى بعض علماء الاجتماع اللغوى أن اللهجات المحلية والاجتماعية ما هى إلا حالة من التشعب والانتشار اللغوى للغة، ولا تسلم تلك اللهجات من التعرض للصراع اللغوى، حيث تحاول جاهدة الاحتفاظ بكامل شخصيتها وكيانها، فلا تدخر وسعا فى محاربة عوامل الابتداع والتغيير فى داخل منطقتها، بل تدافع عن كيانها ووجودها بكل ما أوتيت من قوة لحماية نفسها من أى اعتداء يقع عليها من اللهجات المجاورة.

واذا كانت اللغة بصفة عامة كظاهرة اجتماعية تخلقها طبيعة الاجتماع الإنسانى - تفرض أنواعا متباينة من الجزاءات الاجتماعية على كل من يحاول الخروج على نظامها، فإن اللهجات المحلية أيضا بوصفها تفرعا أو انشعابا للغة تقوم بنفس الدور لكل من يحاول النيل منها إذ يلقى مقاومة عنيفة من أصحاب اللهجة المحلية نتيجة لقوة العلاقات الاجتماعية التى تربطهم مع بعضهم البعض



بشكل مباشر فى المجتمعات المحلية، وقوة العقل الجمعى إلى حد التوحد بين كل أفراده، ويظهر ذلك فى حديث كل منهم عندما يريد أن يعبر عن نفسه بكلمة «نحن» أو بالعامية المصرية «إحنا» بلهجة الريف المصرى، أو بكلمة «حنا» باللهجة البدوية فى المجتمعات الخليجية ـ مما يؤدى إلى صد أى محاولة لتغيير اللهجة المحلية أو الاعتداء عليها. وتساعد عوامل العزلة الاجتماعية وعدم الاتصال والاحتكاك المباشر بين مختلف الأقاليم على حماية اللهجات المحلية من عوامل الصراع اللغوى، إذ إن هذا الصراع ينسب نتيجة لمحاولة كل لهجة السيطرة وتحقيق النصر على اللهجات الأخرى، وتكون عوامل العزلة الجغرافية والاجتماعية فى هذه الحالة صمام أمان لحفظ اللهجة المحلية من التعرض للصراع اللغوى.

ومن أمثلة ذلك االلهجة لخاصة بسكان جبال فيفاء فى جنوب المملكة العربية السعودية، إذ ظلت نتيجة لعوامل العزلة الجغرافية الناتجة عن المنطقة الجبلية الوعرة فى عزلة تامة عن اللهجات المحلية الأخرى المجاورة سنين طويلة حتى امتدت إليها يد التعمير والتنمية لتربطها بكافة القرى والمدن المجاورة.

وعلى الرغم من تميز تلك اللهجة بكثير من المفردات اللغوية المختلفة عن غيرها من اللهجات بحيث لا يمكن لغريب عن سكانها فهمها، إلا أنها بدأت فى التعرض لصراع لغوى فى ضوء زيادة فرص الاتصال والاحتكاك اللغوى التى واكبت مشروعات التنمية المتعددة فى تلك المنطقة.

كما تتباين أيضا لهجات أخرى متعددة داخل المملكة بعضها عن بعض فلهجة أبناء المنطقة الغربية فى جدة وما جاورها تختلف عن لهجة أبناء المنطقة الوسطى فى الرياض، عنها فى المنطقة الجنوبية فى أبها. كما تختلف لهجة الريف والبادية عن الحضر فى كل المجتمعات.

وفى مصر تتعدد اللهجات المحلية طبقاً للتقسيم الجغرافى فلهجات أبناء الوجه البحرى تختلف عن لهجات الوجه القبلى، عنها فى المدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية.

وكثيرا ما تصاحب الهجرة الداخلية أو الخارجية عملية صراع لغوى للهجات الوافدين، ولا يجدون مفراً لتحقيق التوافق الاجتماعى واللغوى مع المجتمع



الجديد من أن يغيروا لهجاتهم المحلية، حتى لا يتعرضوا للسخرية ولهذا نجدهم يحاكون اللهجة المحلية السائدة ويقلدونها، فى معية محافظتهم على لهجتهم المحلية الأصلية لإستخدامها مع أهلهم عندما يلتقون بهم.

وتعجز اللهجة الوافدة مع هؤلاء عن الانتصار على اللهجة المحلية السائدة نتيجة لقلة عدد الوافدين مقارنا بعدد السكان الموجودين الناطقين باللهجة المحلية، وعدم وجود رابطة بين هؤلاء الوافدين تتغلغل بين أفراد المجتمع، وقصر مدة إقامتهم، مما يضطر أصحاب اللهجة الوافدة إلى الاستسلام وقبول اللهجة السائدة وتنخية لهجتهم الأصلية.

وكما سبق القول عن الصراع اللغوى بين اللغات المختلفة، فإن الصراع اللغوى بين اللهجات المتباينة ينتهى عادة بأحد أمرين هما :-

١ـ الانتصار لإحدى اللهجتين وهزيمة اللهجة الأخرى لضعفها وتدنى نفوذها.

٢ـ التعادل بين اللهجتين نتيجة لتسأوي المنطقتين فى قوة لهجاتها ونفوذها.

وتتفأوت اللهجات المحلية فى التعبير عن بعض الحروف الأولى من المفردات مما يؤدى إلى تغيير الصوتيات Phoneics المصاحبة لكل منها، رغم بقاء المعنى والدلالة للفظ على ما هى عليه.

ومن أمثلة ذلك كلمة «قلنا» فى اللغة العربية الفصحى ـ التى تنطق باللهجة العامية المحلية فى الوجه البحرى فى مصر بكلمة «أولنا»، بينما يعبر عنها باللهجة العامية المحلية فى صعيد مصر بكلمة «جولنا»، كلمة «وَلَد» التى تتحول فى نفس اللهجة إلى كلمة «وِلْد» بكسر الوأو.

بل إن الأمر لا يقتصر على مجرد تغيير التشكيل وحركات الفتح أو الكسر أو الضم وغيرها، بل يمتد أحيانا إلى إيجاد بديل بكلمة أخرى تحمل نفس المعنى والدلالة مثل كلمة «شهم»، «وشهامة» فإنها تتحول فى لهجة المجتمعات البدوية إلى كلمة «نشمى»، «ونشامة» ، وكلمة «الأغنام» تتحول أيضاً عند البدو إلى كلمة «الحلال» وهكذا.

وتسير عملية الصراع اللغوى بين اللهجات المحلية، ونتائجها ـ فى نفس مسار الصراع اللغوى بين اللغات المختلفة، بل وتمر اللهجة المحلية المهزومة



بنفس مراحل الضعف التى تمر بها اللغة المهزومة فى طريقها إلى الاندثار أو الانقراض ويمكن إيجاز هذه المراحل فيما يلى :-

المرحلة الأولى : تمطر اللهجة الغالبة اللهجة الأخرى بطائفة كبيرة من مفرداتها فتوهن بذلك متنها الأصلى وتجرده من كثير من مقوماته، ولكن اللهجة الضعيفة تظل تقاوم محتفظة بمخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات.

المرحلة الثانية : تتشرب اللهجة المغلوبة أصوات اللهجة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات، وينطق الوافدون بلهجة ركيكة تجمع بين اللهجتين معاً.

المرحلة الثالثة : تنهار فيها حصون قواعد اللهجة المحلية الوافدة، فتستسلم للهجة الأخرى وتأخذ قواعد اللهجة الغالبة فى الاستيلاء على الألسن، ويتم بذلك النصر لها والقضاء على اللهجة الوافدة وتنحيتها عن الاستخدام اللغوى. ورغم إستسلام اللهجة المغلوبة لكن اختفاءها لا يعنى محوها من عقول ووجدان أبنائها، وإنما عزلها بشكل مؤقت لاستخدامها عند العودة إلى بيئتها الأصلية أو بين الناطقين بها وحدهم.

ثالثاً ـ اللهجات الاجتماعية :-

يرجع الفضل فى دراسة اللهجات الاجتماعية إلى طائفة من علماء اللغة وعلماء الاجتماع، ويعتبر العالم «فان جنيب Van Gennep» الفرنسى من أشهر من اعتنوا بدراسة اللهجات الاجتماعية من علماء الاجتماع.

وقد برزت اللهجات الاجتماعية وتباينت بين الطبقات الاجتماعية المختلفة بالمجتمع من ناحية، وبين المهن والطوائف الحرفية من ناحية أخرى. وتعتبر اللهجات الاجتماعية شعباً وفروعاً للغة فى البلد الواحد. وتتحدد الفروق بين الطبقات الاجتماعية طبقا لمعايير الثروة والدخل والمكانة الاجتماعية بين الأفراد وما يتبعها من نفوذ أو سلطة. ولهذا نجد تصنيفات متعددة للطبقات الاجتماعية؛ فهناك الطبقة العليا أو الصفوة فى المجتمع، وهناك الطبقة الوسطى، والطبقة الدنيا ـ بل إن هناك مستويات مختلفة تتفرع عن كل طبقة من هذه الطبقات.

أما بالنسبة لتصنيف المهن والحرف المختلفة فنجد صورا متعددة لها مثل الفلاحة، والنجارة، والمحاماة، والهندسة، والطب، والتدريس وغيرها. وتتميز



كل الطبقات الاجتماعية وأصحاب المهن والحرف المختلفة بوجود لهجة إجتماعية خاصة بأبناء كل طبقة أو مهنة أو حرفة، وتتباين كل لهجة اجتماعية عن الأخرى طبقا لاختلاف مستوى التعليم، ومناحى التفكير والوجدان، ومستوى المعيشة وحياة الأسرة، والعادات والتقاليد، والبيئة الاجتماعية فى كل طبقة اجتماعية عن غيرها من الطبقات والمهن والحرف الأخرى.

لهذا نجد لهجة أبناء الطبقة الأرستوقراطية (الطبقة العليا) فى المجتمع تختلف عن لهجة أبناء طبقة الفلاحين أو النجارين أو اللصوص وغيرهم. وقد تذهب بعض اللهجات الاجتماعية بعيدا فيشتد انحرافها عن الأصل الذى تفرعت عنه حتى تكاد تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها.

وتؤدى حياة العزلة عن المجتمع، والخروج علي نظمه وقوانينه إلى شدة انحراف اللهجات الاجتماعية عن اللغة الأصلية للمجتمع، وقد قام العالم «إريك بارتروج» - أستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة كمبردج بإنجلترا فى عام ١٧٢٩م - بدراسة لهجات اللصوص والمجرمين الإنجليز منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادى حتى ذلك الوقت، من واقع ملفات القضايا الجنائية، وأصدر معجما بها استغرق خمس سنوات من البحث والدراسة الميدانية، ويقع فى ثمانمائة صفحة. كما عنى بعض الباحثين بدراسة لهجات الطبقات الاجتماعية الدنيا من العمال فى فرنسا.

وقد اظهرت تلك البحوث والدراسات أن اللهجات الاجتماعية تخضع للتغيرات الاجتماعية التى تطرأ على المجتمع وطبقاته الاجتماعية، حيث بدا هذا واضحا فى فرنسا عندما اختلفت لهجات العمال والمجرمين فيها عن لهجاتهم بعد الحرب العالمية الأولى اختلافا كبيرا[1].

وتؤثر اللهجات الإجتماعية المختلفة السائدة فى أى لغة تأثيرا مباشرا فيها إذ تتسرب منها كثير من المفردات المتصلة بالمهن والحرف المختلفة من خلال استخدام اللهجة العامية فى الحياة اليومية - إلى اللغة. وقد أثبت «بارتروج» أن كثيراً من المصطلحات الحديثة فى اللغة الإنجليزية، التى يظن الإنجليز أنها

(١) على عبد الواحد وافى : اللغة والمجتمع ، مرجع سابق، ص٧٢ .

ولمزيد من التفاصيل - انظر - ايضاً على عبد الواحد وافي: علم اللغة، مرجع سابق، ص١١٥



مأخوذة من اللـهجة الأمريكيـة العامية تبيـن له أنها مشتـقة من لهجة المـجرمين الإنجليز عند دراسته للهجتهم كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ولا تتميـز اللهجات الاجتـماعية عن بعضـها البعض تميـزا واضحا إلا فى المدن والـعواصم الكبرى مـثل نيويورك، ولنـدن، وباريس وغيرها، حـيث تزداد الكثافة السكانية، وتتـعدد الحرف والمهن المختلفة، ويشتـد الصراع بين الطبقات الاجتماعية المـختلفة. أما بالنسبة للهجات الحرفيـة فإنها تتمايز بشكل واضح عن بعضهـا البعض فى المناطق التى يسود فيهـا نظام الطوائف، حيث يرتبط أبناء كل طبقة اجتمـاعية بحرفة معينة يتوارثونها وتكون قِصـرا عليهم وعلى أبنائهم كما هو الحال فى الهند. أمـا المجتمعـات التى لا تعرف هذا النظام أو التى انقرض فـيها هذا النظام، فإن اللهجـات الاجتماعيـة فيها تختلط ببعـضها البعض نتيـجة لحرية التنقل من حرفة إلى أخرى دون قصرها على طبقة اجتماعية معينة تتوارث كل منها حرفـة معينة، وبذلك تقل حـدة الفروق الممـيزة للهجـات الحرفيـة نتيجـة لهذا التداخل وتأثرها ببعضها البعض.

أما عن تفسير نشأة اللهجات الاجتماعية فقد ذهب بعض علماء الأثنوجرافيا إلى أنها لا تنشأ من تلقاء نفسـها، بل تخلق خلقا بالاتفاق بين أفراد الطبقة الواحدة وترتجل إرتجـالا فى ألفاظها ومـصطلحاتهـا، وقد أيدهم فى ذلك بعـض علماء اللغة.

ويعارض هذا الرأى علمـاء الاجتماع اللغـوى، ويرون أنه لا يقوم على أى سند عـقلى أو تاريخى، ويفسـرون تلك النشـأة بأنها تتكون تدريجـيا من خـلال الاجتـماع الإنسانى والتـواصل اللغوى، إذ إنه من المـسلم به أن اللغة وما يتـفرع عنها من لهجات اجتماعيـة أو محلية هى من صنع المجتمع وليست من صنع فرد معـين أو مجمـوعة أفراد، بل هى وليدة الاجـتماع الإنسـانى شـأنها شـأن اللغات المختلفة، وإن كانت اللهجات الاجتماعية تـقتصر كل منها على طبقة اجتماعية أو أبناء مهنة أو جرفة معينة مـهما تدنت مستوياتها الاجتماعيـة كطبقات المتسولين، واللصوص، والصيادين وغيرهم.

من ذلك العرض يتبين لنا أن التعدد اللغوى وتباين اللغات وتشعبها إلى عدة شعب وفروع لغوية ولهجات اجتماعية ومـحلية متعددة، يبرز لنا طبيعة اللغة ذاتها



وتباينهـا نتيجة لـتباين بنى البشـر الناطقين بها فى أصـولهم السلالية وأوضـاعهم الاجتماعية والجغرافية والطبيعية وتكوينهم الفيزيقى فى أعضاء النطق والكلام.

ولعل هذا التحليل يرد على دعاوى المنادين بضرورة البحث عن لغة عالمية واحدة وإنشائها لتكون علاجا للتعـدد اللغوى بين الناس. وحتى لو افترضنا جدلا إمكانية قيام هذه اللغة، فـإنها سرعان ما تتشعب وتتفرع إلى عـدة لغات متعددة، وتظهر الفروق اللغوية مرة أخرى نتيجة لعوامل التباين المتعددة بين الناطقين بها.

ويؤكد هذا حكمة الخالق جل وعلا فى قوله سبحانه وتعالى :-

«ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحـدة ولا يزالون مختلفين* إلا من رحم بك...» - (سورة هود، الأيتان ١٨٨، ١١٩).

وقوله جل شـأنه «ومن آياته خلق السـموات والأرض، واختـلاف ألسنتكم وألوانكم، إن فى ذلك لآيات للعالمين ..» (سورة الروم - آيه ٢٢).

وفى ضوء تحليـلاتنا السابقة للغة من جـوانب مختلفة يمكن أن نسـتخلص عددا من الحقائق الهامة المتصلة بخصائص اللغة - يمكن إيجازها فيما يلى :-

١- أن اللغة فى مـختلف مظاهر حـياتهـا، شأنها فى ذلك شـأن كثـير من الظواهرالاجتـماعـية ترتبط ارتبـاطا وثيقا بغـيرها من الظواهر المـتصلة بالعـمران البشرى.

٢- تتأثر اللغة فى بعض نواحيـها بظواهر غير اجتماعيـة كالأمور التى تتصل بالبيئة الجغـرافية أو بوظائف الأعضاء أو باختلاف الشعوب فى خواصـها الجسمية الوراثية، أو بعـدد السكان ومدى كثـافتهم، وبنيـة اللغة نفسهـا ومتنها وقـواعدها وطبيعة أصواتها وتفاعلها مع بعضها البعض.

وقد نتج عن ذلك الفـهم اكتشاف الخطأ أو عدم صـحة الرأى الذى نادى به بعض المغالين من علماء اجتماع اللغة مثل العالم السويسرى «فرديناند دى سوسور F. De Saussure» الذى قـصـر العوامـل المؤثرة فى حـيـاة اللغـة على العـوامل الاجتماعية وحدها.

٣- أن التفـرع اللغوى ينجم عن عـدة عوامل ترجع إلى ظواهر اجـتماعـية خالصـة مثل الفتح، والاسـتعمـار، والهجرة، وزيادة حـركة العمـران، وضعف



السلطان المركزى الذى يسيطر على أجزاء الدولة، وانحلال الروابط السياسية التى كانت تجمعها، واختلاف المناطق بعضها عن بعض فى النظم الاجتماعية والعرف والعادات والتقاليد ونواحى التفكير والوجدان والقوة والنفوذ ومظاهر الحضارة والآداب، واختلاف الطبقات الاجتماعية، واختلاف البيئات الجغرافية والأقاليم فى المجتمع الواحد - مما يؤدى إلى تشعب اللغة إلى لهجات اجتماعية ولهجات محلية وعامية وفصحى بفعل عوامل وظواهر تعود إلى الاجتماع الإنسانى فى الدرجة الأولى وشئون العمران، بالإضافة إلى عوامل أخرى غير اجتماعية كما أوضحنا.

٤- إن أى محاولة لإصلاح لغوى يجب أن تبدأ بفهم ودراسة حياة اللغة ومناهج تطورها، إذ إن اللغة شأنها شأن عناصر الثقافة الأخرى والنظم الاجتماعية لا تسير تبعا للأهواء والمصادفات ولا وفقا لإرادة الأفراد، وإنما تخضع فى سيرها لقوانين مطردة ثابتة.

وليس معنى ذلك إنكار إمكانية التدخل فى شئون اللغة أو تقرير مبدأ الجبرية المطلقة فى حياة اللغة، وإنما هى دعوة إلى فهم اللغة فهما متعمقا بوصفها نظاما اجتماعيا للتواصل الإنسانى وعنصرا هاما من عناصر الثقافة التى تتناقلها الأجيال كميراث اجتماعى، حتى يمكن أن تنجح أى محاولة جادة للإصلاح اللغوى.

من هنا كان من المفيد أن نتناول مناهج البحث فى علم الاجتماع اللغوى بالدرس والتحليل، وهو ما سوف نناقشه بالتفصيل فى الفصل الثامن من هذا الكتاب.

رابعاً - التحديات التى تواجه اللغة العربية :-

تتعدد لغات البشر تعددا هائلا، إذ يوجد ما يزيد عن ثلاثة آلاف لغة يتكلمها الناس فى هذا العالم[1]، بخلاف العديد من اللهجات المختلفة الاجتماعية، والمحلية والعامية.

(١) محمد سليمان الحداد، محمود يوسف النجار : الأنثروبولوجيا - مقدمة فى علم الإنسان، الكويت، المطبعة الدولية، ١٩٨٦ ، ص٤١١ .



وتعتبر اللغة العربية إحدى اللغات الهامة داخل ذلك الكم الهائل من لغات العالم، والعربية هى إحدى اللغات الست التى تستخدم داخل منظمات الأمم المتحدة وتقدم بها أوراق العمل المختلفة فى هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها ومنظماتها الدولية المتخصصة. ولكنها تكتسب أهمية أكبر لأنها لغة القرآن الكريم، ولذا عنى اللغويون والنحاة العرب منذ أواخر القرن الأول الهجرى - بدراسة اللغة الفصحى ليتمكنوا من فهم ما يغمض عليهم من مفردات القرآن الكريم، من غريب ألفاظه وعمق بيانه اللغوى وإعجازه ليكون آية لفصحاء العرب بأنه كلام الله لتكون المعجزة الإلهية التى حملها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جنس ما اشتهر به العرب آنذاك من فصاحة، فجاء القرآن الكريم أكثر منهم فصاحة وإعجازا فى اللغة وتراكيبها وقوة بيانها. وإن من يتأمل معجزات الخالق جل وعلا لأنبيائه ورسله يجد أنها كانت دوما من جنس ما اشتهرت به أقوامهم، إذ نجد سيدنا موسى عليه السلام، اشتهر قومه بالسحر فجاء موسى بعصاه ليبطل سحرهم ويتفوق عليهم كما جاء عيسى عليه السلام بفضل من الله بمعجزات عن شفاء المرضى وإبصار المكفوفين وإحياء الموتى ليتفوق على بنى قومه وهكذا.

ولذلك كان الناس فى صدر الإسلام، يسألون كبار الصحابة عن تفسير آيات القرآن الكريم وغريب ألفاظه. وقد اشتهر الصحابى «عبد الله بن عباس» رضى الله عنه بتفسيره للقرآن الكريم، واستخدامه للشعر العربي للاستشهاد به على معنى بعض الألفاظ والمفردات الغريبة عليهم. وقد جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها فى كتاب مستقل باسم : «سؤالات نافع بن الأزرق»، ونشرها الدكتور / إبراهيم السامرائى - ببغداد عام ١٩٦٨ ، كما ذكرها جلال الدين السيوطى فى كتابه «الإتقان فى علوم القرآن[١]»

وفى ضوء فهمنا السابق لأهمية اللغة العربية الفصحى ومكانتها الدينية لدى المسلمين بصفة خاصة بوصفها لغة القرآن الكريم، نجد أنها منيت فى العصر الحديث بخصوم حاقدين يقودون حملة شرسة ضدها تستهدف القضاء عليها وإبادتها فيرمونها بأنها تتسم بالصعوبة والتعقيد، وعدم قدرتها على مجاراة

(١) رمضان عبد التواب : بحوث ومقاولات فى اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٢، ص١٤١-١٤٢ .



العصر، وجمودها وانتمائها إلى عصور قديمة بادت وانقرضت، والدعوة إلى إحلال اللهجات العامية محلها.

وتمثل تلك الاتهامات تحديات خطيرة تواجه اللغة العربية الفصحى، لكنها للأسف الشديد وجدت مؤيدين لها داخل الوطن العربى الكبير ممن تأثروا بتلك الدعاوى الباطلة، ورغم أنهم قلة محدودة ـ إلا أننا سوف نفند مقولاتهم ونرد عليها متتبعين جذور هذه الحملة وقادتها بالنقد والتحليل ـ فيما يلى:-

١ـ الدعوة إلى إحلال اللهجة العامية محل اللغة العربية الفصحى: تكمن خطورة هذه الدعوة فى إمكان القضاء على اللغة الفصحى ومحوها واندثارها تماما إذا تبنى الأدباء والمفكرون اللهجات العامية محلها، وهو ما حدث للغة اللاتينية فى العصور الوسطى، حيث كانت هذه اللغة هى لغة الأدب فى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا فى تلك الفترة حتى تحول عنها الأدباء والشعراء وبدأوا فى استخدام اللهجات العامية الإيطالية والفرنسية والأسبانية التى انبثقت عن اللغة الأم وهى اللغة اللاتينية ـ مما أدى الى إنقراضها، وانسلاخ العاميات عنها. ويوضح لنا «ماريو باى» وهو أحد علماء اللغة البارزين نشأة هذا الاتجاه، ورأيه فيه ـ بقوله:-

«شق الجيل الجديد من اللغويين فى أمريكا، عصا الطاعة على النحو التقليدى، وبدأوا يدعون للمبدأ الذى ينادى بأن الصيغة التى يستخدمها الناس، هى الصيغة اللغوية الصحيحة. وقد صار شعار هذه المدرسة أن اللغة الحقيقية هى اللغة التى يستخدمها الناس فعلا، لا اللغة التى يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها».

وينتقد «ماريو باى» هذا الاتجاه بشدة مستنكرا إياه بقوله :-

«إن الصيغة التى يستخدمها الناس، لها مشكلاتها الخاصة بها، فأية صيغة هذه؟ ومن الذى يستخدمها؟ حتى فى الدول التى يظهر للناس أنها تستخدم لغة موحدة، هناك مستويات مختلفة لاستخدامها، كما تختلف اللهجات المحلية، باختلاف المناطق التى تستخدمها[1]».

وعلى ذلك فإن الدعوة إلى إحلال العامية بلهجاتها العربية المختلفة محل اللغة العربية الفصحى، هى دعوة إلى القضاء على اللغة الأم لغة القرآن الكريم، ولغة الأدب، وتدمير للرباط المشترك بين شعوب العالمين الإسلامى والعربى

(١) ماريو باى : لغات البشر، ترجمة : صلاح العربى، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٧٠، ص١٠٨ .



بوصف اللغة العربية الفصحى هى اللغة المشتركة بينها على عكس اللهجات العربية المتباينة مثل لهجات أهل الشام، والخليج العربى، ومصر، والمغرب، والعراق، والسودان وغيرها.

٢ـ الادعاء بصعوبة تعلم اللغة العربية الفصحى لتعقد قواعدها، وكثرة الشذوذ فى مسائلها وقضاياها، مما يجعلها ثقيلة فى استخدامها والتحدث بها.

ولهذا دعا المعترضون إلى استخدام العامية، وهجر الفصحى أو خلطها بالعامية. وهذا الادعاء غير صحيح لأن هناك الكثير من اللغات الحديثة كاللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، لها قواعد لغوية معقدة، كما تكثر فيها الأفعال الشاذة فى تصريفها، والأسماء والجمع بأشكال خاصة، مما يستلزم من الدارسين لها جهدا كبيرا فى حفظها عن ظهر قلب دون قاعدة واحدة تجمعها. ويظهر ذلك بصفة خاصة فى اللغة الألمانية، إذ إن كل كتاب فى تعليم قواعد الألمانية، تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة:-

« احفظ مع كل اسم أداة تعريفه وصيغة جمعه، لأنه ليست هناك قاعدة لذلك[1]. »

وإذا ما قارنا قواعد اللغة العربية الفصحى وسلاستها، واطرادها النسبى عن غيرها من اللغات لعرفنا عدم صدق تلك المقولات عن تعقيد قواعدها اللغوية وصعوبة تعلمها أو التحدث بها، وأدركنا أنها محض افتراءات يراد بها هدم فصحى العربية وزوالها من قبل أعدائها.

ويعتبر هذا تحديا آخر يواجه الفصحى لمحاولة النيل منها لمناصرة اللهجات العامية العربية بغية إحلالها محلها. وعلى الرغم من أن استقراء التاريخ على مر العصور قد أكد لنا فشل محاولات الاستعمار فى شتى أرجاء الأمة العربية، أن يطمس لغتها الرسمية وأن يستبدلها بلغته سواء فى مصر أو الجزائر أو الشام، إلا أننا يجب أن نكون على درجة عالية من اليقظة فى المحافظة على اللغة العربية الفصحى والتمسك بها لغة للأدب والشعر وقبل كل ذلك لغة للقرآن الكريم.

٣ـ القول بأن اللغة العربية الفصحى قاصرة عن استيعاب علوم العصر، لأنها على حد زعم المناهضين لها ـ لغة سلفية جامدة : يمثل هذا القول تحديا آخر فى سلسلة الافتراءات التى يرددها أعداء الفصحى.

ويكفى للرد على ذلك، ان نستشهد بآراء عدد من علماء اللغة، فنجد أن «ماريو باى» يرى أن اللغة ـ أى لغة ـ هى «كالنقود تعتبر رمزا أو مجموعة من

(١) رمضان عبد التواب : بحوث ومقالات فى اللغة ، مرجع سابق ، ص١٦٧



الرموز Symbols الثقافية التى تعارف عليها المجتمع، تكتسب قيمتها الحقيقية من الصفة التى يضفيها أو يخلعها عليها المجتمع الذى يتعامل بها.[1]»

ولهذا فإن قيمة اللغة هى تمسك أهلها بها، ورواجها بينهم، وتداولها على ألسنتهم، واحترامهم إياها، وثقتهم فى قدرتها على حمل أفكارهم ومعتقداتهم والتعبير عنها، وعن انفعالاتهم ومشاعرهم، واستخدامها فى كافة شئون حياتهم.

وإذا حللنا هذا القول لوجدنا أن اللغة العربية الفصحى قد استطاعت أن تقف شامخة بين لغات العالم قديمها وحديثها لفترة تزيد عن أربعة عشر قرنا حتى الآن، كما نجحت فى تعريب الكثير من فروع المعرفة الحديثة وترجمتها إلى اللغة العربية الفصحى.

وفى هذا المجال تقوم مجامع اللغة العربية فى العالم العربى بدور بارز، حيث تأسس أول مجمع للغة العربية بالقاهرة منذ ستين عاما مضت، تبعه عدد من المجامع اللغوية فى كل من دمشق، وعمان، والدار البيضاء، وتونس، والخرطوم - ويضم هذه المجامع اللغوية اتحاد واحد، يعرف باتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

وفى إطلالة على نشاط هذه المجامع اللغوية العربية، نجد أن عام ١٩٩٣ وحده قد شهد إقرار اتحاد تلك المجامع للمصطلحات العلمية والفنية فى مجالات العلوم الطبيعية البحتة، والعلوم الإنسانية المختلفة. وقد بلغت جملة المصطلحات التى أقر تعريبها أربعة آلاف ومائتين واثنين وستين مصطلحاً، منها ثلاثة آلاف ومائة وعشرة مصطلحات فى العلوم الطبيعية على النحو التالى:-

فى مجال الطب ألف ومائتا مصطلح، وفى مجال الرياضيات خمسمائة وتسعة وستون مصطلحا، وفى الجيولوجيا أربعمائة وثلاثة وثمانون مصطلحا، وفى علوم الأحياء والزراعة أربعمائة وخمسة وثلاثون مصطلحاً، وفى الفزيقا مائتان وواحد وأربعون مصطلحا، وفى علوم الحاسوب (الحاسب الآلى) مائة واثنان وثمانون مصطلحاً.

(١) ماريو باى: لغات البشر، مرجع سابق، ص٢٢ .



وفى مجال العلوم الإنسانية أقر اتحاد المجامع اللغوية العربية تعريب ألف ومائة وأثنان وخمسين مصطلحا ـ على النحو التالى :-

فى القانون أربعمائة واثنان وخمسون مصطلحا، وفى التاريخ والآثار مائة وخمسة وستون مصطلحا، وفى الجغرافيا مائة وخمسة وستون مصطلحا أيضا، وفى الموسيقى مائة وواحد وخمسون مصطلحا، وفى التربية مائة وأحد عشر مصطلحا، وفى علم النفس مائة وثمانية مصطلحات.

هذا وقد أقام اتحاد المجامع اللغوية العربية العلمية ندوة بتونس خلال عام ١٩٩٣ لتعريب العلوم الطبيعية[1]. ومن ذلك يتضح أن اللغة العربية الفصحى ليست لغة جامدة سلفية، تعجز عن استيعاب علوم العصر ـ كما يدعى أعداؤها ـ بل هى لغة حية متطورة قادرة بثرائها اللغوى على مجاراة وملاحقة كل العلوم الحديثة. وإذا كان الجهد السابق لمجامع اللغة العربية عن عام واحد، قد أثار الانتباه بما فيه من حصاد لغوى يبرهن على عظمة الفصحى العربية، فإنه أيضا يرد بقوة على تلك الافتراءات.

كما يؤكد العلامة «فندريس» على زاوية أخرى فى هذا المقام، عن أولئك الذين يتهمون لغاتهم بالقصور عن الوفاء فى التعبير عن أفكارهم ـ فيقول:-

«الواقع أننا لا نعلم إطلاقا لغة قد قصرت عن خدمة إنسان لديه فكرة يريد التعبير عنها، لهذا يجب ألا ننصت إذن إلى أولئك المؤلفين العاجزين، الذين يُحملون لغاتهم مسئولية النقص فى مؤلفاتهم، لأنهم هم المسئولون، بوجه عام عن هذا النقص[2]».

ولعل هذا القول يفسر لنا ما يذهب إليه بعض من تلقوا تعليمهم فى الدول الغربية، وتأثروا بلغاتها، وتعثرهم اللغوى فى التعبير بلغتهم العربية فى كتابة مؤلفاتهم، مما جعل تلك القلة تشايع أعداء العربية الفصحى وتؤيدهم فى ادعاءات قصورها عن الوفاء بالتعبير عن أفكارهم، وهو فى حقيقة الأمر قصور من

---

(١) إبراهيم الترزى : حديث عن إنجازات اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لعام ١٩٩٣، لصفحة الأدب بملحق جريدة الأهرام القاهرية، القاهرة، ٣١ ديسمبر ١٩٩٣، ص٨ .

(٢) فندريس : اللغة، تعريب : عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مرجع سابق، ص٤٢١ .



هؤلاء المتغربين Westernized فى عدم إلمامهم وتمكنهم اللغوى للعربية الفصحى من البداية، فالعيب فيهم وليس فى العربية الفصحى، والأدلة كثيرة على نجاح العديد ممن درسوا فى الخارج فى تقديم فنون العلم والمعرفة الحديثة لقراء العربية بأساليب رصينة، بالفصحى، بل وترجموا كثيرا من أمهات الكتب فى شتى صنوف المعرفة إلى العربية، ببلاغة واقتدار حتى لا تشعر أنك أمام أعمال علمية مترجمة عند قراءتك لها.

٤ـ انتقاد الخط العربى، كوسيلة للكتابة فى اللغة العربية الفصحى، وارتباطه بعدد من الصعوبات تعوق تعلم الكتابة عند الصغار أو الراغبين من الأجانب فى تعلم العربية وكتابتها.

ورغم التسليم بوجود بعض الصعوبات فى تعلم الكتابة بالعربية مثل وضع الهمزة وموقعها في الكلمة، فتارة تكتب على السطر، وأخرى تكتب على الألف مثل «سأل». وتارة أخرى على الواو مثل «يؤمن»، ورابعة تكتب على الياء مثل «سئل».

كما توجد مشكلات أخرى مثل الحروف التى تكتب ولا تنطق مثل اللام الشمسية، والألف التى توضع أمام واو الجماعة. وحروف تنطق ولا تكتب، كحروف المد فى كلمات : هذا وهذه، وهؤلاء، وذلك وأولئك، ولكن، وغيرها. وكذلك الفروق بين الحروف باستخدام النقط مثل حروف التاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والراء، والزاى، والفاء، والقاف وغيرها ـ إلا أن كل تلك الصعوبات والمشكلات يمكن التغلب عليها.

وبذلك فإن الخط العربى لا يخلو من بعض العيوب، ولكننا لا نوافق أعداء العربية الفصحى من الأجانب ومن شايعهم من أبنائها على هجر هذا الخط واستبداله بأسلوب آخر للكتابة سواء بالعامية العربية أو باستخدام الخط اللاتينى أو أى خط آخر ـ لأن فى ذلك قضاء على اللغة العربية الفصحى ذاتها.

ولقد شغلت مشكلات الخط العربى بال علماء العربية الفصحى منذ القدم وسعوا إلى إصلاحها، فنجد «أبو الأسود الدؤلى» يهتم بقضية علامات التشكيل ـ فجعل الفتحة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة نقطة على يسار



الحرف. وكانت هذه النقط تكتب بحبر مخالف لنقط الباء والتاء والثاء وغيرها من الحروف المنقولة حتى لا تختلط بها.

ثم جاء «الخليل بن أحمد» فوضع رموز الشكل المعروفة بالضمة، والفتحة، والكسرة، كما وضع علامات السكون، والشدة، والمدة[1]. ولم تتوقف المجامع اللغوية العربية عن التفكير فى حلول علمية لتبسيط تلك الصعوبات.

بيد أن مشكلة الكتابة واستخدام الخط ليست قصرا على اللغة العربية الفصحى فحسب، بل إنها مشكلة عدد من اللغات، فنجد اللغتين الفرنسية والإنجليزية ـ على سبيل المثال تعانيان من مشكلات مماثلة، حيث توجد بهما كثير من الحروف التى لا تنطق أو ما تسمى بالحروف الساكنة وهى تكتب ولا تنطق. كما تعانى الفرنسية بشدة من عدم نطق نهاية كثير من الكلمات رغم كتابة حروفها، وكثرة تصرفات الأفعال الشاذة التى لا تخضع للقواعد اللغوية.

ورغم ذلك يرفض علماء اللغة الفرنسية، وعلى رأسهم «فندريس» أى محاولة لاستبدال الخط الفرنسى أو إجراء عملية إصلاح شاملة له ـ فيقول: -

«إذا قمنا بإصلاح شامل له دفعة واحدة، نكون قد استبدلنا مكان اللغة المكتوبة التى تعودنا عليها، لغة كتابية أخرى جديدة، ويترتب على هذا أن نطرح وراء ظهرنا دفعة واحدة جميع المطبوعات التى نشرت بالفرنسية منذ قرون، وهو أمر مستحيل، هذا إلى جانب أن مثل ذلك العمل، يوجب على جيل أو جيلين من الفرنسيين، أن يتعلموا لغتين بدلا من لغة واحدة. وهناك من العادات والتقاليد الأدبية، ما لا يستطيع المرء أن يغيره بجرة قلم واحدة[2].»

أما من يدعون إلى هجر الخط العربى تماما بدلا من إصلاح عيوبه، واستبداله بالخط اللاتينى، فإنهم يسعون بذلك إلى هدم اللغة العربية الفصحى بأكملها، لأن هذا يعنى قطع صلة الأجيال الحاضرة بالتراث الكبير الذى خلّدته العربية الفصحى، وكذلك الوقوع فى خطأ ازدواجيه اللغة إذا أردنا أن نكون على اتصال بالتراث اللغوى وربط الماضى بالحاضر والمستقبل.

---

(١) رمضان عبد التواب. بحوث ومقالات فى اللغة، مرجع سابق، ص١٧٥ ـ ١٧٧ ـ

(٢) فندريس : اللغة، مرجع سابق ، ص٤١٣



وقد وقعت اللغة التركية فى هذا الخطأ عندما نبذت الخط العثمانى، واستبدلوا به الخط اللاتينى، ففقد الأتراك بذلك صلاتهم بتراثهم اللغوى السابق، وبدت الأجيال الحاضرة كالمعلقة فلا هى أوربية ولا هى شرقية، ولم يحقق لها الخط اللاتينى تقريبها إلى الغرب، فى قليل أو كثير[1]. ولعل هذا يرد على من يتهجمون على الخط العربى وعلى اللغة العربية الفصحى بصفة عامة ليكفوا عن ترديد افتراءاتهم عليها.

خامساً ـ تباين لغات العناصر الأجنبية، وأثرها على لغة الأمة :-

تعتبر اللغة ـ كما سبق القول ـ هى المرآة التى تنعكس عليها خصائص الأمة ومعتقداتها السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية.

ولكن الأمة ـ أى أمة ـ لا يمكنها أن تعيش بمعزل عن الأمم الأخرى، فالاجتماع الإنسانى هو خاصية بشرية، والبشر دائما فى حركة مستمرة.

والأمة مسئولة عن ثقافة المجتمع، والمحافظة عليها وحمايتها من عوامل الغزو الثقافى التى تهدد لغتها بصفة خاصة بوصفها أحد عناصر الثقافة الفاعلة. ولم يعد القول بالدعوة إلى فرض العزلة الاجتماعية على الشعوب ـ حلا مقبولا لتجنب الآثار السلبية التى تصيب ثقافة الأمة عامة، واللغة خاصة، نتيجة للثورة الهائلة فى عالم الاتصالات من ناحية، وارتفاع معدلات الهجرة والحراك الاجتماعى من ناحية أخرى، بالإضافة إلى الغزو الثقافى والإعلامى وأساليب الاتصال المختلفة.

لهذا حفلت كل أمة بعدد من الطوائف والأقليات الأجنبية، تعيش فيها جنبا إلى جنب مع شعبها. وتحمل تلك الطوائف معها ثقافاتها المتعددة، ولغاتها المتباينة. وتتنامى تلك الأقليات والطوائف فى مجتمعات الجذب السكانى، كمجتمعات دول الخليج العربى، ودول أوربا الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا. وتلعب الهجرة الدائمة أو المؤقتة دورا خطيرا فى تغذية التناقض الثقافى بين فئات المهاجرين المتزايدة إلى دول الاستقبال.

وقد بلغ هذا أوج مظاهره خلال حقبة الازدهار النقطى فى منطقة الخليج العربى، أو ما تسمى بمرحلة الطفرة النفطية والتى يمكن حصرها فى الفترة

(١) رمضان عبد التواب : نفس المرجع السابق، ص١٧٨ .



الممتدة من ١٩٧٥ حتى عام ١٩٨٢، حيث شهدت تلك الفترة تحولا واضطرابا كبيراً في سوق العمل الخليجى لا تزال مصاحباته الثقافية والاجتماعية واضحة للعيان، إذ شغلت العمالة الأجنبية الوافدة لدول الخليج العربى القطاع الأعظم لقوة العمل، بينما تولت العمالة الوطنية جزءا بسيطا من الإجمالى العام للقوى العاملة حيث قدرت فى عام ١٩٨٠ بنسبة ٩,٨٪ فى الإمارات العربية المتحدة، ٢١,٤٪ فى الكويت، وفى عام ١٩٨١ مثلت هذه العمالة حوالى ١٦٪ فى قطر، ٤١٪ فى البحرين[1].

ورغم انحسار فترة الازدهار النفطى لدول المنطقة الآن بعد أن انتهت مرحلة بناء البنية الأساسية، وتزايد الاهتمام برفع نسبة العمالة الوطنية إلا أن ارتفاع نسبة العمالة الأجنبية اللازمة لمشروعات التنمية الشاملة لا يزال حقيقة واقعة، وما يعنينا فى هذا المقام هو رصد الآثار الثقافية واللغوية لتلك العمالة على اللغة العربية وهى اللغة الوطنية السائدة بالمنطقة. فلقد أدى تزايد العمالة الأجنبية الوافدة بلغاتها المتعددة، ولهجاتها المتباينة مثل الإنجليزية، والهندية، والأوردية، واليابانية، والفارسية، والتركية، وغيرها ـ إلى تحريف كثير من مفردات اللغة العربية حتى من أبناء هذه الدول فى محاولة لإحداث التقارب اللغوى وتحقيق التواصل بينهم وبين هؤلاء الأجانب من العمالة الوافدة.

وقد بالغ بعض الباحثين في تصوير المخاطر التى تتعرض لها الثقافة العربية من جراء ذلك، وأبدوا تخوفهم من «الابتلاع الثقافي»، ورهبة الكمونات العرقية ـ على حد قولهم[1] ـ إلا أننا لا نؤيد تلك المبالغة، ولكننا نسلم بوجود آثار سلبية على اللغة العربية نتيجة لعملية الصراع اللغوى الدائرة بينها وبين تلك اللغات واللهجات الأجنبية المتعددة.

ويستشهد هؤلاء على مخاوفهم من الازدياد المستمر للعمل الآسيوى بالمنطقة، بأنه أخذ يؤثر بشكل ملحوظ على مستوى أداء اللغة العربية فى هذه البلدان، كما باتت بعض اللهجات الهندية ـ على سبيل المثال ـ أكثر انتشارا أو استخداما من اللغة العربية.

---

(١) باقر النجار : آثار لعمالة وافدة أم عواقب لمأزق تنموى ـ حالة الأقطار العربية الخليجية المصدرة للنفط ـ فى ـ مجلة المستقبل العربى، ع ٨٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر ١٩٨٥، ص١٦٦ ـ ١٧٧ .



ويسوق هؤلاء بعض الشواهد على ذلك، حيث أصبحت توجد تجمعات آسيوية تشبه أحياء الجيتو Ghetto التى يسكنها فقراء المدن ـ تخدم فقط الحالية الهندية، كما تحولت بعض الأحياء القديمة فى هذه البلدان إلى جيتو يسكنها الغالبية من الآسيويين.

فالكثرة العددية للعمالة الأجنبية وتعدد استخداماتها، جسدت بالفعل هذه الخطورة التى تساهم ـ كما يراها البعض ـ مع العناصر الأخرى فى تجسيد الاغتراب الثقافى فى هذه المنطقة من الأمة العربية.

ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله :-

« نحن هنا فى مواجهة صورة جديدة للاغتراب داخل الوطن العربى، كأننا لم نكتف بالانسحاق الذى نعيشه أمام النموذج الغربى، ففتحنا الأبواب إلى عناصر إضافية تسهم فى تعميق هذا الاغتراب وتشويه الثقافة العربية[٢]. » وتتضافر مع عامل الهجرة الأجنبية الوافدة لمنطقة الخليج العربى، عدة عوامل أخرى مثل دور المربيات الأجنبيات فى عملية التنشئة الاجتماعية وأثرهن فى تعليم الأطفال للغة والثقافة العربية، ودور الغزو الثقافى والإعلامى وأساليب الاتصال وأثرها فى الصراع الثقافى واللغوى وانعكاساته على اللغة العربية. وقد أكدت عدة بحوث ودراسات الآثار السلبية لدور المربيات الأجانب فى تكوين الطفل لغويا وثقافيا خلال عملية التنشئة الاجتماعية[*].

---

(١) حيدر إبراهيم على : آثار العمالة الأجنبية على الثقافة العربية، فى : ندوة العمالة الأجنبية فى اقطار الخليج العربى، الكويت، المعهد العربى للتخطيط بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، خلال الفترة ما بين ١٥-١٨ يناير ١٩٨٣، ص٢٥٧ .

(٢) نفس المرجع السابق، ٢٧١

(*) لمزيد من التفاصيل ـ انظر :-

أ ـ جهينة سلطان العيسى التأثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة ـ فى ـ ندوة العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى، الكويت، المعهد العربى للتخطيط بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣، ص١٨٠

ب ـ حنان شاهين الخلفان الخدم والمربيات الأجنبيات وأثرهن على الأسرة البحرينية. ـ فى ـ دراسات وقضايا من المجتمع العربى الخليجى، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، ع٥، ١٩٨٥، ص٨٩ .

جـ ـ وزارة العمل والشئون الاجتماعية (إدارة الشئون الاجتماعية). أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الاسرة فى البحرين، المنامة، قسم التخطيط والبحوث. ١٩٨٣ .

د ـ عصام محمد عبد الجواد: التنشئة الاجتماعية والتوافق الدراسى ـ دراسة عن تأثير المربيات والخدم الآسيويين فى التوافق الدراسى للتلاميذ فى دولة الامارات العربية المتحدة، فى ـ دراسات وقضايا من المجتمع العربى الخليجى، المنامة، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، ع٥، ١٩٨٥، ص١٦٣

ويشير أحد هذه البحوث إلى أحد الجوانب الكمية للمشكلة بأنه طبقا للنتائج الإحصائية لتعداد السكان بالبحرين فى عام ١٩٨١، فإنه ٤٠٪ من الأسر البحرينية لديها خادمات ومربيات للأطفال(٣).

كما تشير تلك البحوث والدراسات إلى أن الطفل يلتقط عن طريق مربيته أو خادمته لغتها وألفاظها وثقافتها من خلال القصص والأغانى التى تلقنها له، على حساب لغتنا العربية التى يجب أن يتعلمها الطفل العربى. بل إن محاولة بعض المربيات والخادمات الأجنبيات التحدث باللغة العربية للطفل، فإنها تقدم له نموذجا سيئا للعربية الركيكة، وحتى إذا ما حاولت تدريبه على النطق، فإنه سوف يفرز مفردات أشد تحريفا للغة العربية مما يؤدى إلى تشوية عملية تعليم الطفل للغته.

وعلى ذلك فإن وجود المربية الأجنبية التى لا تجيد التواصل باللغة العربية يشكل عائقا فى سبيل النمو اللغوى عند الطفل، وفى سبيل نموه الفكرى والاجتماعى والثقافى من خلال لغته الوطنية. هذا بالإضافة إلى أن محاكاة الطفل لها فى مفردات لغتها، وطريقتها المفككة فى بناء الجمل والعبارات يؤدى إلى فرض قيود على النمو اللغوى للأطفال، وعقد ألسنتهم على طرق خاطئة فى التعبير وشعورهم بالعجز عن التفاعل بلغتهم الوطنية بلسان عربى صحيح، وتعثرهم وظهور العديد من عيوب النطق والكلام مما قد يفقدهم الثقة بأنفسهم وتحقيقهم لذاتهم. وقد أكدت ٧٧,٤٪ من الأسر البحرينية التى تم بحثها أن لغة المربية تؤثر على سرعة اكتساب الطفل للغة العربية، مما يؤدى إلى تأخر الطفل فى نطق الحروف والمفردات العربية، وعادة ما ينطق الأطفال العربية بلكنة المربيات. بل ذهبت بعض الدراسات إلى الاعتقاد بأن الاستخدام الكبير للمربيات الآسيويات قد ساهم فى انتقال قيم أخلاقية غير مستحسنة، وفى إحداث شروخ فى بنيان العائلة الخليجية، وفى تطعيم الطفل بثقافة غير الثقافة العربية(٢).

---

(١) حنان شاهين الخلفان: الخدم والمربيات الأجنبيات وأثرهن على الأسرة البحرينية، مرجع سابق، ص١١٩

(٢) جهينة سلطان العيسى: التأثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة مرجع سابق، ١٨٠ .



أمـا عن دور الغـزو الثقـافى والإعـلامى وأسـاليب الاتصـال المخـتلفـة، ومردودها على الثـقافة العـربية ومايصـاحب ذلك من صراع لغوى وثقـافى ـ فإن الأمر بات خطرا محـققا بعد أن شهـد العالم فى العقدين الأخيـرين منذ منتصف السبعينات وحتى منتصف التسعينات من هذا القرن ثورة هائلة فى عالم الاتصالات والغزو الثقافى والاعلامى.

إذ لم يعد الأمر قاصرا على دولة واحدة أو عدد محدود من الدول الصناعية تتـولى تصدير المـواد الإعلامـية وبثـها للدول الأخـرى، حيث كـانت الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وألمـانيا الغربية، وروسيا تأتى فى مقدمة الدول الصناعية المـصدرة لتلك المواد ـ بل أصبـحت المشكلة أكثر عمـقا وتأثيرا بعد الطفرة الهـائلة فى توظيف الأقمار الصناعيـة لأغراض البث الإعلامى الدولى المباشر واستقباله فى كافة أنحاء العالم.

ولهذا باتت المنـطقة العربيـة بلغتهـا وثقافتـها تتعـرض لتيارات ومـوجات متلاحقة ليل نهـار من ثقافات ولغات متعددة تحمل كل الصـراعات العنيفة والغزو الفكرى والإعلامى للثقـافة واللغة فى آن واحد، ولم يعد بمقـدور الدول العربية ـ شأن غيرها من دول العالم الأخـرى المستقبلة للمواد الإعلامية والثـقافية الدولية ـ أن تتـحكم فى انتقـاء تلك المواد التى تعـرضهـا لشعـوبها فـى أجهزة ووسـائل إعلامـها، كـما كـانت تفعل من قـبل بل أصبحت عـاجزة عن منع هذا الـتدفق الإعلامى الدولى المتعدد الذى طوق شعوب العالم.

ولقـد كـان العـالم «أوليـفـر بويد باريت O. Boyd-Barret » هو أول من استخـدم مصطلح «إمبرياليـة وسائل الاتصال» Media Imperialism فى مقال له بهذا العنوان.

ويشير هذا المفـهوم إلى تلك العملية التى تجعل مقـومات وسائل الاتصال مثل بنائها، وتوزيعها، ومضمونها فى أية دولة من الدول، عرضة لضغوط خارجية جوهرية تمارسـها مصالح دولة أخرى أو مجمـوعة دول دون أن يكون هناك تبادل متعادل لعـملية التأثير من جانب الدولة التى تستقـبل المؤثرات. وجدير بالذكر أن غياب عنصر التـبادلية هذا من جانب الأمة التى يقع عليهـا التأثير، إنما يرجع إلى عاملين متكاملين هما عامل الغزو الثقافى Cultural Invasion من القوة الخارجية،



وعامل انعدام التوازن والتكافؤ فى مصادر القوة بين طرفى الإرسال والاستقبال، أو بالأحرى بين الدولة المرسلة للتدفق الثقافى والإعلامى وبين الدول المستقبلة له.

وقد اعتبر وجود هذين العاملين مبررا لاستخدام مصطلح «الإمبريالية» أو الاستعمارية. وبذلك فإن قضية «إمبريالية وسائل الاتصال» تندرج تحت مجال أشمل منها بكثير وهو فحص الإمبريالية ذاتها كعملية للسيطرة والتبعية بين الدول، بل إن بعض العلماء مثل «بيتر جولدنج» يرون أن إمبريالية وسائل الاتصال لا تقتصر خطورتها على التبعية الاقتصادية والسياسية من جانب الدول المستقبلة فحسب، بل تتعداها لتشمل أيضا التبعية الثقافية من خلال الإمبريالية الثقافية(١).

وإزاء هذا الغزو الثقافى والإعلامى المتسارع والمتصارع فى الوقت ذاته أصبحت كثير من الثقافات ومنها الثقافة العربية فى حلبة الصراع تقاوم بضراوة تلك الهجمات الشرسة من كل صوب، وتعرضت اللغة العربية معها للصراع اللغوى المتعدد من قبل اللغات الأجنبية الوافدة إليها سواء عبر إمبريالية وسائل الاتصال أو الإمبريالية الثقافية الموجهة نحوها. وقد أدى هذا الوضع إلى وهن للغة العربية، بل وتدهورها كلغة قومية «مما أدى إلى سيطرة لغات الثقافة الغربية الجديدة (كالإنجليزية مثلا) على حياتنا الثقافية، لدرجة باتت هذه اللغات تعين الفرد فى حياته العملية أكثر مما تعينه لغته القومية. كما سيطرت اللهجات الدارجة المعبرة عن واقع التجزئة، والانفصال، والتى يعمل تكريسها على تعميق مزيد من الهوة بين ثقافتنا القومية وانتمائنا الاقليمى والمحلى(٢).»

وتمثل عملية الغزو الثقافى والإعلامى وإمبريالية وسائل الاتصال تحديا جديدا يواجه اللغة العربية وغيرها من اللغات الحديثة. وقد نجحت اللغة العربية فى التصدى إلي حد كبير لكثير من آثار الصراع اللغوى وذلك باستيعاب

(١) سامية محمد جابر: الاتصال الجماهيرى والمجتمع الحديث، مرجع سابق، ص٢٦٤-٢٦٧

ولمزيد من التفاصيل انظر :-

- Curran, James, Mass Communication as a Social Force in History, in; Mass communication and society, The open University Press, 1977.

(٢) إبراهيم عبد الله غلوم: الثقافة وإشكالية التواصل الثقافى فى مجتمعات الخليج العربى نيقوسيا - قبرص، دار دلمون للنشر، ١٩٩٠، ص ٧٦.



المصطلحات الجديدة فى التقنية، وقبول التجديد فى اللغة وطرائق التعبير والإبداع.

ولعل الشاعر والفيلسوف المهجرى جبران خليل جبران، أن يكون أسبق أدباء العصر فى الدعوة إلى التجديد اللغوى. فالشاعر عنده هو كل مجدد يضيف جديدا إلي اللغة، ولونا جديدا إلى ألوانها، وشراعا جديدا إلى أشرعتها، وليس ذلك الذى يكون همه تقليد ما مضى وترسم خطى السابقين عليه بالمحاكاة واقتفاء الأثر.

فالمبدع الحقيقى - فى اللغة وباللغة - يغامر فى طريق لم يُعبدها سواه، وينشر أجنحته على آفاق لم يكتحل بنورها غيره، ويعود بكنوز جديدة تضاف إلى ما تحويه لغتنا الجميلة من كنوز.

والدعوة إلى التجديد للغة العربية يجب ألا تخيفنا لأنها محكومة بضوابط تحرص على المحافظة على هوية الفصحى العربية، فهناك سدنة المجامع اللغوية فى العديد من الأقطار العربية وجهدهم الحريص على ألا تفقد العربية المعاصرة شخصيتها الأصلية والمتميزة وسط طوفان الدخيل، وبين الانفتاح على جديد يغنى العربية ويثريها[1].

---

(١) فاروق شوشة: فصحى عصرية - فى مجلة العربي ، الكويت، وزارة الإعلام، ع٤٢٣، فبراير ١٩٩٤، ص١٧٦-١٧٧ .



الفصل السابع

اللغة والثقافة

أولا- ماهية الثقافة.

ثانيا- اللغة كأحد عناصر الثقافة.

ثالثا- اللغة والتراث الثقافي.

رابعاً- اللغة والعموميات الثقافية.

خامسا- اللغة والفكر.

سادسا- المجموعات والعائلات اللغوية.

أولا ـ ماهية الثقافة :

للثقافة ـ كما سبق القول عند تناول المدخل الأنثروبولوجى فى دراسة اللغة ـ مدلول خاص عند علماء الأنثروبولوجيا الثقافية. ويستخدم الأنثروبولوجيون مفهوم الثقافة على أنه أسلوب الحياة الذى يميز مجتمعا ما عن غيره من المجتمعات، فالثقافة تشمل جميع أنماط السلوك المكتسبة، سواء أكانت تمثل علاقة الإنسان بالمادة أم علاقته بغيره من البشر أم علاقته بالأفكار والرموز. وبالتالي فإنه يمكن تمييز ثلاثة قطاعات متداخلة للثقافة وهى القطاع المادى أو التكنولوجى، والقطاع الاجتماعى، والقطاع الفكرى والرمزى[1]. وعلى الرغم من بساطة هذا المفهوم، لكنه يتميز بالنظرة الكلية الشاملة، بينما ذهب العالم «ميرفى» R. Murphy إلى القول بأن :-

«الثقافة هى أساليب الحياة الخاصة والمميزة للمجتمعات المختلفة، وهى تتضمن وسائل الاتصال بالغير حيث تبرز أهمية اللغة وغيرها من أساليب الاتصال[2].» وقد سبق لنا عرض رأى عدد من العلماء عن مفهوم الثقافة، بدءا من التعريف الشهير للعالم الإنجليزى إدوارد تايلور، ورأى كل من ماكيفر، وبيج، وكروبر وكلاكهون وغيرهم من العلماء. وأبرزنا كذلك مدى اختلاف مفهوم الثقافة عند العامة والخاصة، بل وخلط بعض العلماء بين مفهومى الثقافة والحضارة واستخدامهما بمعنى واحد.

ولكننا هنا نؤكد على أن مفهوم الثقافة يشمل جانبية أساسيين هما :-

الجانب المعنوى: ويضم عناصر متعددة تشمل الدين، واللغة، والقيم، والعادات، والتقاليد، والأعراف، والسنن الاجتماعية. والجانب المادى ـ ويشمل:- الملبس، والمأكل، والمسكن، والتكنولوجيا المستخدمة، وكل ما أنتجه الانسان بوصفه عضوا فى المجتمع.

وبذلك فإن اللغة هى أحد العناصر الفاعلة فى الثقافة. ويؤكد البعض على أن الثقافة هى نسق من الرموز، بينما أوضح كل من سبرادلى Spradley

(١) عاطف وصفى: الثقافة والشخصية، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨١، ص٤٧ .

(٢) R. Murphy: Cultural and Social Anthropology, N.Y., 1988, P.P. 40-41.



ومكردى Mecurdy أن الثقافة ليست هى السلوك الإنسانى فى حد ذاته، ولكنها المعرفة المستخدمة من أجل بناء وفهم هذا السلوك[1].

ثانياً ـ اللغة كأحد عناصر الثقافة:-

تعتبر دراسة اللغة من وجهة نظر علماء الأنثروبولوچيا ذات أهمية خاصة لأنها لا تقتصر على تحقيق غايات نظرية فحسب، بل إن البحوث اللغوية نفسها تؤدى إلى فهم أعمق للمشكلات العرقية الحادة، وإلى فهم البناء الاجتماعى للمجتمعات المختلفة وشبكة العلاقات الاجتماعية بطريقة أفضل.

وقد أكد العالم بواس Boas هذا المعنى بقوله :-

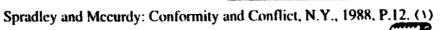
«إن دراسة اللغة تعتبر واحدا من أكثر فروع الدراسة الأثنولوچية أهمية، إذ إن خصائص اللغات المختلفة تنعكس بوضوح فى آراء وتقاليد شعوب العالم، كذلك فإنه لا يمكن فهم طبيعة الثقافات المختلفة والمقارنة بينها لفهم ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف بينها من خلال الدراسات الأثنولوچية إلا عن طريق المعرفة الكافية باللغات السائدة فيها.»

ولكل مجتمع ثقافته ولغته مهما تدنت درجة تحضره، ولكل لغة مجموعة من الصيغ اللغوية ذات معنى تعكس خبرات المجتمع والثقافة السائدة فيه. ولذا فإن المجتمعات التى تختلف فى الثقافة تختلف أيضا فى الفئات التى تتعلق بصيغها اللغوية.

ولا تقتصر وظيفة اللغة بالنسبة للثقافة على مجرد كونها وسيلة للتعبير باستخدام نسق من الرموز عن خبرة ثقافة المجتمع فحسب، وإنما لها وظائف أخرى متعددة تتضح فى قول العالم «سابير Sapir » فى مقال له بعنوان «مكانة اللغويات كعلم» بقوله:-

«إن اللغة مُوجه لنا نحو الحقيقة الاجتماعية، بتوجيه تفكيرنا نحو المشكلات والعمليات الاجتماعية بشدة بوصف اللغة وسيلة للتعبير فى المجتمع، كما تعتبر اللغة أداة لتحقيق التوافق الاجتماعى مع الواقع، كذلك تساعد اللغة فى حل المشكلات المتعلقة بالاتصال والتفكير.

(1) Spradley and Mccurdy: Conformity and Conflict, N.Y., 1988, P.12.

ولكل مجتمع لغته التى تعبر عن واقعه المتميز، فليست هناك لغتان متشابهتان بدرجة كافية تسمح باعتبارهما ممثلتين لنفس الواقع الاجتماعى، فالعوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة هى عوالم متمايزة، وليست مجرد عالم واحد معلق عليه لافتات مختلفة[1]. »

خلاصة القول أن اللغة شأنها شأن الثقافة التى تعد اللغة عنصرا من عناصرها، هى تجريد مستمد من ملاحظة السلوك الإنسانى وتحليله، والسلوك الذى تقوم بدراسته هو الكلام، لذا يمكن أن نُعرف اللغة باختصار بأنها طرائق الكلام الشائعة فى مجتمع ما، ووسائل التعبير البديلة عنه.

واللغات كالثقافات فهى متشعبة بدرجة كبيرة إذ لا يوجد مجتمعان يتشابهان بدقة تامة فى نفس طرق الكلام، كما لا توجد لغات بدائية كما هو الحال فى الثقافات، إذ ان التطور الكبير للغات فى كل مكان بالإضافة إلى تنوعها يؤكد لنا أن اللغة هى واحدة من أقدم المواهب الإنسانية إن لم تكن أقدمها على الإطلاق.

وإذا كانت ثقافة أى مجتمع تعتمد على الرموز، فإن اللغة هى من أكثر العناصر التى تقوم على استخدام الرموز. لهذا كانت اللغة هى الركيزة الاساسية لقيام ثقافة حقيقية، إذ ان اللغة قد واكبت بدء عملية بناء التراث الثقافى. كذلك فإن الدراسات المقارنة بين بعض اللغات تؤدى إلى كشف العلاقة بين تلك اللغات وتصنيفها إلى مجموعات وأسر لغوية تقوم على ملاحظة أوجه التشابه والاختلاف المنتظمة بين الألسن المتعددة.

كما تسعى الدراسات المقارنة للغات إلى تقديم الشواهد المختلفة حول أصل اللغة، والمراحل الأولى فى تطورها، وتسلسلها الزمنى على مر العصور. وقد أكدت تلك البحوث أن اللغة تطورت بطريقة معينة من نظام قديم للصيحات إلى أن عرفت المعانى والرموز المعبرة، من خلال مجموعة من القواعد التى تحكم السياقات المختلفة ذات الأصوات المتمايزة لبناء التعبيرات ذات المعنى. ولقد بدأ نظام الصيحات عند نقطة معينة بالتاريخ الإنسانى فى التطور نحو ظهور

---

(١) رالف بيلز، هارى هويجر: مقدمة فى الأنثربولوچيا العامة ـ ترجمة محمد الجوهرى وآخرين، ج٢، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧، ص٦٦٧-٦٦٨.



اللغـة، حيث عرف الإنسـان فى البداية بعض الـصيحـات مثل صـيحة الـطعام، وصيحة الإحساس بالخطر وغيرها.

ولم يقتصر الأمر على معرفة الإنسان لنظام الصـيحات فحسب كأداة للتعبير البديل عن اللغـة، بل واكب ذلك استخدام كثـير من الثقافـات لأساليب الاتصال غير اللفظـية مثل الإشارات والإيماءات وحـركات الجسم على اختـلاف أنواعها ـ والاستعـانة بها كنظم ثانوية أو فرعيـة للاتصال بين الشعوب التى تتـحدث بلغات مختلفـة أو ألسنة غير مفهـومة لغير المتـحدثين بها، أى أن الإيماءات المـختلفة تستخدم عندما تعجز أو تخفق وسائل الاتصال العليا بالرموز اللفظية غير المحدودة عن نقل التعـبير والـمعنى أو الدلالة بين المتـحدثين، وعلى ذلك فـإن الإيماءات المختلفة ليست بقية من شـكل قديم وبدائى للترميز، بل هى نظم ثانوية للتواصل والتعبير[1].

ولكن تبـقى الحالة الوحـيدة للاسـتثناء هى اسـتخـدام الإيماءات بصـورها المـخـتلفـة كنظام خـاص للاتصـال بين الصم والبكم، حـيث تكون الإيمـاءات والإشارات هنا نظاما أساسيا للاتصال وليس نظاما ثانويا.

واللغة هى التى تصوغ التراث الثقافى الشفاهى والمكتوب لأى مجتمع. كما تعبر اللغة بوصفها أهم وسائل التعبير عن المعانى والرموز التى يحتملها كل عنصر من العناصر الأخـرى للثقافـة، ومدى تأثيره على الثـقافة كـقوة موجـهة للسلوك الإنسانى فى المواقف الاجتماعية المختلفة.

كما تتميز الثقافة بخـصائص أخرى ـ فهى تعتبر أداة للتكيف، وقوة للضبط الاجتـماعى بالإضافـة إلى أنها تكتسب عن طـريق التعليم، وتتمـيز أيضا بتـعدد أنماطهـا المثاليـة والواقعيـة، كما يلعب السلوك الرمـزى دورا هاما فى الثقـافة، وتؤدى مختلف الثقـافات على الرغم من تنوعها وظيفة هامـة إذ تعمل على إشباع احتياجات الأفراد على اختلاف أنواعها.

وبذلك تشترك الثـقافة مع اللغة فى كونهـما تعتمدان على الرموز المـختلفة التى تحمل المعانى والدلالات المختلفة. كذلك فـإن كلا من اللغة والثقافة تعتبر

(١) رالف بيلز، هارى هويجر: نفس المرجع السابق، ص٦٣٨-٦٣٩.



أداة للتواصل بين الأفراد والجماعات على مر الأجيال

ولعل مرد هذا التماثل يكمن فى أن اللغة كما بينا من قبل هى أحد عناصر الثقافة المؤثرة والفاعلة فى صياغة الفكر وحفظ التراث والمعرفة.

ثالثا ـ اللغة والتراث الثقافى:-

لكل ثقافة تراث ثقافى يمثل حصيلة وخبرة الأجيال السابقة ورؤيتها وتجربتها فى كل مناحى الحياة، والتى يتم نقلها من جيل إلى آخر، ويضم هذا التراث كل مقومات وعناصر الثقافة المعنوية والمادية لكل مجتمع.

فالمجتمع هو الوعاء الذى توجد به الثقافة، ويذهب علماء الأنثروبولوجيا الثقافية إلى القول بأن لكل مجتمع أو لكل مجموعة من البشر ثقافتها الخاصة أو الفرعية Sub Culture ومن هنا تبرز أوجه الاختلاف والتنوع الثقافى[1]. ويشتمل التراث الثقافى على شقين: تراث شفاهى وتراث مكتوب. ويتم نقل التراث الشفاهى من جيل إلى آخر من خلال عملية النقل الشفاهى غير المكتوب، فهو ينتقل لفظيا معتمدا على فنون القول التى يتم نقلها للأبناء خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وممارستهم لحياتهم الدراسية والعامة.

ومن أمثلة فنون القول التى تمثل التراث الشفاهى الحكم والامثال الشعبية، وهى مأثورات عامية تعكس حكمة الشعوب وتجربتها فى عبارات محددة مثل:

«إكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها، وخليك مع الكداب لغاية باب الدار، والباب اللى بيجى لك منه الريح سده وإستريح ... إلخ.»، كما تشمل الحكاية الشعبية، والموال الشعبى.

أما التراث المكتوب فهو كل ما تم تسجيله وحفظه عن طريق الكتابة، ونقله عبر الأجيال المختلفة. وإذا كانت اللغة توصف بأنها مجموعة من طرق الكلام فإن الكتابة يمكن أن تعرف بأنها مجموعة من الأساليب الى يقدم بها الكلام بطريقة كتابية، والكتابة اختراع حديث إذا ما قورنت باللغة ـ تحافظ على التراث وتساهم فى حفظه فى مدونات دقيقة كما توفر نظم التعليم والبحث اللازمة لتطور

---

(١) ثروت إسحق: علم الإنسان والدراسة السوسيوأنثربولوجية، القاهرة، مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٨، ص٣٠



المعرفة الإنسانية.

والتراث الثقافى المكتوب فى ظل تطور أساليب التكنولوچيا الحديثة للاتصال لم يعد قاصرا على الكتابة التقليدية، بل تغيرت صور وأشكال حفظ التراث المكتوب بما يتفق مع أساليب التكنولوچيا المتطورة، إذ استخدم الحاسب الآلى (الحاسوب) فى تخزين كثير من المعارف والمعلومات، كما استخدمت الأقمار الصناعية فى البث الإعلامى المباشر عبر وسائل الاتصال المسموعة والمرئية فى نقل الكلمة المسموعة والمكتوبة عبر كل أرجاء الدنيا فى وقت واحد، كما تطورت أساليب الشفرة والاختزال ونقل المعلومات، وبذلك أصبح هذا العصر هو عصر الثورة المعلوماتية أو ما يعرف أحيانا بثورة أساليب الاتصال.

«وحتى بداية القرن الحالى كانت اللغة المكتوبة تفضل اللغة المتحدثة بميزتين: أولاهما أن اللغة المكتوبة يمكن نقلها إلى مسافات بعيدة، وثانيتهما أنها ثابتة يمكن تسجيلها. ولم تكن لغة الحديث بقادرة على تخطى حواجز الزمان والمكان، على حين استطاعت اللغة المكتوبة أن تتغلب عليها[1].»

بيد أن الثورة المعلوماتية التى شهدها العقدان الأخيران أحدثت انقلابا هائلا فى نقل كل من الكلمة المسموعة والكلمة المكتوبة على حد سواء، مما يمثل ثورة اجتماعية شاملة لا تقف عند حدود التغير الاجتماعى المحدود لأمة دون غيرها، بل سوف تظهر آثاره على صعيد التطور اللغوى لمختلف لغات البشر.

رابعاً ـ اللغة والعموميات الثقافية:-

تكتسب الثقافة طابعها المميز ومقوماتها الخاصة من وجود طائفة من السمات الرئيسية العامة التى تسود المجتمع كله وتفرض نفسها عليه والتى تعرف لذلك بأسم «العموميات Universals».

وتتمثل هذه العموميات الثقافية فى وحدة المشاعر ووحدة التقاليد والعادات والممارسات التى يشترك فيها كل أعضاء المجتمع، كالشعائر والمعتقدات الدينية واللغة وما إليها من السمات التى تعتبر أسسا جوهرية فى تكوين المجتمع، والتى

---

(١) ماريو باى: لغات البشر ـ أصولها وطبيعتها وتطورها ـ ترجمة: صلاح العربى، مرجع سابق، ص١١٣.



تحرص عليها الجماعة أشد الحرص وتعاقب كل من يخرج عليها.

بيد أن قطاعات المجتمع المختلفة سواء على المستوى الجغرافى أو الشرائح الاجتماعية المتعددة ـ رغم اشتراكها فى تلك السمات أو العموميات الثقافية، إلا أنها تتميز بسمات ثقافية خاصة لكل منها باسم الخصوصيات الثقافية Specialities.

وإذا كانت العموميات الثقافية هى التي تعطى المجتمع وحدته الثقافية، وتعبر فى الوقت نفسه عن تلك الوحدة، وبذلك تعتبر عاملا من عوامل التكامل والتماسك فى المجتمع، فإن الخصوصيات الثقافية تؤدى إلى ظهور التمايز والتغاير والتفاوت داخل نطاق المجتمع، دون أن يتعارض ذلك مع التجانس الثقافى العام.

والواقع أن هذا التجانس يتوقف إلى حد كبير على مدى التناسب بين العموميات والخصوصيات الثقافية، بمعنى أنه كلما زادت العموميات ظهر المجتمع كوحدة ثقافية متجانسة، كما هو الحال فى المجتمعات الصغيرة الحجم أو المجتمعات المنعزلة، والعكس صحيح فإنه كلما زادت الخصوصيات الثقافية عن العموميات الثقافية بشكل كبير زادت درجة عدم تجانس المجتمع ثقافيا ـ ويظهر ذلك فى المجتمعات كبيرة الحجم، غير المنعزلة ثقافيا.

وإذا ما حللنا العلاقة بين اللغة والعمومية الثقافية من ناحية، وبين اللغة والخصوصيات الثقافية من ناحية أخرى ـ لوجدنا أن اللغة ووحدتها الكلية تظهر بوضوح كأحد العموميات الثقافية فى المجتمع ككل بشكل متجانس فى المجتمعات الصغيرة، بينما تبدو اللغة متمايزة متعددة بتعدد الشرائح الاجتماعية، والمناطق الجغرافية المختلفة فى المجتمع نتيجة لتعدد اللهجات الاجتماعية والمحلية للغة.

ولهذا نجد فى كثير من المجتمعات مثل المجتمع المصرى فإنه على الرغم من تحدث جميع أبنائه للغة العربية، إلا أن لهجاته المحلية تتباين فيما بينها حيث تختلف لهجة أبناء القاهرة عن لهجة أبناء الإسكندرية عن لهجة أبناء الصعيد وغيرهم. وكذلك فى مجتمع المملكة العربية السعودية حيث تختلف لهجات أبناء المنطقة الغربية عن لهجة أبناء المنطقة الوسطى أو المنطقة الجنوبية أو المنطقة



الشمالية وهكذا. بالإضافة إلى تعدد اللهجات الاجتماعية لأبناء الطوائف المهنية، والطبقات الاجتماعية المختلفة.

وينطبق هذا المثال على كافة المجتمعات بلغاتها ولهجاتها المختلفة، لنبرز علاقة اللغة بالعموميات والخصوصيات الثقافية.

«وعلى أية حال، فالذى يهمنا هو أن ندرك أن العموميات الثقافية هى التى تعطى المجتمع تجانسه الداخلى ضد قوى التغاير التى تمثلها الخصوصيات الثقافية. وليس من شك فى أن أية محاولة لدراسة الثقافة التى تسود أى مجتمع من المجتمعات المحلية، مهما صغر حجمه ومهما بدا من تجانس ثقافته وبساطتها، ينطوى على كثير من الصعوبات الناشئة عن ضرورة البحث عما تنطوى عليه السمات الثقافية العامة من بديلات، وما يختفى تحتها من خصوصيات، حتى يمكن فهم الثقافة فى وحدتها وتكامل أجزائها[1].»

ورغم تباين الثقافات إلا أنها جميعا تشترك معا فى العمل على إشباع احتياجات أفراد المجتمع ونقل التراث الثقافى عبر الأجيال المختلفة فى مختلف المجتمعات.

ويفرق العلماء بين ثلاثة أنواع من التفرقة وهى:-

١ـ المعرفة الثقافية: وهى التى نتعلمها ونكتسب فيها الثقافة السائدة فى المجتمع بعناصرها المختلفة المادية والمعنوية، حيث تلخص لنا خبرة الأجيال السابقة للاستفادة منها، بدلا من التعلم من خلال التجربة والخطأ كما يحدث مع الحيوانات والكائنات الحية الأخرى. حيث تفرد الإنسان عليها بنعمة العقل واللغة التى تمكنه من نقل التراث من جيل إلى آخر.

٢ـ المعرفة المشتركة غير الثقافية: وهى نوع من المعرفة يشترك فيها كل الناس رغم اختلاف مجتمعاتهم وثقافاتهم، ويرجع العلماء هذا التشابه المعرفى إلى تماثل التفكير الإنسانى فى كل زمان ومكان نتيجة التكوين العقلى عند جميع البشر، ويعرف هذا الاتجاه فى الكتابات الأنثولوجية باسم مدرسة النشأة المستقلة، ومن أشهر علمائها العالم الألمانى أدولف باستيان[2] A. Bastian.

---

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى مدخل لدراسة المجتمع، جـ١، الإسكندرية، ط٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٩٩-٢٠١.

(٢) أحمد أبو زيد: نفس المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٣) هدسون: علم اللغة الاجتماعى، مرجع سابق، ص١٢٥.



٣ـ معرفة غير مشتركة: وهى معرفة تقتصر على دور الفرد الواحد وعلى ما يبذله من جهد شخصى فى طلب المعرفة والتعليم، وبذلك فهى معرفة غير ثقافية أى أنها تستلزم مبادأة وسعيا من الفرد لطلبها على عكس المعرفة الثقافية التى يسعى المجتمع نفسه إلى إكسابها لأفراده ونقلها إليهم(٣).

واذا أخذنا اللغة نفسها كعنصر ثقافى وطبقنا عليها التحليل السابق فى تصنيف المعرفة الثقافية، لوجدنا أن بعض أجزاء اللغة هى معرفة ثقافية لأن الأسرة والمدرسة والمجتمع بجميع منظماته يتولى مسئولية تعليمها وإكسابها لأفراده بينما تمثل اللغة أيضا معرفة مشتركة بين كل الثقافات والمجتمعات رغم تباينها وانتمائها إلى فصائل لغوية مختلفة، ولغات ولهجات متباينة.

خامساً ـ اللغة والفكر:-

تساءل العلماء عن العلاقة بين اللغة والفكر، وإلى أى حد تحدد اللغة الفكر. وقد قدم لنا العالمان الأمريكيان إدوارد سابير E. Sapir ، وتلميذه بنيامين لى هورف B.L. Whorf من خلال فرضيتهما الشهيرة إجابة على ذلك ـ حيث قررا أن اللغة تحدد الفكر إلى حد كبير وبشتى الطرق.

وتتلخص فرضية سابير/ هورف فى المقولات التالية:-

«إنه ليس هناك أيه قيود على كم ونوع التباين القائم بين اللغات المختلفة، ومن ضمنها الاختلافات فى الأبنية الدلالية للغات، وترى أيضا أن تأثير اللغة على الفكر تأثير كامل، أى أنه ليس هناك فكر دون لغة.

ولو جمعنا هذين الرأيين معاً، فسنكتشف أنه لا توجد أية قيود على مدى الاختلاف القائم بين الناس فى أسلوب تفكيرهم، وخاصة فى المفاهيم التى يكونونها، وينتج عن ذلك أننا لو وجدنا وسيلة للتحكم فى اللغة التى يتعلمها الناس، فإننا بالتالى نستطيع أن نتحكم فى أسلوبهم فى التفكير(١).»

وقد أثارت تلك المقولات التى تضمنتها الفرضية جدل علماء الدراسات اللغوية والثقافية بين مؤيدين ومعارضين، إذ تحمل فى طياتها بعض الحقائق فى كل جانب من النسبية والحتمية فى تلك العلاقة بين اللغة من ناحية والفكر من ناحية أخرى. ويزيد سابير S pir الأمر وضوحا بقوله: إن اللغة هى التى تجعل

(١) هدسون: علم اللغة الاجتماعى، مرجع سابق، ص١٦٣ .



المجتمع يفكر ويتصرف بالطريقة التى يرتضيها، وإن المجتمع لا يستطيع رؤية العالم إلا من خلال لغته، فالبشر واقعون تحت تأثير تلك اللغة المعينة التى اتخذوها وسيلة للتفاهم فى مجتمعهم، وهى وسيلة لتنمية الفكر، الذى يعود ليؤثر فى اللغة وتطورها ونموها، فالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع[٢].

بينما أضاف بنيامين هورف إلى فرضيتهما السابقة قوله إن الإنسان أسير لغته. ولكن هذا القول هو امتداد لتأييده لأستاذه سابير فى مقولاته عن اللغة والفكر.

وعلى صعيد آخر، نجد ألفرد كورزبسكى A-Korzybsky يعارض الرأى السابق بشدة ويرى عكس ذلك تماما، فلغة أى مجتمع ـ على حد قوله ـ لا تحدد الإطار الذى يرى منه المجتمع العالم من خلال لغته. ذلك لأن اللغة فى رأيه لا تمثل كل ما يشمله هذا العالم من أشياء، وما يحدث فيه من أحداث.

بينما يرى أصحاب المدرسة السلوكية وعلى رأسهم العالمان چون واتسون J.Watson وسكينر Skinner أن الفكر واللغة نوعان من السلوك البشرى على حد سواء، غير منفصلين ـ فالتفكير يعتبر نوعا من الكلام الداخلى، والمنطوق على مستوى الحنجرة. ولكن هذا الرأى أيضا قد قوبل بالمعارضة من بعض العلماء إذ إن اللغة نظام تجريدى يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد، بينما الكلام الفعلى واحد من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى محاولة استقراء العلاقة بين اللغة والفكر واستنتاج طريقة التفكير عند العرب، والفرنسيين ـ طريقة استنتاجية Deductive ، استنادا إلى أن الصفة فى اللغتين تتبع الموصوف.

بينما رأوا أن طريقة التفكير عند الإنجليز تتميز بالطريقة الاستقرائية Inductive مبررين ذلك بأن الموصوف عندهم يأتى بعد الصفة.

وقيل أيضا أن أى مجتمع لا تتوافر فى لغته بنيات الزمن، تتقاسمها مصطلحات التحديد المنطقى، تتسم حياته بعدم احترام الزمن، ولا يقيم للفكر والمنطق وزنا[١].

---

(١) توفيق محمد شاهين: علم اللغة العام، مرجع سابق، ص١٤٦ .



ولكن بعض علماء اللغة ردوا على تلك المقولات وأثبتوا خطأها، إذ بينوا أنه ليس هناك لغات بدائية متخلفة، ولغات عصرية متقدمة، ففى مفردات كل لغة وتراكيبها، ما يفى ويغطى كل متطلبات وحاجات هذا المجتمع للتعبير عنها، ويأتى العالم فندريس على رأس هؤلاء العلماء.

وفى ضوء تحليلنا لآراء العلماء عن علاقة التفكير واللغة، نجد أن «هورف» يهتم بدور اللغة فى التأثير على التفكير، بل ويذهب إلى القول بأن التفكير يعتمد على اللغة، ولذلك فاللغة هى التى تقرر التفكير وتتحكم فيه.

بينما نجد العالم بياچيه Piaget يأخذ موقفا مغايرا لنظرية النسبية اللغوية التى تبناها «هورف»، إذ اهتم بياچيه بالمراحل الموحدة لنمو التفكير لدى كل أطفال العالم، لذلك نجده لا يعبأ بالفروق التى قد تنتج عن تحدث الأطفال بلغة معينة، ويعارض القول بأن اللغة مسئولة بشكل عام عن التفكير، بل يرى أن اللغة هى نوع واحد فقط من الوظيفة الرمزية Symbolic Function التى تشمل أيضا الصيغ أو الأشكال الأولى للعب الرمزى، والتخيل الرمزى.

أما العالم «فيجوتسكى Vygotsky » فى كتابه التفكير واللغة، فنجده يفسر العلاقة بين التفكير واللغة بقوله:-

«إن التفكير واللغة يبدآن كفعاليتين منفصلتين ومستقلتين عن بعضهما البعض، لذلك نرى تفكير الأطفال صغار السن شبه تفكير الحيوانات لأنه يحدث بدون لغة. ومن الأمثلة على ذلك تفكير الطفل الذى يبلغ من العمر أشهرا قليلة فى حل مشكلات بسيطة كتناول الأشياء، وفتح الأبواب .. الخ. وكذلك فإن أصوات المناغاة الأولى عند الطفل (مرحلة البأبأة) هى كلام بدون تفكير موجه نحو تلبية أهداف محددة لديه.

ويرى «فيجوتسكى» أن نقطة التحول فى علاقة التفكير واللغة تحدث عندما يبلغ الطفل حوالى عامين من عمره، حيث نجد أن منحنى التفكير الذى يسبق اللغة ومنحنى اللغة التى تسبق التفكير يلتقيان ويترابطان مع بعضهما البعض لكى يأذنا ببدء نوع جديد من السلوك، وهكذا يصبح التفكير لفظيا والكلام معقولا يضم فكرا[1].»

(1) جودت جرين: التفكير واللغة ـ ترجمة : عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١ هـ/ ١٩٩٠م، ١١١-١١٤.



خلاصة القول، أن العلاقة متبادلة بين اللغة والفكر، وكذلك بينها وبين الثقافة والحضارة وما يدور من أحداث فى المجتمع. فالبشر يفكرون فى حدود قدراتهم اللغوية، واللغة بأساليبها المختلفة اللفظية وغير اللفظية هى وسيلتهم للتعبير عن التفكير. واللغة بذلك هى الوعاء الذى يحتوى الفكر، فالإنسان يفكر فى أثواب من اللغة على حد قول العالم فندريس، والفكر عملية عقلية توجه السلوك الإنسانى واللغوى لاختيار الأسلوب المناسب للتعبير.

سادساً ـ المجموعات والفصائل اللغوية:-

تباينت تقديرات العلماء حول حصر أعداد اللغات الإنسانية فى العالم حصرا دقيقا، فبعضهم يقدرها بنحو ٢٥٠٠ لغة، والآخر يقدرها بنحو يتراوح ما بين ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ لغة. ورغم هذا التباين العددى، فإن هذه اللغات فى تطورها وانشعابها انقسمت إلى عدة مجموعات أو أسر لغوية تربط كل منها بين عدد من اللغات تجمعها قرابة لغوية واحدة.

بينما يصنف بعض العلماء اللغات إلى عدة فصائل، وانقسمت كل فصيلة منها إلى عدد من الشعب اللغوية، تضم كل شعبة منها عددا من اللغات، وتفرعت كل لغة إلي عدة لهجات[١].

وقد اختلت العلماء اختلافا كبيرا فى تقسيم اللغات تبعا للأسس التى أقاموا عليها تصنيفهم. ومن أشهر النظريات التى ظهرت فى هذا المجال:-

١ ـ نظرية شليجل: وهى تصنف اللغات طبقا لبنائها اللغوى، والمعنى والدلالة وموضعه فى الجملة، وتصريفها.

حيث قسمت اللغات إلى ثلاث مجموعات وهى:-

أ ـ لغات متصرفة: أى تتغير أبنيتها اللغوية، وتوجد بها أدوات ربط بين أجزاء الجملة.

ب ـ لغات تركيبية أو إلصاقية: حيث تتغير المعانى فيها بطريق الإلصاق سواء فى صدر الجملة أو مؤخرتها، كما فى اللغة اليابانية والتركية.

(١) على عبد الواحد وافى: نشأة اللغة عند الانسان والطفل، مرجع سابق، ص٦٣ .



جـ ـ لغات عازلة: أى لا تقبل التصرف لأن لكل كلمة من كلماتها صورة واحدة ومعنى ثابتا لا يتغير، وليس فيها أدوات ربط مثل اللغة الصينية ولغات الشعوب البدائية.

وقد لاقت هذه النظرية نقداً ورفضاً من كثير من العلماء، ولأن كل اللغات تشترك بنسب متفاوتة فى كل هذه التصنيفات.

٢ـ نظرية ماكس مولر Max Muller :- تقوم هذه النظرية على الأسر اللغوية، والتشابه الواضح بين لغات الأسرة الواحدة.

وقد قسم مولر الأسر اللغوية إلى ثلاث مجموعات هى:-

أ ـ مجموعة اللغات الهندية الأوربية أو الآرية.

ب ـ مجموعة اللغات السامية الحامية.

جـ ـ مجموعة اللغات الطورانية.

وفيما يلى عرض لكل لغوية وما تضمه من لغات:-

أ ـ مجموعة اللغات الهندية الأوربية (الآرية):- وتشمل اللغات الإغريقية، واللاتينية، الهندية، والإيطالية، والفرنسية، والأسبانية، والبرتغالية، والرومانية، والإنجليزية، والأيرلندية، والألمانية، والهولندية، والروسية، والفارسية، والسنسكريتية، والألبانية وغيرها[١].

ويتحدث بتلك اللغات جميع شعوب أوروبا، وأمريكا، وأستراليا، وجنوب إفريقيا، وقسم كبير من سكان آسيا كالهنود، والأفغان، والأرمن وغيرهم.

ب ـ مجموعة اللغات السامية الحامية:- جمع ماكس مولر بين اللغات السامية والحامية فى مجموعة واحدة وأيده فى ذلك بعض علماء اللغة، نظرا للترابط الواضح بينهما، وتجانس الناطقين بهما، ووجود تشابه بينهم فى أساليب الحياة، والثقافة السائدة، والبناء الاجتماعى والنظم الاجتماعية لمجتمعاتها. وقد عارض بعض علماء الدراسات اللغوية رأى ماكس مولر ومؤيديه حول جعل

(١) توفيق محمد شاهين. علم اللغة العام، مرجع سابق، ص٧٤-٧٥



اللغات السامية والحامية مجموعة لغوية واحدة ورأوا ضرورة الفصل بينهما وجعل كل منهما مجموعة مستقلة.

ومن أشهر اللغات الحامية: اللغة المصرية القديمة، واللغة القبطية، واللغة البربرية، واللغة الكوشية.

ومن أشهر اللغات السامية: اللغة العربية، واللغة الكنعانية، واللغة العبرية، واللغة الحبشية وغيرها.

وبصفة عامة فإنه من الملاحظ أن المجموعة اللغوية الواحدة تضم عددا من اللغات بعضها لغات حية تتحدث بها الألسن حتّى الوقت الحاضر، وبعضها لغات قديمة بادت واندثرت وأصبحت فى ذمة التاريخ تمثل عصراً أو عدة عصور لحضارة قديمة.

جـ ـ مجموعة اللغات الطورانية: - وتضم هذه كلا من اللغة الصينية، واللغة اليابانية، واللغة التركية وغيرها.

واعتبر «ماكس مولر» هذه المجموعة وعاء لكل اللغات الأخرى التى لا تندرج تحت المجموعتين السابقتين، ومن أشهر مؤيدى «مولر» عالم اللغة بونسن Bunsen ولهذا قوبل تصنيف «مولر» بنقد ومعارضة من بعض علماء اللغة، كما أخذوا عليه إهماله لكثير من لغات الشعوب مثل اللغات الأفريقية، وغيرها من لغات العالم، وعدم تصنيفه لها داخل المجموعات والفصائل اللغوية التى وضعها.

وقد أدى هذا النقد إلى عدول علماء اللغة المحدثين عن استعمال ما أسماه «مولر، وبونسن» بمجموعة اللغات الطورانية، وراحوا يصنفون اللغات الأخرى التى لا تندرج تحت المجموعة الهندوأوربية، والمجموعة السامية الحامية إلى عدد من الفصائل اللغوية وصلت إلى ثمانية عشر فصيلة.

ومما هو جدير بالذكر أن جمعية علم اللغة بباريس قد أقرت هذا التصنيف فى موسوعتها الشهيرة «لغات العالم[1]»، ويمكن إيجاز تلك الفصائل فيما يلى: -

(١) على عبد الواحد وافى: علم اللغة العام، مرجع سابق، ص٢٠٧ .



١ـ اليابانية. ٢ـ الكورية. ٣ـ الإينو. ٤ـ الصينية التبتية.

٥ـ الأسترالية الأسيوية. ٦ـ الدرافيمية. ٧ـ القوقارية الشمالية والوسطى. ٨ـ الأسيوية القديمة. ٩ـ التركية والمغولية والمنشورية.

١٠ـ الغينية. ١١ـ الباسك. ١٢ـ الهيبوبورية وهى لغات سيبريا.

١٣ـ الملايوية البولينيزية. ١٤ـ الأسترالية الأصلية.

١٥ـ الأمريكية الأصلية. ١٦ـ السودانية والغانية.

١٧ـ البانتوية. ١٨ـ البوشمان والهوتنتوت والنيجريين.

وهناك تصنيف آخر للغات البشر يقوم على أساس التوزيع الجغرافى لسكان العالم، ولا يقوم على التصنيف اللغوى فى ذاته من حيث تحديد درجة القرابة اللغوية طبقا لنظام الأسر والفصائل اللغوية التى تندرج تحت المجموعات اللغوية، ويتلخص التصنيف الجغرافى للغات العالم على النحو التالى:-

١ـ مجموعة اللغات الهندية الأوربية: وهى تنتشر على نطاق واسع، وتضم لغات الانجليزية، والألمانية، واللغات الاسكندنافية، والهولندية، واللتوانية، والروسية، والبولندية، والتشيكية، والبلغارية، والصربية الكرواتية، والفرنسية، والأسبانية، والإيطالية، والرومانية، والبرتغالية، واليونانية، والفارسية، والكردية، والألبانية، والأرمنية، واللغات الحديثة بشمال الهند ـ وبذلك فإن معظم لغات أوربا تنتمى إلى هذه المجموعة.

٢ـ مجموعة اللغات غير الهندية الأوربية الأخرى: وتشمل لغات الفنلندية، والمجرية، واللابية، والأستونية، وغيرها.

٣ـ المجموعة التركية: وتشمل اللغات التركية، والأزرباچانية فى إيران، وأزرباچان.

٤ـ المجموعة الصينية التيتية: وتشمل اللغات الصينية، والتبيته، والبورمية ـ وينطق بها سكان الصين، وهضبة التبت، وبورما.

٥ـ المجموعة اليابانية: وتقتصر على اللغة اليابانية ـ وينطق بها سكان اليابان، ولا ترتبط هذه المجموعة بمجموعات أخرى.



٦ـ المجموعة الكورية: - وتشمل اللغة الكورية، التى يتحدث بها سكان الكوريتين الشمالية والجنوبية.

٧ـ مجموعة اللغات الإفريقية: وتضم اللغات الإفريقية الآسيوية، واللغات النيلية الصحراوية، واللغات الخوايزانية، واللغات النيجرية الكردفانية.

وبالاضافة إلى اللغات الإفريقية الأصلية توجد فى إفريقيا عدة لغات أوربية وافدة إليها تشمل اللغات الإنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والأفريكانية[1].

وعلى الرغم من كل تلك التصنيفات للمجموعات اللغوية للغات العالم المختلفة، فإن علينا أن ندرك أن بعض اللغات الّتى تندرج تحت هذه المجموعات قد بادت أو انقرضت، كما أن بعضها قد انتشرت على نطاق واسع نتيجة لعوامل الانتشار اللغوى التى سبق مناقشتها عند تناولنا لقضية الصراع اللغوى.

كذلك فإنه يجب أن نسلم بأن أى تصنيف لغوى لا يمكن أن يقدم لنا حصرا شاملا لكل لغات العالم ولهجاته المختلفة، فهناك مئات اللغات لعديد من الأقليات فى مختلف القارات لم تحظ بعد بالدراسات اللغوية العلمية حتى يمكن تصنيفها تحت المجموعات اللغوية المناسبة لها.

وقد أثبتت الدراسات الحقلية اللغوية الحديثة خطأ القول بأن اللغات البدائية لدى الشعوب «البدائية» قاصرة عن التعبير بها، فكل لغة لديها المفردات اللغوية اللازمة للتعبير عن ثقافة شعبها، سواء كان هذا التعبير بالمفردات اللفظية أم أساليب الاتصال غير اللفظية.

---

(١) رالف بيلز، هارى هويجر: مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة، جـ٢، مرجع سابق ص ٦٣-٦٣٣

ولمزيد من التفاصيل انظر: -

Greenberg, J.: The Languages of Africa, International Journal of African Linguistics, No. 1, 1963, Part 2. (Publication 25 of the Indiana University Research center in Anthropology, Folklore and Linguistics.)





« التخطيط اللغوى والتغير الاجتماعى»

أولاً - مفهومات التخطيط اللغوى.

ثانياً - التخطيط اللغوى فى ضوء وظائف اللغة.

ثالثاً - الآثار المترتبة على التغير الاجتماعى، وانعكاساتها على اللغة.

أولاً ـ مفهومات التخطيط اللغوى:-

لم يكن مفهوم التخطيط اللغوى Language Planning هو أول مصطلح يظهر فى أدبيات الدراسات اللغوية والسوسيولوچية التى تعنى بدراسة اللغة من منظورسوسيولوچى. بل إنه من المحتمل كما يقول ميلر Miller فى عام ١٩٥٠، أن أول مصطلح ظهر فى تلك الأدبيات كان مصطلح هندسة اللغة Language Engineering .

كما ظهرت عدة مصطلحات مثل مصطلح التنمية اللغوية Language Development كمرادف للتخطيطLanguage Policy، والسياسة اللغوية اللغوى، وإن كانت عادة ما ترجع إلى أهداف التخطيط اللغوى.

ولكن يظل مصطلح التخطيط اللغوى Language Planning من أكثر المصطلحات الشائعة الاستخدام فى الوقت الحاضر، من بين تلك المصطلحات.

ويعتبر العالم هاجن Haugen هو أول من قدم هذا المصطلح فى عام ١٩٥٩ وأدخل ضمن أدبيات الدراسات اللغوية، وقد عرفه بأنه:-

«نشاط يستهدف إعداد الضبط والتشكيل الهجائى، والقواعد اللغوية، وقاموسا للإرشاد الكتاب والخطباء فى مجتمع لغوى محلى غير متجانس.

وبذلك صور التخطيط اللغوى ونشاطاته تلك على أنها بمثابة مخرجات لعملية التخطيط اللغوى، بوصفها جزءا من عملية تنفيذ القرارات التى يضعها المخططون اللغويون، أكثر من كونها عملية تخطيط لغوى بشكل عام.» وقد صدرت عدة تعريفات بعد ذلك لهذا المفهوم ـ من أهمها مايأتى:-

١ـ أننا لا نُعرف التخطيط اللغوى بوصفه نشاطا لغويا مثاليا، ولكن بوصفه نشاطا إداريا وسياسياً لحل مشكلات اللغة فى المجتمع.

وقد جاء هذا التعريف على يد كل من جرند،داس جوتيا Jernudd& Dos Gupta . ١٩٧١ فى عام

٢ـ أشار چورمان Gorman فى عام ١٩٧٣ إلى أن مفهوم التخطيط اللغوى يستخدم عادة للإشارة إلى معايير التنسيق التى تراعى الاختيار، والتصنيف لتطوير



القواعد اللغوية، والضبط والتشكيل الهجائى، والمعاجم والقواميس، والملامح الدلالية للغة لكى تنشر السياق أو المتن المناسب لها.

٣ـ عرف داس جوبتا Das Gupta فى عام ١٩٧٣ ـ التخطيط اللغوى بأنه يشير إلى مجموعة من الأنشطة المنتظمة المدروسة التى تصمم من أجل تنظيم وتنمية المصادر اللغوية للمجتمع المحلى، وفقا لجدول زمنى.

٤ـ أوضح فشمان Fishman فى عام ١٩٧٤ أن هذا المفهوم يشير إلى الحلول المنظمة والمتلاحقة لمشكلات اللغة، على المستوى القومى.

٥ـ كذلك فإن كارام Karam فى عام ١٩٧٤ أيضا، يلقى مزيدا من الضوء على مفهوم التخطيط اللغوى بقوله: إنه يشير إلى نشاط يحاول حل مشكلات اللغة وعادة ما تكون هذه المشكلات على المستوى القومى National Level ، والتى تركز على شكل اللغة أو استخداماتها أو كليهما معاً.

٦ـ أما العالم وينشتين Weinstein فى عام ١٩٨٠ ، فإنه يبرز لنا جوانب أخرى لهذا المفهوم بقوله: -

«إن مفهوم التخطيط اللغوى يمكن تعريفه كمصطلح حكومى سلطوى طويل المدى، بوصفه جهدا واعيا لتغيير اللغة ذاتها أو لتعديل وظائفها فى المجتمع بهدف حل مشكلات الاتصال والتواصل بين أفراده.

٧ـ أوضح نيوستبنى Neustupny فى عام ١٩٨٣ أن التخطيط اللغوى يشير إلى الانتباه المجتمعى المنظم لمشكلات اللغة بشكل منتظم، وعلى أسس نظرية، وعقلانية.

٨ـ يعرف ماركى Markee فى عام ١٩٨٦ هذا المفهوم بأنه يعنى صنع السياسة اللغوية متضمنة القرارات المتعلقة بتعليم وإستعمال اللغة وتوجيهها(١).

---

(١) Cooper, R.: Language Planning and Social Change, Cambridge, Cambridge University Press, 1989, P.P 29-31.

ملحوظة هامة : كل ما ورد فى هذا الفصل هو ترجمة لما جاء بهذا المرجع بشأن التخطيط اللغوى والتغير الاجتماعى.



وفى ضوء تحليل تلك المفهومات يمكننا أن نخلص إلى عدد من التعميمات المتعلقة بهذا المفهوم المحورى فى دراسة اللغة من منظورات متعددة.

فالتخطيط اللغوى هو ممارسة قديمة واسعة الانتشار، وهو ليس مفهوما جديدا أو قاصرا على دول متقدمة أو دول نامية.

وكذلك فإنه لا يمكن فهمه منفصلا عن سياقه التاريخى والاجتماعى الذى أنتجه. والتخطيط اللغوى تحثه الجهود المبذولة لمقابلة الغايات والاهتمامات المادية وغير المادية، ويستخدم المخططون كل ما فى جعبتهم من إمكانات فى سبيل تحقيق تلك الغايات وتطويرها.

ويمكن أن يبدأ التخطيط اللغوى عند أى مستوى من التنظيم الاجتماعى، ولكنه غير مؤكد النجاح، ما لم يحتضنه ويتبنّه صفوة أو مجموعة من الصفوات، وتكون قد استشعرت أنه يدخل ضمن دائرة اهتمامهم.

ولا يبدأ التخطيط اللغوى بالضرورة عن طريق أشخاص تأتى اللغة لديهم فى بؤرة اهتمامهم، كما أنه ليس قصرا على الكتاب، والشعراء، واللغويين، ومدرسى اللغات، ومؤلفى المعاجم اللغوية، والمترجمين، بل يشمل أيضا المبشرين، والجنود، وواضعى القانون، والإداريين، والسوسيولوجيين.

ويعتبر التخطيط اللغوى فيما يتعلق بإدارة التغير، هو فى حد ذاته مثالا على التغير الاجتماعى - حيث يساهم التخطيط اللغوى فى كل من الاستمرارية والتغير، ليس فقط فى إطار اللغة المستهدفة، ولكن أيضا فى النظم الاجتماعية الأخرى. كما يسهم التخطيط اللغوى فى التغيير عن طريق تحسين وتطوير المواقع الوظيفية الجديدة للتنوعات اللغوية، والتغيرات البنائية فى تلك التنوعات، واكتساب تلك التنويعات اللغوية عن طريق السكان الجدد.

ويسهم التخطيط اللغوى فى تحقيق الاستقرار لأنه يتقيد بالمتطلبات البنائية للغة المستهدفة، وبالقيم التى يمثلها التنوع اللغوى للغة بالنسبة للمتحدثين بها.

ثانياً - التخطيط اللغوى فى ضوء وظائف اللغة :-

يسعى التخطيط اللغوى إلى تمكين اللغة من تحقيق وظائفها المختلفة، على النحو الأكمل، واضعا فى اعتباره كافه المتغيرات وخصائص اللغة، وأدوارها المتعددة فى المجتمع.



وقد قدم لنا ستيوارت Stewart فى عام (١٩٦٨) قائمة بوظائف اللغة التى يضعها المخططون فى حسبانهم عند القيام بعملية التخطيط اللغوى ـ يمكن إيجازها فيما يلى:-

١ـ للغة وظيفة رسمية Official : وهى تلك التى يتم تحديدها بحكم القانون أو الدستور للإعلان عن لغة الأمة، وبذلك تمثل اللغة الرسمية المستخدمة. وفى هذا المجال يفرق كوبر R.Cooper أيضا بين اللغة الرسمية وبين نوعين آخرين من اللغات الرسمية، فيسوق لنا عدة أمثلة على ذلك فى كل من فلسطين، وإيرلندا، والمغرب العربى فى المغربّ وتونس والجزائر بعد استقلالها عن فرنسا.

ففى فلسطين، منذ أعلن الانتداب البريطانى عليها فى عام ١٩٢٢، صدر إعلان باعتبار اللغة الإنجليزية، واللغة العربية، واللغة العبرية ـ لغات رسمية. ورغم ان إسرائيل أدخلت تعديلا على ذلك فأبقت اللغة العربية، واللغة العبرية لغتين رسميتين بعد احتلالها لفلسطين عام ١٩٤٨، إلا أن اللغة الإنجليزية ظلت مستخدمة فى عدة مجالات حكومية مثل أوراق العملة، والعملات المعدنية، وطوابع البريد جنبا إلى جنب مع اللغتين العربية والعبرية، وعلى ذلك فاللغة الرسمية التى بحكم القانون، هى لغة الحياة اليومية لنشاطات الحكومة، وهى فى هذه الحالة اللغة العبرية. بينما تعتبر اللغة العربية هى لغة رسمية للعمل أيضا بالإضافة إلى كونها لغة العرب المقيمين بها، وكذلك فإن اللغة الإنجليزية هى لغة ثالثة شبه رسمية تستخدم فى بعض مجالات العمل فقط.

كذلك الحال فى إيرلندا عندما أنهت نفوذ التاج البريطانى عليها فى عام ١٩٣٧، أصبحت اللغة الإيرلندية Irish Language هى اللغة الرسمية الأولى، بالإضافة إلى اللغة الانجليزية التى أصبحت لغة رسمية ثانية.

وفى المغرب العربي بعد انتهاء الاحتلال الفرنسى لكل من الجزائر، وتونس، والمغرب أعلنت هذه الدول أن الاسلام هو دين الدولة فى كل منها، وأن اللغة العربية هى لغتها الرسمية.



وعلى الرغم من ذلك ظلت اللغة الفرنسية حتى بعد عملية التعريب فيها بنحو ثلاثين سنة، هى لغة الإدارة الحكومية فى مختلف الوزارات، باستثناء وزارتى العدل، والداخلية فى تونس - هما اللتان تم تعريب كل معاملاتهما.

وبذلك يفرق علماء الاجتماع اللغوى بين أنماط الوظيفة الرسمية للغة، وبين وظيفة اللغة فى أداء العمل، وبين لغة لبعض السكان (الأقليات) فى المجتمع، وبين الوظيفة الرسمية للغة بوصفها رمزا Symbol لأمة، تعكس تاريخا وتراثا مشتركا لأبناء الأمة، ولا تقوم بهذه الوظيفة لمجرد صدور مرسوم رسمى أو نص بالدستور أو القوانين يعلن ذلك.

٢- إقليمية اللغة Provincial :- ويقصد بها أن تخدم اللغة منطقة جغرافية محددة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الهند، حيث نجد بها ولايتين فقط - من بين ولاياتها الثماني عشرة - غير متجانستين لغويا. وكل من تلك الولايات لديها على الأقل نصف سكانها يتحدثون نفس اللغة، وثلثا الولايات لديها لغاتها الخاصة كلغات رسمية لها، إما بواسطة نفسها أو بصورة شبه رسمية مختلفة إما باللغة الهندية أو اللغة الإنجليزية.

أما الباقون بما فيهم الولايات المتجانسة لغويا إلى حد ما فلها لغاتها الخاصة كالإنجليزية، والهندية، والأوردية كلغة رسمية خاصة بها.

وعلى سبيل المثال، فإن ولاية كيرالا Kerala فرن ٩٥٪ من سكانها يتحدثون المايالم Malayalam وهى إنجليزية خاصة بهم Specified English كلغة رسمية لهم.

٣- تحقيق تواصل واسع Wider Communication :-

تستخدم اللغة وسيلة للتفاهم، ووسيلة للتخاطب ومحو الأمية. ولكن من الصعب التفكير فى وضع تخطيط أفقى متكامل للغة، دون أن يكون جزءا من مشروع متكامل لهذا الفرض.

فعلى سبيل المثال - فإن واضعى إطار الدستور الهندى كانوا يأملون ألا تقتصر اللغة الهندية على الحلول محل الانجليزية فحسب، بل أن تصبح حلقة اتصال بين الجماعات اللغوية العرقية العديدة فى شبه القارة الهندية. وقد حدث



نفس الشيء فيما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتي، حيث طور اللغة الروسية ليس بوصفها لغة للتكامل الرأسي بين سكانه ذوى العدد الضخم، وبين غير الروس منهم - بوصف اللغة الروسية حلقة اتصال بينهما.

ومثلما حدث في الهند حيث لم تظهر مقاومة غير هندية للغة الهندية، بوصفها لغة رسمية، مما أخر انتشارها كلغة تعمل كحلقة اتصال أفقية - حدث نفس الشيء مع اللغة الروسية حيث لم تلق قبولا من الأقليات غير الروسية بوصفها لغة رسمية قومية لتسهيل عملية انتشارها كحلقة اتصال لغوى على المستوى الأفقى.

٤- عالمية اللغة International :-

لا تقتصر اللغة فى وظائفها على خصائصها الرسمية، والإقليمية، وتحقيق التواصل فحسب، بل إن دورها فى تحقيق التواصل بين الأمم والجماعات والأفراد يمتد إلى المجال العالمى أو الدولى، فى العلاقات الدبلوماسية، والتجارة الخارجية، والسياحة. . إلخ.

وتتحدد سياسة التخطيط اللغوى للغات الأجنبية التى يجب ان يتعلمها أفراد المجتمع طبقا لمدى عالمية اللغة وانتشارها علي النطاق الدولى، ومدى الطلب عليها كوسيلة للتواصل فى المحافل الدولية بين الأمم والشعوب، والجماعات والأفراد. وتلعب المدرسة الدور الأساسى فى تعليم اللغات الأجنبية، بينما يبرز دور الأسرة جنبا إلي جنب مع دور المدرسة فى تعليم اللغة الوطنية أو اللغة القومية.

وتعتبر اللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، من أكثر اللغات الأجنبية عالمية وانتشارا فى عدد كبير من دول العالم، فى أعقاب الاستعمار الإنجليزى والفرنسى لعدد كبير من دول العالم لفترات زمنية طويلة، تاركا لغاته الحية بين الشعوب التى استعمرها رغم انسحابه العسكرى واستقلال تلك الدول سياسيا.

٥- عاصمة اللغة Capital :-

تعتبر هذه الوظيفة للغة ذات أهمية خاصة فى الدول التى تتمركز فى عاصمتها القوة السياسية، والمكانة الاجتماعية، والنشاطات الاقتصادية. كما تبدو



أهميتـها أيضا، نتيـجة لما هو معروف عن أثر العـاصمة بوصفـها مركزا سيـاسيا واقتصـاديا، فى العمل على انتشار اللغة إلى أطراف الـوطن وهى كلها أمور يجب أن توضع فى الحسبان لدى المخططين اللغويين.

٦ـ اللغة نتاج للهوية الجماعية Group :-

تعد اللغة وسيلة للتواصل بين الأعضاء فى جماعـة ثقافية واحدة أو جماعية عرقـية أو سلالية، كـما هو الحال فى جـماعة القـبيلة، أو جمـاعة مستـقرة من النازحين والمهاجرين الأجانب.

ولهذا تبدو العـلاقة قوية بين السلوك اللغوى من ناحية وهوية الـجماعة من ناحية أخرى. وفى الوقت ذاته، فإن النسق اللغوى يؤدى دورا كـمعيار غير رسمى فى التحقق من انضمام الفرد للجماعة.

ومن الأمثلة الشائعة على ذلك حالة اللغـة العبرية والإيرلندية حيث اتخذت كل منها معياراً لتحديد هوية اليـهود الذين نزحوا إلى فلسطين وأقاموا على أرضها الكيان الصهـيونى (إسرائيل)، وكذلك الحال فى التفـرقة بين الإيرلندين والإنجليز بعد تحقـيق إيرلندا للاستقلال عن التـاج البريطانى عام ١٩٣٧، وقبل أن تضـمها بريطانيا ثانية وتخضعها لنفوذها السياسى.

٧ـ اللغة بوصفها أداة للتعليم Education :-

للغة دور بارز فى التعليم الأساسى، والثانوى سواء على المستوى الإقليمى أو القومى.

ويدعو فيرجسون Ferguson (فى عام ١٩٦٦) إلى أن نوسع أهمية اللغة فى الوظيفة التعليـمية، ليس فقط بالتفرقة بين دورها فـى التعليم الأساسى، والثانوى فحسب، بل أن نميز أيضا بين السنوات الدنيا والعليا من المدرسة الابتدائية وأهمية اللغة فى كل منها.

ويرجع قرار التخطيط اللغـوى للغة كوسيلة للتواصل والتـفاهم فى الأنساق التعلـيميـة - إلى الضغـوط السياسـية القـوية التى يأخذها رجـال التربية والتـعليم والمخططون فى مجال التخطيط اللغوى فى الاعتبار.



وهناك العديد من الأمثلة لإبراز أهمية ومكانة التخطيط التعليمى للغة مثل: استخدام اللغات الإقليمية أو اللهجات المحلية فى محو أمية الريف الأثيوبى، واستخدام تلك اللغات واللهجات للفقراء، وتعليم أطفال الأقليات فى الولايات المتحدة الأمريكية اللغويات العرقية الخاصة بهم، وكذلك تعليم بعض أطفال الطبقة الوسطى فى مونتريال اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

٨ـ اللغة كموضوع تعليمى School Subject :-

عادة ما يتم تعليم اللغة كموضوع تعليمى أو دراسى فى مختلف المراحل التعليمية حتى التعليم الجامعى. ونظرا لأن اللغات الثانية غالبا ما يتم تعليمها فى المدارس الابتدائية، فإنه قد يكون من الأجدى أن نوسع هذا الاحتكاك اللغوى ليشمل تعليم لغة أجنبية ضمن مقررات الدراسة فى مرحلة تعليمية أدنى.

إن تعليم هذه اللغة يحقق عدة أهداف، فعلى سبيل المثال، فإنه يمكن السادة أو الصفوة من قراءة نصوص بلغة كلاسيكية، كذلك فإنه يتيح الفرصة للطلاب للحصول على وظائف تتطلب المعرفة والإلمام بلغة ثانية، والانتفاع من مزايا ذلك، بالاضافة إلى ربط الطلاب بالتراث الوطنى أو تراث عرقى آخر، والتمييز بين مجتمع الصفوة ومجتمع العامة.

وليس أمر تعليم اللغات الأجنبية قصرا على أبناء اللغة العربية، بل إن المدارس الإنجليزية فى إنجلترا اعتادت تدريس اللغتين اللاتينية، والإغريقية لتلاميذها.

٩ـ أدبية اللغة Literary :-

اللغة هى الوعاء الذى يضم صنوف المعرفة الأدبية والعلمية، وتستخدم اللغة لأغراض أدبية وتعليمية.

وتعتبر عملية تحسين وتطوير اللهجات الإقليمية للارتقاء بها لتحقيق تلك الأغراض، ملمحا شائعا للحركات الوطنية، إذ إنها قد تؤدى إلى زيادة الوعى القومى للجماهير عامة أو المفكرين بصفة خاصة.

وقد يعتقد البعض أن تنمية اللغة القومية تدعم المطالبة المشروعة بالاعتماد على الذات القومية. ولكنه النثر (غير القصصى) الأقل سحرا من الأدب هو عالم المعرفة ـ من غير الخيال ـ تلك التي تمد اللهجات المحلية بالتقدير.



١٠ - الوظيفة الدينية للغة:- Religious

للغة وظيفة هامة فى التعبير عن الدين وطقوسه وشعائره، ويشمل ذلك ثلاث وظائف فرعية Subfunctions وهى النصح والإرشاد، والهداية، والتعليمات الدينية من ناحية. والنص المقدس، والصلوات العامة.

وتقتصر بعض الأديان مثل الإسلام، واليهودية على تحديد لغة واحدة تستخدمها فى الصلاة، وقراءة كتابها المقدس. فالإسلام يقتصر على اللغة العربية للغة الصلاة وقراءة القرآن الكريم، واليهودية تقتصر على اللغة العبرية فى الصلاة وقراءة التوراة. بينما فى المسيحية فإن الحال مختلف حيث شاع استخدام أكثر من لغة بعد أن ضعفت اللغة القبطية، وحلت كثير من اللغات الإقليمية التى ترجمت المعتقدات الدينية لشعوب أوربا المسيحية.

وتلعب اللغة دورا هاما فى التواصل اللغوى عند القيام بأعمال التبشير الدينى لنشر الأديان فى المجتمعات الجديدة، فإذا ما نجح رجال الدعوة فى نقل رسالة التوحيد بنفس لغة الأمم التى يدعون فيها - يُكتب لهم النجاح.

وقد تحقق هذا لدعاة الإسلام عندما ذهبت جماعات الدعاة من مصر، والمملكة العربية السعودية وكافة دول العالم الإسلامى - فى أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتى، ويوغسلافيا - وتدرج هؤلاء الدعاة من استعمال اللغات الأجنبية إلى تعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الشعائر الدينية والصلاة.

وإلى جانب تلك الوظائف الهامة للغة، فإن هناك وظيفتين هامتين أخريين للغة وهما: دور اللغة وانتشارها من خلال وسائل الاتصال الجماهيرى كوسيط، ودور اللغة فى العمل - وتفاعلهما معا بوصف العمل أيضا وسيطا آخر لانتشار اللغة. ومن خلال إدراك المخططين للسياسات اللغوية، وفهم وظائف اللغة، وأثرها فى التخطيط اللغوى يتم وضع الخطط الملائمة لتطوير اللغة، والعمل على انتشارها، وحل المشكلات وتذليل المعوقات التى تواجهها، والعمل علي تخفيف الآثار السلبية الناجمة عن الصراع اللغوى، والاستفادة من الاحتكاك اللغوى بشكل إيجابى يؤدى إلى إثراء اللغة الوطنية وتدعيمها والانفتاح على اللغات والثقافات الأخرى.



ثالثاً ـ الآثار المترتبة على التغير الإجتماعى، وإنعكاساتها على اللغة:-

قبل أن نتعرف على تلك الآثار، يجدر بنا أن نلقى الضوء على العوامل التى تؤدى إلى إحداث التغير الاجتماعى ـ وهى فى إيجاز شديد تشمل البيئة الطبيعية، والسكان، والاختراع والاكتشافات الجديدة، والانتشار الثقافى، والأيديولوچية، وصناعة القرار سواء على مستوى القيادة السياسية أو على مستوى عامة الناس، فالناس يشاركون فى صنع بعض القرارات المتصلة بأوضاع المجتمع ككل.

ورغم اختلاف رأى علماء الاجتماع مع علماء التاريخ حول فاعلية الأفراد فى صنع التغير الاجتماعى، أو تأثرهم به، فإن مناقشة موجزة لهذا الرأى تثرى الحوار. فعلماء التاريخ يرون أن التاريخ هو الذى يصنع الأفراد أكثر من القول بأن الأفراد هم الذين يصنعون التاريخ. بينما يذهب علماء الاجتماع إلي القول بعكس ذلك تماما، مستشهدين بأعداد لا حصر لها من رجال ونساء قادوا حركة التغير الاجتماعى وغيروا وجه التاريخ، ومنهم الأنبياء، والزعماء، والقيادات السياسية الملهمة (الكاريزمية).

وهناك العديد من النظريات التى حأولت تفسير ميكانيزمات التغير الاجتماعى، وتفاعلاته مثل النظريات التطورية، والنظريات الدائرية، والوظيفية، ونظرية الصراع الاجتماعى، ونظرية التبعية.

وإذا تتبعنا تفسيرات هذه النظريات على أثر التغير الاجتماعى فى اللغة، وانعكاساته عليها وعلاقة ذلك بالتخطيط اللغوى نجد أن:-

تأثير مفهوم القيم بوصفه أحد الميكانزمات المهيمنة على التخطيط اللغوى، يؤخذ فى اعتبار المخططين اللغويين عند وضع سياسة المتغيرات، وتحسين السياسات التخطيطية، كذلك فإن اختلاف الأدوار وأثره على التغير الاجتماعى يوضع في الحسبان أيضاً، فإدخال نظام حديث للتعليم، ونظام قضائى جديد غالبا ما يؤدى إلى جلب لغات جديدة معهما.

ومن الأمثلة على ذلك عندما تحولت بعض نشاطات التنشئة الاجتماعية من دور الأسرة إلى دور المدرسة اتسع النطاق اللغوى ما بين استخدام اللغة الرسمية (الفصحى) فى التعليم بالمدارس، وبين استخدام اللهجات المحلية فى أمور الحياة



العامة بعـد أن كان الأمر قاصراً على استـخدام اللهجة العاميـة داخل الأسرة كأداة للتواصل بين أفرادها ـ عندما كانت تقوم بكل وظائف التنشئة الاجتماعية.

ومثل ما يرى أصحاب الأتجـاه الوظيفى من أن أى تغير يطرأ على جزء فى المجتمع فإنه يؤثر فى إحداث تغيـرات فى الأنساق الأخرى للمجتمع، كذلك فإن أى تغـير يطرأ على النسق اللغـوى، يؤدى إلى تغـيرات مـماثلة فى أنسـاق البناء اللغوى سواء داخل نظم التعليم أو الأسرة أو المجتمع المحلى أو المجتمع ككل ـ وبذلك يمكن القـول بوجود تساند وظيـفى بين مختلـف الأنساق لتحـقيق التغـير الاجتماعى فى المجتمع بشكل متوازن.

وتؤكد «وستون Weston » (١٩٧٧) بأنه ظهرت حـركة تدعو إلى الابتـعاد بالبحـث عن إيجاد نظرية عامـة واحدة للتـغير الاجـتمـاعى، حيث اتجـه علماء الاجتماع إلى بناء نظريات ذات مـجال أصغر يمكن تطبيقهـا على قطاعات محددة من المجـتمع. وتعـتقد «وسـتون Weston » أن هذا الاتجاه قد يـقود إلى وجود نظريات منفصلة خاصة بالتغير التنظيمى، والتغير الديمجرافى وهكذا.

وهنا نتساءل: هل من الممكن التوصل إلى نظرية عامة للتخطيط اللغوى؟

وللإجابة على هذا التـساؤل نقول إن التخطيـط اللغوى يجب أن يمكننا من شرح وتفسير مقدماته والتمهيـد له، والوسائل المختارة لتحقيق أهدافه، وعائدات تنفيـذه. أو أنه بقول آخـر:علينا أن نفهم دوافـع إقامة المكانـة الخاصة للتـخطيط اللغوى، وتجسيده، وتحديد أهدافه، واختيار الوسائل الخـاصة لتحقيقها، ومعرفة أسباب عدم القدرة على تحقيقها داخل السياق الاجتماعى.

ويبدو أن التـوصل إلى مثل هذه النظرية العـامة عن التخطيط اللغـوى، أمر صعب المنال فى الوقت الحاضر، ليس بسبب أن التـخطيط اللغوى نشاط معقد، يتأثر بعدد من العوامل الاقتصادية، والأيديولوچية، والسياسية وغيرها فحسب، بل إن الأمـر لا يقتـصـر كذلك على أن هـذا التخطيط يـوجه نحـو مكانة التـخطيط وتجسيده، وتحقيق أهدافه فقط، ولكنه أكثر من ذلك لأنه يعتبر أداة لخدمة أهداف متعـددة ومتباينة مثل التـحديث الاقتصادى، والتكامل الوطـنى (القومى)، وحرية الأمة، والمـسأواة الاقـتصـادية، والعرقـية، والجنسـية، وأهمـية دور الصـفوة، المتجددة.



فاللغـة هى نظام التواصـل الأساسى فى المجـتمع، ليس لأنهـا هى النظام الأول الذى خبره الأفـراد، بل لأنها أيضا هى القاعـدة الأساسية التى بنيـت عليها كافة الأنظـمة الأخرى في المجتـمع ـ على حد قول العالمـين «برجر Berger & Berger » فى عام ١٩٧٦ .

خلاصة القـول، أن التخطيط للغة، إنمـا يعنى التخطيط للمجتـمع بأسره ـ وعلي ذلك فإن التوصل إلى نظرية مـرضية للتخطيط اللغوى، مـا زال يترقب أيضا الوصول إلى نظرية شاملة للتغير الاجتماعى.

الفصل التاسع

مناهج البحث اللغوى

أولا- ماهية مناهج البحث، وأهميتها فى الدراسات اللغوية.

ثانياً- أنواع مناهج البحث اللغوى.

ثالثاً- الأطالس اللغوية.

رابعاً- أهمية الأطالس اللغوية فى البحث اللغوى.

أولا ـ ماهية مناهج البحث وأهميتها فى الدراسات اللغوية:-

يعتبر منهج البحث هو الطريقة العلمية لدراسة الظاهرة، وهو الإطار أو الخطة التى توجه مسار البحث لتحقيق أهدافه، ولهذا فإن أهداف البحث هى التي تحدد نوع المنهج الذى يختاره الباحث فى دراسته للظواهر الاجتماعية التي يتناولها بالدراسة العلمية، وبذلك فإن منهج البحث هو الخطة التى يرسمها الباحث لحل مشكلة البحث[1].

وعلى الرغم من أن مناهج البحث فى كافة العلوم سواء الطبيعية أو الاجتماعية تقوم على أسس واحدة من الاستنباط والاستقراء والتحليل لاستخلاص النتائج فى ضوء ما أسفرت عنه التجارب وفقا لضوابط منهجية ـ مما يؤدى إلى توافر سمات مشتركة بينها، إلا أن هذه المناهج فى العلوم الاجتماعية بما فيها علم الاجتماع اللغوى والدراسات اللغوية تسعى إلي تحقيق الدقة العلمية مثل ما حدث فى العلوم الطبيعية، وقد قطعت شوطا كبيراً فى هذا المجال مما أدى إلى إثراء العلوم الاجتماعية وتطويرها فى ضوء المنهجية العلمية التى تبنتها.

ويتفق علم الاجتماع اللغوى مع غيره من العلوم الاجتماعية فى استخدامه لطرائق ومناهج البحث العلمى فى دراسته للغة كظاهرة اجتماعية. كذلك فإن الدراسات اللغوية بصفة عامة نحت نحو الالتزام باستخدام مناهج البحث فى مختلف فروعها، وهى فى ذلك تتفق مع كافة العلوم فى تبنى الأسلوب العلمى لدراسة الظواهر اللغوية على اختلاف أنواعها.

ولهذا فإن الدراسات اللغوية بمداخلها المختلفة، لم تعد تقتصر على مجرد الدراسات النظرية فى تناولها لمختلف القضايا التى تقوم عليها، بل تعدت ذلك إلى العناية بالبحوث الحقلية والدراسات الإمبريقية، بعد أن برز الاتجاه الإمبريقى بشكل واضح فى العلوم الاجتماعية مع مطلع عشرينات القرن العشرين، حيث ركز هذا الاتجاه على ضرورة الاحتكام إلى الواقع ودراسته، وبدأ التحول تدريجيا عن العناية بالدراسات التاريخية، والوصفية، والتوجه نحو البحوث التجريبية والمقارنة.

(١) محمد الجوهرى وآخرون: دراسة الاجتماع، مرجع سابق، ص١٠٣ .



وبصفة عامة فإن مناهج البحث العلمى كلها مثل المنهج التاريخى، والمنهج الوصفى، والمنهج التجريبى، والمنهج المقارن، والمنهج الأنثروبولوچى، ومنهج الدراسات الكشفية والاستطلاعية ـ كلها مناهج علمية يستخدمها الباحث لتطبيق الاتجاه الإمبريقى.

كما يستعين الباحث بعدد من الأدوات البحثية المختلفة، والأساليب المتعددة لجمع البيانات اللازمة له لدراسة الظاهرة موضوع بحثه، والتى تساعده فى فهم حجم الظاهرة وأسبابها، وعناصرها، وعلاقتها ببعضها البعض، وتفسيرها.

ومن أمثلة هذه الأدوات والأساليب والوسائل نجد الملاحظة بأنواعها المختلفة، ودراسة الحالة، والمسح الاجتماعى بنوعيه (بالعينة، والشامل)، والإخباريين، وأدلة جمع البيانات، واستمارات المقابلة، والاستبيان، وتحليل المضمون، ودراسة التقارير، والإحصاءات، والسجلات، وأجهزة التسجيل المختلفة، وأجهزة التصوير بأشكالها المتعددة.

وقد لاحظ المؤلف خلطا كبيراً بين مفهومى المناهج، وأدوات البحث ووسائله فى كثير من الكتابات العربية، حيث اعتبرت بعض هذه الكتابات الأدوات والوسائل مناهج علمية Methods فى حد ذاتها(*).

ولهذا فإننى سوف أتناول فيما يلى عرضا موجزاً لماهية كل منهج، وكيفية استخدامه فى علم الاجتماع اللغوى فى دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية هامة ترتبط بالاجتماع الإنسانى.

ثانياً ـ أنواع مناهج البحث اللغوى:-

ظل العلماء فى أوربا يهتمون لفترة طويلة فى دراستهم للفيلولوچيا، بدراسة فقة اللغتين اللاتينية واليونانية، ويبحثون فى أصل اللغة بصفة عامة، ويقومون

(*) لمزيد من التفاصيل ـ قارن آراء كل من :-

(١) على عبد الواحد وافى (علم اللغة، ص٣٣ وما بعدها)، (٢) توفيق شاهين علم اللغة العام (ص٢٢)

(٣) رمضان عبد التواب (المدخل إلى علم اللغة، ص١٨١)، (٤) البدراوى زهران (مقدمة فى علوم اللغة، ص١٩٣ - ١٩٤).



بتقييم كل لغة وفقا لعدد من الأسس كجمال الأسلوب، والثروة اللفظية، وضخامة تراثها القديم أو ضآلته.

ويعتبر اكتشاف اللغة السنسكريتية - وهى إحدى اللغات الهندوأوربية - القديمة، فى نهاية القرن الثامن عشر، نقطة تحول هامة فى الدراسات اللغوية. وبحلول القرن التاسع عشر شهدت الدراسات اللغوية تطورا كبيرا نتيجة للعناية بالدراسات اللغوية التاريخية بعد أن وضحت العلاقة بين اللغة السنسكريتية واللغتين اللاتينية والإغريقية وغيرهما. ومنذ ذلك الحين وجه العلماء اهتماماً خاصاً بدراسة مناهج البحث اللغوى.

كما تنامى الوعى لدى علماء الدراسات اللغوية بأن أى محاولة لإصلاح لغوى يجب أن تبدأ بفهم ودراسة حياة اللغة ومناهج تطورها.

وفيما يلى عرض موجز لكل منهج من مناهج البحث اللغوى الذى تستخدمه كافة مداخل الدراسات اللغوية: السوسيولوچية، والسيكولوچية، وعلم اللغة التطبيقى، والبنائية، وأثنولوچيا اللغة، والأنثروبولوچى.

١- المنهج التاريخى فى دراسة اللغة:-

يقوم هذا المنهج بتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مخلقة، وأماكن متعددة ليرى التطور الذى طرأ عليها محاولا الوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة - أى أنه عبارة عن بحث التطور اللغوى فى لغة ما عبر القرون أو حتى أقدم عصورها، التى نملك وثائق ونصوصا لغوية عنها. وهو بذلك يقوم بدراسة اللغة دراسة طولية، كدراسة أصوات اللغة العربية دراسة تاريخية، تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه، وتتبع تاريخها منذ ذلك الزمن حتى العصر الحاضر. ويؤكد علماء اجتماع اللغة فى هذا المقام على أن عالم اللغة لا يقنع بتسجيل التطورات التى طرأت على اللغة ووصفها وصف المؤرخ الأمين، بل يبحث كذلك عن أسبابها ويعمل على كشف العوامل التى أدت إليها.

وتوجه علماء اللغة عامة صعوبة كبيرة فى التوصل إلى تلك الأسباب، لأنها لا تكون واضحة دائما بشكل مباشر لاستنادها على عوامل متشابكة فى أزمان وعصور قديمة، لهذا يلجأ العلماء إلى استخدام طرق غير مباشرة للكشف عن تلك الأسباب التي أدت إلى تطور اللغة.



ومن هذه الطرق استخدام أسلوب القياس أو ما أسماه بعض علماء اجتماع اللغة «طريقة قياس الغابر على الحاضر[1]»، فللوقوف على أسباب مظهر من مظاهر التطور فى لغة قديمة يبحثون عن تطور مشابه له فى اللغات الحديثة ويدرسون أسبابه، التى عادة ما تكون واضحة لقرب العهد بها وحداثتها، ثم يقيسون عليها فى تحليل أسباب التطور القديم وتفسيره.

ويؤكد علماء اللغة أن تطبيق المنهج التاريخى فى دراسة الناحية الصوتية من اللغة (Phonatics) قد حقق نجاحا كبيرا، ذلك لأن التطورات الصوتية يرجع معظمها إلى أمور تتعلق بأعضاء النطق، وطريقة أدائها لوظائفها، وتأثرها بالظواهر الجغرافية، وأساليب انتقالها عن طريق الوراثة من جيل إلى آخر، ومثل هذه العوامل قلما تختلف آثارها باختلاف العصور والأمم. ولهذا أمكن استخدام ذلك المنهج فى الكشف عن العوامل التى أدت إلى تطور صوتى فى لغة قديمة من خلال دراسة التطور الصوتى فى لغة حديثة والقياس عليها والكشف عن عوامل التطور الصوتى المشابهة فى اللغة القديمة.

بينما يحذر علماء اللغة من استخدام هذا المنهج وأسلوب القياس فى دراسة تطور اللغة من ناحية المعنى والدلالة Semantics ، ذلك لأن العوامل التى تؤدى إلى تطور اللغة فى معانى كلماتها وقواعدها وأساليبها نادرا ما تتحد فى عصرين أو فى لغتين، إذ أن معظمها يرجع إلى ظواهر اجتماعية وتاريخية وسياسية وجغرافية وثقافية. وهذه العوامل مجتمعة لا يمكن أن تتكرر بشكل واحد أو تتحد نتائجها فى عصرين أو أمتين، وعلى ذلك لا يمكن أن نرجع تطورا لغويا فى المعنى والدلالة حدث فى لغة قديمة إلى عوامل مماثلة للعوامل التى أحدثت تطورا مشابها فى لغة حديثة.

وقد نتج عن استخدام المنهج التاريخى فى دراسة اللغة ظهور فرع خاص به يسمى علم اللغة التاريخى، يتصف بالحركة والفاعلية والدينامية المستمرة Dy-namic لأنه يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة.

بل وذهب فريق من علماء اللغة أمثال «فرديناند دوسوسير، وماريو باى» إلى القول بأن علم اللغة العام يتفرع إلى ثلاثة فروع رئيسية وهى: -

(١) على عبد الواحد وافى. علم اللغة، مرجع سابق، ص٤٨-٤٩ .



أ ـ علم اللغة التاريخي Linguistique Diachronique .

ب ـ علم اللغة الوصفي Linguistique Synchronique .

جـ ـ علم اللغة الجغرافي Linguistique Geographique .

ويصف «ماريو باي» في كتابه «أسس علم اللغة» ـ علم اللغة التاريخي بقوله إنه العلم الذي يدرس الدروس المستفادة من ماضي اللغة، وما أفادت منه في فهم ما يحدث الآن من تطور لغوي، وكذلك ما سيحدث في المستقبل من تطورات لغوية[1].

ويشير بعض العلماء إلى أن الدراسة التاريخية للغة وتطورها يجب أن تسبقها دراسة وصفية لأوضاع اللغة. وبصفة عامة فإن المنهج التاريخي ممثلا في علم اللغة التاريخي بعد تطوره قد حقق تقدما واضحا في دراسة التغيرات اللغوية وتطور اللغات المختلفة.

٢ـ المنهج الوصفي في دراسة اللغة:-

يهتم هذا المنهج بوصف اللغة أو اللهجة في وقت معين، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي تسجيلا أمينا، وبذلك فهو يبحث اللغة بحثا عرضيا لاطوليا، ولا يبحث في علل وأسباب الظاهرة اللغوية.

ولهذا يطلق على هذا المنهج أحيانا المنهج التقريري لأنه يقرر الواقع اللغوي دون تفسير أسبابه، وإنما يقتصر دوره على وصفه.

ويذهب «أنطوان مييه A.Meillet » إلى القول بأن:-

«المنهج الوصفي يعنى بدراسة الاستعمال اللغوي في عمومه، عند شخص بعينه، في زمان معين، ومكان بعينه[2].» وقد أسفر هذا المنهج عن ظهور ما يسمى بعلم اللغة الوصفي. ويتحدث «ماريو باي» عن علم اللغة الوصفي فيقول:-

---

لمزيد من التفاصيل ـانظر:-

(١) ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة ـ أحمد مختار عمر، طرابلس، جامعة طرابلس ١٩٧٣ .

(٢) أنطوان مييه : علم اللسان ـ في ـ النقد المنهجي عند العرب، للدكتور محمد مندور، القاهرة، بدون تاريخ، د.ن، ص٤٥٣ .



«حيثما يستخدم الناس كلمة (علم اللغة) من غير إضافة كاشفة، فإنهم يعنون غالبا علم اللغة الوصفى فهو أساس الدراسات اللغوية[1].» ويقتصر علم اللغة الوصفى على وصف اللغة على حالتها الراهنة ورصد واقعها كما هو، وهو بذلك علم ساكن Static لا يبحث فى تفاعل اللغة وتطورها، ويقوم المنهج الوصفى بوصف اللغة أو اللهجة فى مستوياتها المختلفة، أى فى نواحى أصواتها، ومقاطعها، وأبنيتها، ودلالاتها، وتراكيبها، وألفاظها أو فى بعض هذه النواحى، دون أن يتخطى مرحلة الوصف.

وتعتبر الأطالس اللغوية خير مثال على تطبيق المنهج الوصفى على اللغات واللهجات، فهى لا تعرض علينا سوى الواقع اللغوى مصنفا، دون تدخل من الباحث بتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوى، هنا أو هناك[2].

ولم تعد الدراسات الوصفية للغات واللهجات قاصرة على الحياة المعاصرة فقط، وإنما قام عدد من العلماء بدراسات وصفية للغات ولهجات مختلفة فى عصور ماضية شملت دراسة اللغة أو اللهجة دراسة صوتية أو صرفية أو دلالية.

وقد حقق علم اللغة الوصفى فى القرن العشرين تطورا هائلا أدى إلى نهوض علم اللغة المعاصر. ويعتبر العالم السويسرى «فرديناند دى سوسيرى F. De Saussure» هو رائد الدراسات الوصفية والتاريخية اللغوية. ومن أبرز المدارس اللغوية الوصفية التى ظهرت :-

أ ـ المدرسة اللغوية البنيوية Structural Linguistics

ب ـ مدرسة النحو التوليدى التحويلى

Transformational Generative Grammar

جـ ـ مدرسة القوالب Tagmemic Analysis

هذا وسوف نعرض فيما بعد للأطالس اللغوية كنموذج للمنهج الوصفى وتطبيقاته فى دراسة اللغات ـ لأهمية هذه الأطالس فى البحث اللغوى، وقد أدى تطور المنهج الوصفى فى الدراسات إلى ظهور علم اللغة الوصفى.

---

(١) البدراوى زهران: مقدمة فى علوم اللغة، مرجع سابق، ص ١٨٠ .

(٢) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، مرجع سابق، ص١٨٢ .



٣ـ المنهج التجريبي في دراسة اللغة:-

يقوم هذا المنهج على أساس تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما أو المحيطة بشخص أو أشخاص تجرى عليهم التجربة، وملاحظة ما يطرأ على الظاهرة والأشخاص من تغيرات، ورصد أسباب التغير ودلالاته لاستنباط القوانين أو النظريات العلمية.

وعلى ذلك فالمنهج التجريبي يقوم على استخدام التجربة وتطبيق المنهج العلمي في الوصول إلى الحقائق العلمية.

وقد حقق هذا المنهج نجاحا ساحقاً في العلوم الطبيعية، حيث يتمكن الباحث من التحكم في كل عناصر التجربة وتوفير أنسب الظروف المعملية والعلمية لنجاحها، وبدأت العلوم الإنسانية في تطوير المنهج التجريبي بما يتلاءم مع ظروفها، وأمكن لبعضها مثل علم النفس، وعلم اللغة الوصول إلى نتائج إيجابية أدت إلى تطورها.

وقد حقق علم اللغة في جانب الدراسات الصوتية تقدما ملموسا بفضل تطبيق المنهج التجريبي، حيث درسوا العلاقة بين اللفظ والسمع، وأخطاء الأذن، والفروق بين الأصوات المختلفة وكيفية تمييزها، وتباين نطق الحروف في اللغات واللهجات المختلفة، وأساليب تعليم الصم للكلام، وتعليم اللغات الأجنبية، وتعليم الطفل اللغة.

كما استخدم الباحثون هذا المنهج في دراسة الظواهر اللغوية المتعلقة بالدلالة، حيث توصلوا إلى اختيار المعنى والدلالة لكثير من المفاهيم في ضوء رؤية المبحوثين لها واستيعابهم للمقصود منها، مما أدى إلى تطوير أساليب التعليم الرسمي وغير الرسمي لتكون أكثر عائداً، وتعديل طرائق التدريس واختيار أفضل أساليب تكنولوچيا التعليم في ضوء تقييم جدواها في فاعلية توصيل المعنى والدلالة.

٤ـ المنهج المقارن في دراسة اللغة:-

يعتبر المنهج المقارن من أقدم مناهج البحث اللغوي، وقد أدى التراكم المعرفي للبحوث والدراسات اللغوية التي استخدمت هذا المنهج إلى ازدهار فرع جديد للدراسات اللغوية يعرف بعلم اللغة المقارن.



ويقوم هذا المـهج بإجراء المـقارنة بين اللغـات المندرجة فى أسـرة لغوية واحدة وذلك لمـعرفة أوجه الشبـه والاختلاف فيـما بينها، للوصول إلـى القواعد العامة أو القوانين التى تحكم حركة اللغة وتطورها، والعوامل التى تحكمها.

وينبـه علمـاء الدراسات اللغـوية إلى ضرورة التـروى والتأنى قـبل إطلاق التعليـمات الناجمـة عن القواعد والقـوانين المسـتخلصة التى قـامت على أساس استخدام المنهج المقارن فى تلك الدراسات عند بحث أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات المختلفة أو بين الفصائل اللغوية.

فليس معنى وجـود تشابه بين بعض المفـردات فى لغتين، التـسرع بالحكم عليهـما بأنهـما من فصـيلة واحدة، فقـد يرجع ذلك إلى اقتـباس إحداهمـا لهذه الكلمات من الأخـرى نتيجة لعـوامل الهجرة أو التجـاور المكانى أو الدخول فى حرب معـا بين شعبيهـما أو علاقات سيـاسية واقتـصادية أو استعمـار وغيرها من العوامل - التى تؤدى إلى الانتشار الثقافى والاحتكاك اللغوى.

ويحدثنا التاريخ عن نماذج متعددة تشابهت عدة كلمات ومفردات بين لغات مختلفة واتفقت فيما بينها رغم انتمائها إلى فصيلتين لغويتين مختلفتين. ومن أمثلة ذلك اللغة السريانية التـى اقتبست العديد من الكلمات الإغريقـية، مع أن السريانية من فصيلة اللغات السامية، والإغريقـية من فصيلة اللغات الهندية - الأوربية. كما اقتبست اللغة الفارسية الحديثة كلمات كـثيرة من اللغة العربية رغم انتماء الفارسية إلى الفصيلة الآرية، وانتماء العربية إلى الفصيلة السامية[1].

ويتضمن المنهج المقارن أساسا، وضـع الصيغ المبكرة المؤكدة، المأخوذة من لغات يُظن وجود صلة بينها جنبا إلى جنب، حتى يمكن إصدار حكم فيها بعد الفحص والمقـارنة، بخصوص درجة الصلة بين عـدة لغات، والشكل الذى يبدو أقرب صلة إلى اللغة الأم.

ولعل الباحث يكون آمنا أو مطمئنا علمـيا، حين يقرر انتماء لغـات متعددة إلى أصل مشترك، إذا وجد بينها تماثلا كـافيا فى تركيـباتها النحوية، ومـفرداتها الأساسية، وإذا لاحظ ازدياد قربها بعضها من بعض، كلما اتجهنا إلى الوراء[2].

---

(١) على عبد الواحد وافى: علم اللغة، مرجع سابق، ص٥٠ .

(٢) ماريو باى. علم اللغة، مرجع سابق، ص١٦٨ .



ومن المبادئ الأساسية فى المنهج المقارن، أن التغير لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة، يمكن أن نصوغها فى دقة، إذا تناولنا لغة ما فى عصرين متتابعين من تاريخ تطورها، وأن التغير يحدث على نحو مستقل متميز فى كل عنصر من العناصر الثلاثة للغة وهى: الصوت، والصيغة، والدلالة[1].

٥ـ المنهج الأنثروبولوچى فى الدراسات اللغوية :-

يقوم هذا المنهج على المعايشة الحقلية للباحثين الميدايين فى مجالات الأنثروبولوچيا اللغوية وعلم الاجتماع اللغوى لدراسة اللغة بوصفها أحد العناصر الفاعلة فى دراسة الثقافة لأى شعب من الشعوب، ودراسة اللغة كأداة للتواصل الإنسانى بوصفها ظاهرة اجتماعية هامة فى مختلف المجتمعات الإنسانية.

ويعتمد المتهج الأنثروبولوچى على الدراسات الحقلية لثقافة المجتمع، من خلال معايشة الباحث لها معايشة ميدانية عن طريق الاستعانة بأدلة جمع البيانات لدراسة الثقافة السائدة، ومعاونة الإخباريين Informants أو المرشدين من أهالى المجتمع المحلى لمساعدته فى تقديمه لمجتمع البحث، وتفسير بعض المواقف الاجتماعية التى يصعب على الباحث فهمها فهما صحيحا لارتباطها بالسياق الثقافى للمجتمع ككل. ومن ثم يتخذ الأنثروبولوچى من الإخباريين مدخلا للاندماج فى المجتمع وفهم شبكة العلاقات الاجتماعية والرموز الثقافية السائدة ودراسة اللغة واللهجات المحلية والملاحظة بالمشاركة، ومهاراته المهنية المختلفة فى العمل الميدانى لدراسة اللغة السائدة فى المجتمع وتطورها، وفهم المعانى والدلالات الصحيحة لمفرداتها داخل السياق اللغوى والثقافى السائد فى المجتمع، إذ يجب أن يدرك الباحث الأنثروبولوچى أن ثقافة المجتمع المحلى الذى يدرسه هى جزء من كل، أى أنها ثقافة جزئية تنتمى إلى ثقافة أكبر وأشمل هى ثقافة المجتمع الكبير ككل، وأن إغفال العلاقة بين الثقافتين قد يؤدى إلى سوء فهم الوظائف الحقيقية للنظم الاجتماعية المختلفة التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالبناء الاجتماعى الأشمل[1].

---

(٢) رمضان عبد التواب المدخل إلى علم اللغة ، مرجع سابق، ص٢١١



ويرتكز المنهج الأنثروبولوچى على الدراسة المتكاملة لثقافة المجتمع، ومعرفة أثر اللغة فى العناصر الأخرى للثقافة السائدة وتأثير تلك العناصر فى جوانب الثقافة المختلفة، كما يتميز هذا المنهج بالنظرة الكلية الشاملة Holistic، والدراسة الحقلية المتأنية لفهم كل ذلك على مدار عام كامل على الأقل. وقد برزت أهمية الفترة الزمنية المناسبة فى ضوء الدراسة الرائدة التى قام بها عالم الأنثروبولوچيا الشهير «مالينوفسكى» فى دراسته لمجتمع جزر التروبرياند، والتى أرست نتائجها قواعد الدراسة الحقلية.

ومن أشهر أدلة جمع البيانات التى يستخدمها الباحث الأنثروبولوچى فى دراسة اللغة كعنصر هام من عناصر الثقافة ـ ما يلى:-

أ ـ دليل المعهد الملكى الأنثروبولوچى فى بريطانيا، بعنوان: ملاحظات ومسائل فى الأنثروبولوچيا Notes and Queries on Anthropology.

وقد صدر هذا الدليل فى عام ١٩٥١ حيث أعده صفوة من علماء الأنثروبولوچيا الاجتماعية والثقافة فى بريطانيا.

ويحتوى الدليل على ٦٣٣ موضوعا من بينها فصول عن الثقافة وعناصرها المختلفة، واللغة كعنصر أساسى من عناصر الثقافة، والمحتويات التى يتضمنها دراسة كل عنصر منها دراسة وافية.

وبذلك فإن الباحث الأنثروبولوچى فى مجال الدراسات اللغوية باستخدامه لهذا الدليل، يتمكن من دراسة اللغة وفهمها فهما صحيحا فى إطار علاقتها بالثقافة والسياق الثقافى ككل.

ب ـ دليل موجز المواد الثقافية: قام العالم الأمريكى ميردوك بوضعه فى عام ١٩٦٠، ويشتمل أيضا على حصر بالموضوعات التى تتصل بدراسة الثقافة فى أى مجتمع، وتأتى اللغة فى مقدمتها. ولهذا فإن هذا الدليل يعكس فكر المدرسة الأمريكية فى دراستها للأنثروبولوجيا الثقافية، ويمكن للباحثين الأنثروبولوچيين فى الدراسات اللغوية الاستفادة منه فى دراسة اللغة كعنصر هام من عناصر الثقافة.

(١) محمد الجوهرى وآخرون: دراسة علم الاجتماع، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص١٤٧



٦ـ منهج الدراسات الكشفية والاستطلاعية:-

يستخدم هذا المنهج فى العلوم الاجتماعية بصفة عامة وفى الدراسات اللغوية فى دراسة مشكلات بحثية أو الظواهر الجديدة، والتى لم يسبق دراستها دراسة كافية ـ لاستكشاف جوانبها بقصد إعادة صياغة هذه المشكلات أو الظواهر فى مرحلة لاحقة لبحثها بحثا دقيقا، أو لتنمية فروض تخضع للاختبار من خلال مناهج أخرى كالمنهج التجريبى أو المنهج المقارن، أو لتوضيح مفاهيم معينة، أو تحديد العوامل الفاعلة لمشكلة البحث.

ولتطبيق هذا المنهج فى دراسة إحدى مشكلات البحث، فإن ذلك يستلزم من الباحث القيام بعدد من الإجراءات التنفيذية المتكاملة:-

أ ـ عمل مسح للبحوث والدراسات السابقة المتصلة من قريب أو من بعيد بمشكلة البحث، وهو ما يعرف بمسح التراث Survey of Literature للوقوف على ما توصل إليه الباحثون السابقون من نتائج، وزيادة استبصاره بمشكلة بحثه.

ب ـ استشارة الخبراء الذين لهم صلة بمشكلة البحث، وذلك من خلال المقابلات الحرة، والمقابلات الموجهة التى قد يستخدم فيها بعض أدوات البحث كاستمارة المقابلة أو أدلة جمع البيانات وغيرهما، وذلك لتعميق فهم الباحث لمشكلة بحثه، ولفت نظره لجميع الجوانب المتصلة بالمشكلة.

جـ ـ تحليل بعض الحالات التى تزيد من فهمه لمشكلة البحث ـ وذلك عن طريق الدراسة المتعمقة لعدد محدود من الحالات Cases التى تمثل نماذج واقعية لمفردات بحثه.

وقد أثبتت هذه الطريقة أهميتها فى البحوث التى قام بها عالم النفس الشهير فرويد Freud، وكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين فى دراستهم للمجتمعات البدائية.

ومما هو جدير بالذكر، أن منهج الدراسات الكشفية والاستطلاعية لا يقوم على فرض فروض Hypothesis يحاول الباحث أن يتأكد من مدى صحتها بقبولها أو رفضها وفقا لما تسفر عنه نتائج البحث، وإنما يقوم على تساؤلات يسعى الباحث من خلال إستخدامه لهذا المنهج إلى الكشف عن جوانبها، واستطلاع إجاباتها فى ضوء البحث الإمبريقى.



إذا أخذنا دراسة إحدى اللهجات كمثال لتطبيق هذا المنهج، فإن الباحث يبدأ بعمل مسح ببيلوجرافى للبحوث والدراسات السابقة المتصلة بدراسة اللهجات عامة، ودراسة اللهجة التى يريد دراستها بصفة خاصة.

ثم يقوم الباحث بصياغة مشكلة بحثه فى ضوء ذلك على شكل عدد من التساؤلات التى يريد الكشف عنها، وقد يصوغ المشكلة على شكل تساؤل رئيسى واحد تتفرع منه تساؤلات فرعية ـ تصنع مجتمعة صياغة متكاملة لمشكلة البحث التى يعتزم دراستها دراسة حقلية.

كما يقوم الباحث باستشارة الخبراء والإخباريين من أفراد المجتمع ليزيد فهمه بتطور اللهجة ونشأتها والمراحل التى مرت بها ومفرداتها المختلفة، ومعانيها ودلالاتها فى المواقف الاجتماعية المختلفة، وعلاقتها باللغة السائدة ودورها فى تحقيق التواصل بين الناس، وصلتها بعناصر الثقافة الأخرى. كذلك فإن الباحث عليه أن يهتم بدراسة بعض الحالات الفردية التي تمثل مراحل زمنية مختلفة ـ دراسة متعمقة، مما يزيد الباحث عمقا فى فهم مشكلة البحث ـ وهى دراسة اللهجة التى عكف على دراستها باستخدام هذا المنهج.

ثالثاً ـ الأطالس اللغوية :-

ترتبط الأطالس اللغوية ارتباطا وثيقاً بعلم اللغة الجغرافى ـ الذى أرسى أطره النظرية عالم اللغويات السويسرى فرديناند دو سوسير، وتحمس لها أيضا عالم اللغة الفرنسى ماريو باى.

ويتفق العالمان على أن علم اللغة الجغرافى هو أحد فروع علم اللغة العام، وقد أوضح دو سوسير فى كتابه محاضرات فى علم اللغة ـ بالقسم الرابع منه ـ مجالات علم اللغة الجغرافى Linguistique Geographique حيث تناول تنوع اللغات، وتعقد التنوع الجغرافى وتعايش اللغات فى بقعة معينة، واللغات الأدبية واللهجات المحلية، وأسباب التنوع الجغرافى، وتأثير الزمن كعنصر أساسى فيه، وتخطى اللغات واللهجات للحدود الطبيعية، وانتشار الموجات اللغوية وخصائص هذا الانتشار. وإذا تأملنا مجالات علم اللغة الجغرافى لوجدنا أنه يجمع بين علمى اللغة من ناحية، وعلم الجغرافيا من ناحية أخرى.



وقد استعار هذا العلم من علم الجغرافيا فكرة عمل الأطالس وأن يقتبس طرق الجغرافيا فى توضيح موضع الحدود اللغوية للهجات المختلفة، وأن يتبين معالم كل لهجة، ويفرق بين اللغات وبعضها البعض فى خرائط تسجل عليها الظواهر اللغوية المختلفة التى توضح أدق الفروق فى نطق الأصوات والمفردات، وتبين حدود التداخل بين اللهجات واللغات المختلفة.

كما تبين مسار الظاهرة اللغوية والمناطق التى تمتد عبرها ونقط تجمع الظواهر المتنوعة ونقاط تفرقها.

كما تفيد الأطالس اللغوية فى دراسة المفردات بشكل مستفيض من حيث البناء والمرادفات المتعددة له بتعدد المناطق، واختلاف الألفاظ باختلاف الأقاليم اللغوية ومدى انتشارها ـ وبذلك فإن هذه الأطالس تعكس لنا الواقع اللغوى وتنقله على خرائط توضح لنا اللغات المشتركة واللهجات المحلية والاجتماعية السائدة فى مختلف الأقاليم والأقطار[1].

وعلى ذلك فإن الأطلس اللغوى هو بمثابة مسح جغرافى للغات واللهجات المختلفة ومناطق انتشارها وحدود كل منها. ومما هو جدير بالذكر أن فكرة عمل الأطلس اللغوى قد ظهرت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى، ويعتبر العالمان «فنكر Wenker» الألمانى، وجليرون Gillièron الفرنسى هما الرائدان الأوائل فى هذا المجال ـ حيث قام كل منهما بعمل أطلس لغوى لبلاده.

وقد نالت فكرة عمل الأطالس اللغوية استحسان عدد كبير من علماء الدراسات اللغوية فى كثير من دول أوربا وأمريكا حيث انتقلت إلى إيطاليا، وسويسرا، والسويد، والنرويج، والبرتغال، وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبعض البلدان الشرقية.

وترتب على ذلك زيادة اهتمام علماء الدراسات اللغوية فى تلك الدول بدراسة اللهجات والعاميات Dialectology لارتباطها الوثيق بعلم اللغة الجغرافى.

وقد كان جاستون باريس أول فرنسى نادى بوجوب دراسة اللهجات الشعبية وأنشأ لها قسما خاصا بها بمعهد الدراسات العالية، كما برز علماء من فرنسا أمثال

(١) البدراوى زهران. مقدمة فى علوم اللغة، مرجع سابق، ص١٨١ - ١٨٢ .



تورتولون، برنجيـيه، وأنطوان توماس، وألبرت دوزا وغيـرهم، ومن إيطاليا اهتم أيضا العالمان كورنو، وأسكولى بدراسة اللهجات الشعبية والأوربية[1].

وعلى الرغم من انتـشـار اسـتخـدام الأطالس اللغـوية فى دراسـة اللغـات واللهجات المختلفـة فى العديد من البلدان إلا أن طريقة عمل هذه الأطالس ظلت متـأثرة بالطريقة التى اتبعـها الرائدان الأوائل فنكر الألمانى، وجليـرون الفرنسى - وفيما يلى نبذة عن طريقة عمل تلك الأطالس:-

١ـ الطريقة الألمانية:-

قام فنكر Wenker بتطبيق هذه الطريقـة بُجمع خصائص اللهـجات السائدة بمدينة «دوسلدورف» الألمانية وما حولها فى عام ١٨٧٦م ولكنه قام بتوسيع نطاق بحثه ليـغطى ألمانيا كلها من خـلال نحو خمسين ألـف مركز لتسجـيل خصائص اللهجات فى مختلف المناطق

وتتلخص طريقتـه فى القيام بوضع دليل يضم أربعين جـملة، تمثل أهم ما يجرى على ألسنة الناس فى حياتهم اليومية بألمانيا، كما تضمن هذا الدليل بيانات أساسيـة عن الراوى (الذى نقلت عنه اللهجة) ومقارنة كـل جملة من تلك الجمل بين اللغة الفصحى، وما يقابلها فى اللهجة المحلية.

ويضم الدليل أيضا بيـانات أساسية مـماثلة عن المسـجلين اللغويين الـذين يقومون بالتسـجيل اللغوى وسؤال المبحوثين من الرواة عن اللهـجة المحلية التى تقابل الجملة بالفـصحى كما وردت بالدليل، وتضم البيانات الأسـاسية عن الرواة والمسجلين اللغويين بيانات عن الاسم، والمهنة، والسن، ومحل الميلاد.

وقد يسرت الحـكومة الألمانية مهـمة فنكر بإرسال أدلة جمع البـيانات التى صممـها لهذا الغرض إلى الجهـات المتعددة فى ألمانيـا بصفة رسميـة على نفقة الدولة. كمـا استـعان فنكر بمـدرسى المرحلة الابتـدائية في جمع بيـانات الدليل وتولى مهام المسجلين اللغويين لمعايشتهم عن قرب لأبناء القرى وإقامتهم معهم. وبعد أن تم جمع البيانـات ميدانيا تم تجميعها فى المـركز الرئيسى لعمل الأطلس

(١) على عبد الواحد وافى: علم اللغة، مرجع سابق، ص٦١.



بعمل خـريطة لكل كلمة على حدة، وذلك بتـفريغ صور اللفظ كمـا جاءت على لسان الرواة، وصيـغه، ومرادفاته ـ على خـرائط تفصيلية تضم كـافة الأقاليم، ثم تحدد عليها المناطق اللغوية المختلفة.

وفى ضوء الخـرائط التفصيليـة يتم رسم الخريطة العامة التى توضح عـليها الحدود النهائية للمناطق اللغوية بشكل إجمالى[1].

٢ـ الطريقة الفرنسية :-

وهى الطريقة التى استخدمها العالم الفرنسى جليرون فى عمل أطلس لغوى لبلاده، وتبعه كثيرون من العلماء فى إيطاليا ودول أوربا.

وتقوم هذه الطريقة على اختيار عدد من الـقرى والمدن التى تمثل المجتمع اللغوى العام، وقد بلغ مجموعها فى أطلس إيطاليا حوالى أربعمائة بلدة.

ثم توضع كراسة للأسئلة اللغوية التى تدرس العـلاقة بين اللغة الفصحى أو لغة الأدب واللهجات المحلية. ويصل عدد أسئلة تلك الكراسة ما بين ألفى سؤال ونحو ألفين وخمسمائة سؤال ـ تغطى كـافة مناحى الحياة ودورتها من الميلاد الى الزواج وحتى الموت، ومناشطها المختلفة، وظروف الزمان والمكان.

ويتم تدريب المسجلين اللغويين على طريقة البيانات باستخدام تلك الكراسة حيث يمضى كل منهم ما بين أربعة إلى خمـسة أيام فى القرية أو المدينة المختارة فى إطار العينة الممثلة للمـجتمع العام فى استيقاء عمليـة جمع البيانات من الرواه من أبناء المجتمع محل البحث.

وقـد اشتـرط جليرون أن يكون الراوى اللـغوى من صـميم أبناء القـرية أو المدينة وألا يكون وافدا عليها أو نزح منها حتى تكون لهجـته ممثلة تمثيلا صادقا للهجات المحلية السائدة.

---

(١) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص١٥٠ - ١٥٣ .

(*) لمزيد من التفاصيل ـ انظر :-

(١) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص١٥٣-١٥٦

(٢) البدراوى زهران: مقدمة فى علوم اللغة، مرجع سابق، ص١٨٣-١٨٥



وبعد الانتهاء من عملية جمع البيانات يتم تجميع صيغ اللفظ ومرادفاته فى مختلف الأنحاء وترتيبها ووضعها فى شكلها النهائى على الخريطة(*).

وتُكتب المادة اللغوية التى ينطقها الرأوى اللغوى كتابة بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل أو تستخدم الطريقتان معاً.

ومن مجموع الخرائط الفرعية التفصيلية يمكن عمل خريطة لغوية عامة لمختلف اللهجات تصنع مع غيرها من الخرائط الأطلس اللغوى للمجتمع.

وإذا تأملنا الطريقتين الألمانية والفرنسية فى إعداد الأطالس اللغوية والخطوات التى تتبعها كل طريقة لوجدنا أن الطريقة الألمانية باعتمادها على دليل لجمع البيانات، واستخدامها لعدد من الرواة اللغويين من أبناء المجتمعات المحلية لدراسة خصائص اللهجات ومقارنتها باللغة الفصحى، واختيارها لجامعى البيانات (المسجلين اللغويين) ممن يقيمون إقامة كلية بين أهالى القرية أو المجتمع المحلي (من مدرسى المرحلة الابتدائية) ويتعايشون معايشة ميدانية كاملة مع أفراده، وتدريبهم على كيفية استخدام دليل جمع البيانات وتسجيلها مع الرواه اللغويين - كل ذلك يمثل الخطوات العلمية المعروفة فى استخدام المنهج الأنثروبولوچى والطريقة الأنثروبولوچية فى البحوث الحقلية.

أما الطريقة الفرنسية بخطواتها التى أوضحناها والتى تعتمد على استخدام كراسة للأسئلة تشمل أسئلة مباشرة ومحددة فى معظمها من الناحية المنهجية تعتمد على الأسئلة المغلقة، وتضم عددا ضخما من الأسئلة يتراوح ما بين ألفين إلى ألفين وخمسمائة سؤال على عكس الطريقة الألمانية التى تعتمد على دليل مبسط به أربعون عبارة فقط لا تحتمل أسئلة مباشرة.

كذلك فإن المدة التى يستغرقها جامعو البيانات (المسجلون اللغويون) بهذه الطريقة تتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أيام.

ومن هذا يتبين لنا أن الأساليب التى تستخدمها تلك الطريقة تجعلها من الناحية المنهجية أقرب ما تكون إلى الطريقة السيوسيولوچية التى يعرفها علماء الاجتماع فى بحث الظواهر الاجتماعية بحثا إمبريقياً.



رابعاً ـ أهمية الأطالس اللغوية فى البحث اللغوى:-

يمكن أن نوجز تلك الأهمية وأثرها فى البحث اللغوى على النحو التالى:-

١ـ دراسة خصائص اللهجات المختلفة ومقارنتها باللغة الفصحى، والتباين بينهما من حيث الصوت والبنية والدلالة والتكوين أو التركيب.

٢ـ دراسة ما يطرأ على اللهجات واللغات من تغيرات عبر مراحل زمنية مختلفة، فالأطلس اللغوى يصور حالة اللغات أو اللهجات عند فترة زمنية معينة، وفى ضوء تكراره من وقت إلى آخر يمكن عمل مقارنات عملية بينهما لرصد صور التغير التى طرأت عليها.

٣ـ تسهم الأطالس اللغوية فى دراسة الثقافة السائدة وتطورها عبر عصور مختلفة بوصف اللغة وما يتصل بها من لهجات مختلفة أداة للتواصل الإنسانى، وبذلك فهى لا تنطوى على فوائد لغوية فحسب، بل إنها تفيد المؤرخين وعلماء النفس والاجتماع على حد سواء.

وقد أكد هذا المعنى عالم اللغويات السويسرى «يود Jud » وهو متخصص فى اللغات الرومانية (الفرنسية والأسبانية والإيطالية) وقد شارك مع العالم «يابرج Jaberg» فى عمل أطلس لغوى لإيطاليا وجنوب سويسرا، حيث قال:-

«من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسى أو الإيطالى أو الأسبانى إلا إذا عرفت اللغات المحلية فى تلك البلاد، ودرست دراسة متعمقة[1]. »

٤ـ تفيد الأطالس اللغوية اللغات المختلفة فى استكمال الحلقات المفقودة فى دراسة حياة اللغات واللهجات وتطورها، والتغيرات التى طرأت عليها ومدى اختلاطها بغيرها من اللغات واللهجات.

ويؤكد عالم اللغة السويسرى «شتيجر Steiger» هذا القول فى حديثه عن أهمية الأطلس اللغوى للغة العربية كمثال فيما يلى:-

---

(١) خليل عساكر: الأطلس اللغوى، القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية، ع٧، ١٩٥٣، ص٣٨٠.



«. . . وبالنسبة للغة العربية، نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوى لها، سيحدث ثورة فى كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية، ولأنه سيكمل من غير شك، الدراسات التى تعتمد على النصوص القديمة، بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات، وباللغات الشعبية العصرية.

وسيكون لهذا الأطلس الفضل فى إطلاعنا على تاريخ الأصوات، والتغيرات التى أصابت اللغة العربية، فى الأماكن المختلفة التى غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية، وتنوع مفرداتها، إلى غير ذلك من المكتشفات، التى لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد. إنه سيكون عملا ثقافيا من الطراز الأول، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار فى تاريخ الثقافة العالمية[1].

٥- يؤدى وجود الأطالس اللغوية فى مختلف المجتمعات دورا هاما فى إثراء البحث فى الدراسات اللغوية من منظورات متعددة يستفيد منها الباحثون المتخصصون فى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين مختلف اللغات، ودراسة درجة القرابة اللغوية بين الفصائل اللغوية المختلفة، ودراسة الانتشار الثقافى بين مختلف مناطق العالم، ودور اللغة فى مواجهة الغزو الثقافى، والصراع اللغوى الذى واجهته، والمصير الذى آلت إليه الآن، واللهجات التى بادت واندثرت، واللهجات التى ازدهرت، واللغات التى عاشت وتلك التى تم قهرها.

خلاصة القول، أن للأطالس اللغوية دورا حيويا فى البحث والدرس اللغوى من مختلف المنظورات: السوسيولوچية، واللغوية البحتة، والنفسية، والأنثولوچية.

وعلى الرغم من تزايد اهتمام علماء العالم فى أوربا وأمريكا بعمل هذه الأطالس لتحقيق تلك الغايات، إلا أنه من المؤسف أن اللغة العربية ليس لديها أطلس لغوى واحد على يد أحد أبنائها، وإنما هناك محاولة وحيدة قام بها المستشرق الألمانى «برجشتراسر Bergstrasser» لعمل أطلس لغوى لبلاد سوريا وفلسطين ونشره فى ليبزج عام ١٩١٥م.

---

(١) خليل عساكر: نفس المرجع السابق، ص٣٧٩



وقد قام بجمع مادته بنفسه فى عام ١٩١٤م بعد أن أمضى شهرا ونصف شهر متنقلا بين الأستانة، وسوريا، وفلسطين، ولبنان، حيث زار دمشق، وحلب، وغيرهما من المدن.

ويضم أطلسه اللغوى دراسة للهجات العربية السائدة فى سوريا وفلسطين وأخرجها فى اثنتين وأربعين خريطة تفصيلية، وجمعها فى خريطة لغوية إجمالية واحدة، مع شرح لغوى لها فى كتاب مستقل، طبع فى مدينة ليبزج عام ١٩١٥م.

أما عن أسلوبه فى جمع مادته العلمية لعمل هذا الأطلس، فقد استخدم الطريقة الألمانية - التى سبق شرحها - فى عرض جمل معينة على راوى اللهجة. وقد تعمد اختيار جمل يتصل بعضها ببعض، فى سياق قصة من القصص الشائعة فى المنطقة.

ولقد برر «برجشتراسر» هذه الطريقة بأن الظواهر النحوية التى تحتاج إلى تراكيب لغوية لا تصلح معها قوائم الكلمات والأسئلة المباشرة كما هو الحال فى الطريقة الفرنسية.

ويعترف الباحث بالعديد من الصعوبات التى واجهته فى تلك الدراسة لإعداد الأطلس اللغوى مشيرا إلى ضيق الوقت وعدم كفايته للبحث المتعمق، مما اضطره إلى تجاهل مراكز متعددة فى دراسة أللهجات العربية السائدة، كذلك فإن تدخل الكثير من الأهالى عندما يسأل أحد الرواة محاولين تصحيح لهجته البدوية لتقريبها إلى الباحث دون أن يدركوا أن البحث يتطلب تعدد اللهجات وحصرها كما هى دون تدخل من أحد، بالإضافة إلى اعتراف الباحث بتسرعه فى اختيار الرواة للهجات نتيجة لضيق الوقت.

ويبقى علينا أن نتساءل الآن: أين دور الباحثين العرب، ومجامع اللغة العربية المتعددة فى دراسة اللهجات العربية دراسة علمية متأنية على أيدى أبناء اللغة العربية من منظورات علمية متعددة، أما آن الأوان؟؟ لعل هذا الأمل يتحقق قريبا بإذن الله.



المراجع العربية والأجنبية :-

أولاً «المراجع العربية»

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ إبراهيم الترزى: إنجازات اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لعام ١٩٩٣، القاهرة، ملحق جريدة الأهرام، مؤسسة الأهرام، ٣١ ديسمبر ١٩٩٣ .

٣ـ إبراهيم عبدالله غلوم: الثقافة وإشكالية التواصل الثقافى فى مجتمعات الخليج العربى، نيقوسيا، دار دلمون للنشر، ١٩٩٠ .

٤ـ إبراهيم أنيس: فى اللهجات العربية، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٦٥

٥ـ إبراهيم أنيس: مستقبل اللغة العربية المشتركة، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٠ .

٦ـ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: على عبد الواحد وافى، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧ .

٧ـ أبو الفتح عثمان بن جنى: الخصائص وسر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد على النجار، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.

٨ـ أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى (الأنساق)، جـ٢ ط٣، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ .

٩ـ أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى ـ مدخل لدراسة المجتمع، جـ١، الإسكندرية، ط٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ .

١٠ـ البدراوى زهران: مقدمة فى علوم اللغة، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣ .

١١ ـ إميل دوركايم: قواعد المنهج فى علم الاجتماع، ترجمة: محمود قاسم، مراجعة السيد محمد بدوى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤

١٢ـ باقر النجار: آثار لعمالة وافدة أم عواقب لمأزق تنموى ـ حالة الأقطار العربية الخليجية المصدرة للنفط ـ فى: مجلة المستقبل العربى، ع٨٢، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر ١٩٨٥ .



١٣ـ تمام حسان: الأصول ـ دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوى عند العرب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ .

١٤ـ توفيق محمد شاهين: علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠ .

١٥ـ ثروت إسحق: علم الإنسان والدراسة السوسيوأنثروبولوجية، القاهرة، مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٨ .

١٦ـ جهينة سلطان العيسى: التأثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة ـ فى ـ ندوة العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى، الكويت، المعهد العربى للتخطيط بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣ .

١٧ـ جودث جرين: التفكير واللغة، ترجمة عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

١٨ـ حنان شاهين الخلفان: الخدم والمربيات الأجنبيات وأثرهن على الأسرة البحرينية ـ فى ـ دراسات وقضايا من المجتمع العربى الخليجى، المنامة، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، ع٥، ١٩٨٥ .

١٩ـ حيدر إبراهيم على: آثار العمالة الأجنبية على الثقافة العربية ـ فى ندوة العمالة الأجنبية فى أقطار الخليج العربى، الكويت، المعهد العربى للتخطيط بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، يناير ١٩٨٣ .

٢٠ـ خليل عساكر: الأطلس اللغوى، القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية، ع٧، ١٩٥٣ .

٢١ـ رالف بيلز، هارى هويجر: مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، جـ٢، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧ .

٢٢ـ رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٠ .

٢٣ـ رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات فى اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٢ .



٢٤ـ رمضان عبد التواب: فصول فى فقه العربية، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٣ .

٢٥ـ زكى محمد إسماعيل: الأنثروبولوچيا والأدب العربى، الإسكندرية، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٩٢ .

٢٦ـ سامية محمد جابر: الاتصال الجماهيرى والمجتمع الحديث ـ النظرية والتطبيق، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣ .

٢٧ـ سمير نعيم أحمد: النظرية فى علم الاجتماع ـ دراسة نقدية، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥ .

٢٨ـ صبرى إبراهيم السيد: علم اللغة الاجتماعى ـ مفهومه وقضاياه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥ .

٢٩ـ عاطف وصفى. الثقافة والشخصية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١

٣ـ عبد الباسط عبد المعطى: اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع٤٤، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١

٣١ـ عبد المجيد سيد أحمد منصور: علم اللغة النفسى، الرياض، عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣٢ـ عبد السلام المسدى: مساءلات فى الأدب واللغة، الرياض، كتاب الرياض ع ١، مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣٣ـ عبد الصبور شاهين. فى علم اللغة العام، القاهرة، دار العلم، ١٩٦٧ .

٣٤ـ عصام محمد عبد الجواد: التنشئة الاجتماعية والتوافق الدراسى للتلاميذ فى دولة الإمارات العربية المتحدة ـ فى دراسات وقضايا من المجتمع العربى الخليجى، المنامة، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، ع٥، ١٩٨٥

٣٥ـ على عبد الواحد وافى: اللغة والمجتمع، جدة، مكتبات عكاظ للنشر



والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٦- على عبد الواحد وافى: علم اللغة، القاهرة، ط٩، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٤ .

٣٧- على عبد الواحد وافى: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٠ .

٣٨- فاروق شوشة: فصحى عصرية - فى - مجلة العربى، الكويت، وزارة الإعلام، ع٤٢٣، فبراير ١٩٩٤ .

٣٩- فندريس: اللغة - ترجمة: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٥٠ .

٤٠- قبارى محمد إسماعيل: الأنثروبولوچيا العامة - صور من قضايا علم الإنسان. الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧١ .

٤١- ماريو باى: لغات البشر - ترجمة صلاح العربى، القاهرة، بدون ناشر، ١٩٧٠ .

٤٢- محمد أحمد أبو الفرج: مقدمة لدراسة فقه اللغة، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٦ .

٤٣- محمد الجوهرى: الأنثروبولوچيا - أسس نظرية وتطبيقات عملية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩ .

٤٤- محمد الجوهرى وآخرون: علم الاجتماع دراسة الإعلام والاتصال، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢ .

٤٥- محمد الجوهرى، عبد الله الخريجى: طرق البحث الاجتماعى، ط٤، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣ .

٤٦- محمد الحناش: البنيوية فى اللسانيات، جـ١، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٨٠ .

٤٧- محمد السيد علوان: المجتمع وقضايا اللغة، الإسكندرية، دار المعرفة



الجامعية، ١٩٩٥ .

٤٨ـ محمد سليمان الحداد، محمود يوسف النجار: الأنثروبولوجيا ـ مقدمة في علم الإنسان، الكويت، المطبعة الدولية، ١٩٨٦ .

٤٩ـ محمد عارف: المنهج فى علم الاجتماع، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٢ .

٥٠ـ محمد عاطف غيث (محرر): قاموس علم الاجتماع، القاهرة، بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ .

٥١ـ محمد على محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمى، ط٣، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢ .

٥٢ـ محمد مندور: علم اللسان عند أنطوان مييه ـ فى ـ النقد المنهجى عند العرب، القاهرة، د.ن، بدون تاريخ.

٥٣ـ محمود السعران: علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربى، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٢

٥٤ـ نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع٩، سبتمبر ١٩٧٨ .

٥٥ـ نوال محمد عطية: علم النفس اللغوى القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥

٥٦ـ هدسون: علم اللغة الاجتماعى ـ ترجمة محمود عياد، ط٢ ، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠ .

٥٧ـ وزارة العمل والشئون الاجتماعية البحرينية: أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة فى البحرين، المنامة، قسم التخطيط والبحوث، ١٩٨٣ .



ثانيا «المراجع الأجنبية»

1- Boas, F.: Introduction in, "Handbook of American Indian Languages, Part I, Bulletin 40, Bureau of American Ethnology, Washington D.C., 1911

2- Clyde Kluchohn: Mirror of Man, Fawcett Publications, N.Y., 1963.

3- Cooper, R.: Language Planning and Social Change, Cambridge, Cambridge University Press, 1989.

4- Crystal, David: Whate is Linguistiscs?, Second Edition, London, Longman, 1959.

5- Curran James: Mass Communication as a Social Force in History in, Mass Communication and Society, the Open university Press, 1977.

6- Greenberg, J.: The Languages of Africa, International Journal of African Linguistics, No.1, 1963, Part2, (Publication 25 of the Indiana University, Research Center in Anthroplogy, Folklore and Liguistics.)

7- Halliday, M., McIntosh, A. and Strevens, P.: The Lingustics Science and Language Teaching, London, Longmans, 1964.

8- Joshua Fishman: The Sociology of Language, Newbury House, 1971.

9- Joshux Fishman (ed.): Advances in the Sociology of Language, Mouton, 1971.

10- Margret, Schlauch : The gift of Tongues, London, George & Unwin Ltd., 1960

11- Mchrabian: Silent Messages, Wadsworth, Belmont, 1972.



12- Mortensen: Communication, the study of Human Interaction, Mc Graw-Hill Book Company, N.y., 1972

13- Robins, R.H.: General Linguistics, an Introductory Survey, London, Longmans, 1964.

14- R. Murphy: Cultural and Social Anthropology, N.Y., 1988.

15- Scheflen: Body Language and the Social Order, Printice Hall, Inc., Englewood Cliffs, N.J., 1969.

16- Spradley and Mccurdy: Conformity and Conflict, N. Y., 1988.

17- Vygotsky, L.S.: Thought and Language, Cambridge, Mass M.I.T. Press, 1962.



«الفهـــرس»



رقم الإيداع	٩٥ / ٤٣٨٥
الترقيم الدولى I S B N	977 - 10 - 0744 - 0

